الروض الزاهر

في

مناقب الشيخ عبد القادر

تأليف

الشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم بن علي الدّيري القادري

المتوفى ٨٨٠ هـ

ويليه

النور السافر

في مناقب سيدي عدي بن مسافر

تأليف

الشيخ الحافظ نصر بن عبد الله بن نصر العسقلاني

المتوفى بعد سنة ٥٧٤ هـ

مخطوطات يطبعان لأول مرة

تحقيق وتعليق

أحمد فريد المزيدي



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
أسسها محمد علي بيضون
سنة 1971 بيروت - لبنان

الرَّوضُ الزَّاهِرُ

في

مَناقِبِ الشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ

تأليف

الشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم بن علي الدّيري القادري

المتوفى ٨٨٠ هـ

ويليه

النّور السّافر

في مناقب سيّدي عدي بن مسافر

تأليف

الشيخ الحافظ نصر بن عبد الله بن نصر العسقلاني

المتوفى بعد سنة ٥٧٤ هـ

(مخطوطات يُطبعان لأوّل مرّة)

تحقيق وتعليق

أحمد فريد المزيدي



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: **Al-rawḍ al-zāhir**
fī manâqib al-šayḫ ʿAbdul-Qādir
Followed by **Al-nūr al-sâfir**
fī manâqib sīdī ʿAdly ben Musâfir

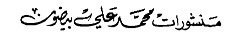
two books concerning
The merits of ʻAbdul-qadir al-jilani
and ʻAdey ben Mousafer

Author: Burhānuddīn al-Dayri al-Qādiri
and Naṣr ben ʿAbdullah al-ʿAsqalāni
Editor: Aḥmad Farīd al-Miziyadi
Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah
Pages: 288
Year: 2008
Printed in: Lebanon
Edition: 1st

الكتاب: الروض الزاهر
في مناقب الشيخ عبد القادر
ويليه: **النور السافر**
في مناقب سيدي عديّ بن مسافر
المؤلف: برهان الدين إبراهيم بن علي الديري القادري
ونصر بن عبدالله بن نصر العسقلاني
المحقق: أحمد فريد المزيدي
الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت
عدد الصفحات: 288
سنة الطباعة: 2008 م
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى

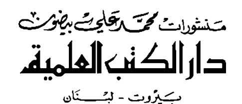


ISBN 2-7451-5471-0 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5471-2 (13 dig)





الطبعة الأولى
٢٠٠٨ م ـ ١٤٢٩ هـ



Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com



مقدمة التحقيق

الحمد لله تعالى الذي خضع لسلطان عظمته كل شيءٍ، وذُلَّت له أعناق الجبابرة من سائر الملوك والسلاطين.

والصَّلاة والسلام الأكملين على رسوله سيدنا محمد المؤيد بالآيات المدحضة حجج المبطلين من سائر الغواة والشياطين.

وعلى آله وأصحابه وسائر الأنبياء الذين هم للهدى والدين أركان وأساطين.

وبعد ...

فهذا كتاب من سلاسل الكتب والنفائس المتحدثة عن شمائل ومناقب ومآثر الغوث والقطب الرباني، والإمام العالم المحقق الوارث المحمدي، سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سرَّه وأعلى في العالمين ذكره إلى يوم الدين.. آمين.

وقد منَّ الله علينا بأن حققنا كلاً من:

بهجة الأسرار للشيخ الشطنوفي، وقلائد الجواهر للشيخ التاذفي، والسيف الرباني لابن عزوز، وخلاصة المفاخر للشيخ اليافعي.

فضلاً عن سر الأسرار، وفتوح الغيب للشيخ قدس سره.

وما كان ذلك إلا بفضل الله وكرمه علينا.

فكفى للمريد أن ينبض قلبه بحب الشيخ عبد القادر.

وهنيئًا لعبد تنسَّم بنسيم أنفاس الشيخ عبد القادر.

وطوبى لمحب أشغل روحه وأفرغ همَّه في سلوك طريقة الشيخ عبد القادر.

وشرفٌ لقلم خط مداده بكتابة اسم وأحوال ومناقب سيدنا عبد القادر.

فيا أيها السلفي المنتهج نهج السلف الصالحين.

ويا أيها الصوفي الباحث عن سر العلم بمعرفة سلوك السادة المحمديين.

ويا أيها الطالب للعلم والشرع الشريف بكتاب الله وسنة سيد النبيين.

فالجميع مطلبه واحد وهو عبودية الله رب العالمين.

والشيخ عبد القادر شيخ أهل السنة والجماعة، ناصر السنة وقامع البدعة.

ولما كان معرفة منهج شيخ من الأقطاب سبيل لمعرفة الحق ﷻ كان علينا التعرف على مناقب الشيخ عبد القادر قدس سره.

وقد أتحفنا بهذا الكتاب الباهر الشيخ الإمام العلامة الديري ﷺ.

فكتابه الروض الزاهر الذي بين أيدينا، حقًا روضة التصانيف الفاخرة في قطب الأولياء، المتحدثة عنه وعن أحواله الظاهرة والباطنة، فقد جمع الشيخ الديري خلاصة مناقب الشيخ وآثاره الباقية رضي الله عنه وأرضاه.

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على علو مكانة الشيخ عبد القادر وعظم قدره، وأنه ﷺ ممن كتب الله له الظهور في الأرض كصورة وحُلة من حُلل النبي ﷺ، إثباتًا لصحة الكرامة، وإمدادًا لبقائها واتصالها.

وإتمامًا للفائدة أيها القارئ المحب الكريم، وضعنا مقدمة نذكر فيها ردّ شبه المنكرين على السادة الصوفية العارفين المحققين، ورد بعض ما اعترض به على الغوث الجيلاني من اعتراضات، وذلك بحسب ما أفاض به الله علينا، وهذا على سبيل الإشارة لا الحصر.

وقد أسمينا هذه المقدمة: «**رد شبه المنكرين والدفاع عن سيدي عبد القادر محيي الدين**».

وقد جعلناها قسمين:

القسم الأول: في ردِّ شبه المنكرين على الأولياء الصالحين.

القسم الثاني: في ردِّ الاعتراض على أقوال سيدي عبد القادر محيي الدين.

فنقول أولاً في ردِّ شُبَهِ المنكرين:

قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء:٣٦].

قال الكلبي: لا تقل ما ليس لك به علمٌ.

وقال البيضاوي: لا تتبع ما لم يتعلق به علمك تقليدًا أو رجمًا بالغيب؛ ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء:٣٦]: أي كل هذه الأعضاء كان عنه سؤلاً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يسأل الله العباد فيما استعملوها، وفي هذا زجرٌ عن النظر إلى ما لا يحلُّ، والاستماع إلى ما يحرم، وإرادة ما لا يجوز، كذا ذكره الواحدي.

وقال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا**﴾ [الأحزاب:٦٩].

قال البيضاوي: فأظهر براءته من مقولتهم يعني: مواده ومضمونه، وذلك أن قارون حرَّض امرأةً على قذفه بنفسها، فعصمه الله تعالى، أو اتهمه ناسٌ بقتل هارون عليه السلام لما خرج معه إلى الطور، فمات هناك، فحملته الملائكة، ومرُّوا بهم حتى رأوه غير مقتولٍ، وقيل: أحياه الله تعالى، فأخبرهم ببراءته، أو قذفوه بعيبٍ في بدنه من مرضٍ أو أدرةٍ لفرط تَستُّره حياءً، فأطلعهم الله على أنه بريءٌ، وكان عند الله وجيهًا ذا قرابةٍ ووجاهةٍ:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**﴾ [الأحزاب:٧٠]، قاصدًا إلى الحق، ﴿**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾ [الأحزاب:٧١]، يوفِّقكم للأعمال الصالحات، أو يُصلحها بالقبول والإثابة عليها، ﴿**وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾، ويجعلها مُكفِّرة باستقامتكم في القول والعمل، ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ في الأوامر والنواهي ﴿**فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾، يعيش في الدنيا حميدًا، وفي الآخرةِ سعيدًا.

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كانَ يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا أو ليسكتْ**[1]» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «**من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدوُّ الله وليس كذلك إلا حار: أي رجع عليه**[2]» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «**مَنْ قفَّى مُسلمًا بشيءٍ يريد به شينه: أي عيبهُ حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال**[3]».

وقال ﷺ: «**مَنْ رمى مُسلمًا بشيءٍ يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال**[4]».

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٧٦)، ومسلم (١/٦٩)، وأبو داود (٣/٣٢٢)، والترمذي (٤/١١٠)، والنسائي في الكبرى (٤/٣٩٤).

(٢) رواه مسلم (١/٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١/١٥٥)، وأحمد (٥/١٦٦).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/١٩٤)، وابن المبارك في الزهد (١/٢٣٩).

(٤) رواه أبو داود (٤/٢٧٠)، وأحمد (٣/٤٤١).

وفي تفسر البيضاوي قال ﷺ: «**مَنْ قفَّى مؤمنًا بما ليس فيه حبسه الله في ردْغَة الْخَبال حتى يأتي بالمخرج**[١]».

والرَّدْغة بسكون الدَّال، وفتح الغين المعجمة: الوحل الشديد.

والخبال: صديد أهل النار.

وقال ﷺ: «مَنْ أكل برجلٍ مُسلمٍ أكلةً: أي بأن يغتابه عند عدُوِّه، أو يسبَّه عنده، فيطعمه بسبب ذلك فإن الله يُطعمه مثلها من جهنم، ومن كسا ثوبًا برجلٍ مسلمٍ: أي بأن يغتابه أو يسبَّه عند عدوِّه فيكسوه بسبب ذلك فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجلٍ مسلمٍ مقام سمعه: أي يقول أنه مرائي، وأقواله وأفعاله رياءٌ لأجل عدوِّه فإن الله تعالى يقوم له مقام سمعةٍ ورياءٍ يوم القيامة[٢]». رواه النسائي.

قال ﷺ: «**إيَّاكم والظن؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تجسَّسوا ولا تنافسوا**[٣]» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «**حسنُ الظنِّ من حسنِ العبادةِ**[٤]» رواه النسائي والترمذي وأبو داود: أي اعتقاد الخير والصلاح في حق المسلمين عبادةٌ حسنةٌ من جملة العبادات.

قال الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى: لا يجوز أن يُنكر على القوم ببادي الرأي لعلوِّ مراقبتهم في الفهم والكشف، ولم يبلغنا عن أحدٍ منهم أنه أَمَرَ بشيءٍ يهدم الدين، ولا نهى أحدًا عن الوضوء ولا الصلاة، ولا غيرها من فروض الإسلام ومستحبَّاته، إنما يتكلمون بكلامٍ يدقُّ عن الأفهام، وكان يقول: قد يبلغ القوم في المقامات ودرجات العلوم إلى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التي لم يُصرَّح بها كتابٌ ولا سنَّةٌ، ولكن أكابر العلماء العالمين قد يردون ذلك إلى الكتاب والسنَّة بطريقٍ دقيقٍ لحُسن استنباطهم وحسن ظنِّهم بالصالحين، وكان يقول: كما أعطى الله تعالى الكرامات للأولياء التي هي فرع المعجزات، فلا بدع أن يعطيهم من العبادات ما يعجز عن فهمها فحول العلماء.

---

(١) رواه أبو داود (٣/٣٠٥)، وأحمد (٢/١٧٦)، والبيهقي في الكبرى (٦/٨٢).

(٢) رواه أبو داود (٤/٢٧٠)، وأحمد (٤/٢٢٩).

(٣) رواه البخاري (٣/١٠٠٩)، ومسلم (٤/١٩٨٥)، وأبو داود (٤/٢٨٠)، وأحمد (٢/٢٤٥).

(٤) رواه أبو داود (٤/٢٩٨)، وأحمد (٢/٣٠٤)، وابن حبان (٢/٣٩٩).

وكان شيخ الإسلام المخزومي رحمه الله تعالى يقول: لا يجوز لأحدٍ من العلماء الإنكار على الصوفية إلا إن سلك طريقهم، ورأى أفعالهم، وأقوالهم مخالفةً للكتاب والسنَّة، وإما بالإشاعة عنهم، فلا يجوز الإنكار عليهم، ولا سبُّهم، وأطال في ذلك، ثم قال: وبالجملة فأقل ما يحقُّ على المنكر حتى يسوغ له الإنكار على أقوالهم، أو على أفعالهم، أو على أحوالهم أن يعرف سبعين أمرًا، ثم بعد ذلك يسوغ له الإنكار منها غوصه في معرفة معجزات الرسل عليهم السلام على اختلاف طبقاتهم، وكرامات الأولياء على اختلاف طبقاتهم، ويؤمن بها ويعتقد أن الأولياء يرثون الأنبياء في جميع معجزاتهم إلا ما استثنى منها.

ومنها: اطِّلاعه على كتب تفسِّر القرآن سلفًا وخلفًا؛ ليعرف أسرار الكتاب والسنَّة، ومنازع الأئمة المجتهدين، ويعرف التفسير والتأويل وشرائطه، ويتبحَّر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاداتها حتى يبلغ الغاية.

ومنها: كثرة الاطِّلاع على مقالاتٍ للسلف والخلف في معنى آيات الصفات وأخبارها، ومن أخذ بالظاهر، ومَنْ أوَّل، ومَنْ دليله أرجح من الآخر.

ومنها: تبحُّره في علم الأصوليين، ومعرفة منازع أئمة الكلام.

ومنها: وهو أهمها معرفةً اصطِّلاح القوم فيما عبَّروا عنه مِنْ التجلِّي الذاتي والصوري، وما هو الذات وذات الذوات، ومعرفة حضرات الأسماء والصفات، والفرق بين الحضرات، والفرق بين الأحدية والواحدية، ومعرفة الظهور والبطون، والأزل والأبد، وعالم الغيب والكون، والشهادة والشئون، وعالم الماهيَّة والهويَّة، والسُكر والمحبَّة، ومَنْ هو الصَّادق في السُكر حتى يسامح، ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك.

فمن لم يعرف مرادهم كيف يحلُّ كلامهم، أو ينكر عليهم بما ليس هو من مرادهم انتهى.

وقد شرح الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى بعض أبياتٍ من تائية الشيخ عمر بن الفارض، وقدَّمها إلى الشيخ أبي مدين؛ ليكتب عليهم إجازةً، فكتب له على ظاهرها: ما أحسن ما قال بعضهم:

سارتْ مشرقةً وسرتُ مَغربًا ... شتَّانَ بين مشرقٍ ومغربِ

ثم أرسلها إلى الحافظ، فتنبَّه الشيخ لأمرٍ كان عنه غافلاً، ثم أذعن لأهل الطريق، وصحب لله الشيخ أبا مدين حتى مات رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

ونقل الإمام القزويني في كتابه «سراج العقول» عن إمام الحرمين:

إنه سُئل عن كلام الصوفية، فقال: لو قيل لنا: فقولوا ما يقتضي التكفير من كلامهم مما لا يقتضيه لقلنا هذا طمعٌ في غير مطمعٍ؛ لأن كلامهم بعيدُ المدرك وعين المسلك، يغترف من تيار بحر التوحيد، ومن لم يُحط علمًا بنهايات الحقائق لم يحصل من دلائل التكفير على وثائق، كما أنشد بعضهم في هذا المعنى:

تــركنَا الــبحارَ الزَّاخــراتِ وراءنــا فمن أين يدري النَّاس أين توجُّهنا

وسُئل شيخ الإسلام تقي الدين السبكي عن حكم غلاة المبتدعة وأهل الأهواء والمتفوِّهة بالكلام على الذات المقدَّسة؟ فقال:

اعلم أيها السائل أن كل مَنْ خاف من الله ﷻ استعظم القول بالتكفير لمن يقول لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله؛ إذ التكفير أمرٌ هائلٌ عظيم الخطى؛ لأن مَنْ كفَّر شخصًا فكأنه أخبر أن عاقبته في الآخرة الخلود في النار أبد الآبدين، وأنه في الدنيا مُباح الدم، والمال لا يملك مسلَّمةً، ولا تجري عليه أحكام المسلمين في حياته ولا بعد مماته، والخطأ في ترك ألف كافرٍ أهون من الخطأ في سفك محجمةٍ من دم امرئٍ مسلمٍ.

وفي الحديث: «لأن يُخطئ الإمامُ في العفو أحبُّ إلى الله تعالى من أن يخطئ في العقوبة[1]».

ثم إنّ تلك المسائل التي يُفتى فيها بتكفير هؤلاء القوم في غاية الدقة والغموض؛ لكثرة سعتها، واختلاف قرائنها، وتفاوت دعاويها، والاستقصاء في معرفة الخطإ من سائر صنوف وجهه، والاطِّلاع على حقائق التأويل وشرائطه في أماكنه، ومعرفة دلائله في التوحيد وغوامضه إلى غير ذلك مما هو مُتعذِّرٌ على أكابر علماء عصرنا، فضلاً عن غيرهم، وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير معتقدٍ في عبارةٍ فكيف يحرّرها اعتقاد غيره من عباراته! فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن صرَّح بالكفر، واختارهُ دينًا، وجحد الشهادتين، وخرج عن دين الإسلام، وهذا نادرٌ وقوعه؛ فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع والتسليم للقوم في كل شيءٍ قالوه مما لا يخالف صريح النصوص انتهى.

(١) رواه البيهقي في الكبرى (٨/٢٣٨).

وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «مقدمة الطبقات» قال:

أخبرني الشيخ أمين الدين الإمام بجامع «الغمري» بمصر أن شخصًا وقع في عبارةٍ موهمةٍ للتكفير، فأفتى علماء مصر بتكفيره، فلما أرادوا قتله قال السلطان: هل بقي أحدٌ من العلماء لم يحضر؟ فقالوا: نعم، الشيخ جلال الدين المحلي أشاح المنهاج، فأرسل السلطان وراءه فحضر، فوجد الرجل في الحديد بين يدي السلطان، فقال الشيخ: ما لهذا؟ فقالوا: كفر. فقال: ما مستند مَنْ أفتى بكفره؟ فبادر الشيخ صالح وقال: قد أفتى والدي شيخ الإسلام الشيخ سراج الدين البلقيني في مثل ذلك بالتكفير. فقال الشيخ جلال الدين المحلي: يا والدي أترى أن يُقتل رجلٌ مسلمٌ مُوحدٌ يحبُّ الله ورسوله بفتوى أبيك؟! حِلّوا عنه الحديد. فجرَّدوه، فأخذه الشيخ جلال الدين بيده، وخرج والسلطان ينظر فما تجرَّأ أحدٌ أن يتبعه.

وكان الشيخ محيي الدين العربي قُدِّس سرُّه يقول: كثيرًا ما تهبُّ على قلوب العارفين نفحاتٌ إلهيةٌ، فإن نطقوا بها جَهَّلهم بها كُمَّل العارفين، وردَّها عليهم أصحاب الأدلَّة من أهل الظاهر، وغاب عنهم أن الله سبحانه وتعالى كما أعطى أولياءه من الكرامات التي هي فرع المعجزات فلا بدع أن يُنطق ألسنتهم بالعبادات التي تعجز العلماء عن فهمها.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى:

ومن شكَّ في هذا القول فلينظر في كتاب: «المشاهد»[1].

أو كتاب «عنقاء مغرب»[2] للشيخ محيي الدين.

أو كتاب «الشعائر»[3] لسيدي محمد وفا.

أو كتاب «خلع النعلين»[4] لابن قسي.

فإن أكبر العلماء لا يكاد يفهم منه معنًى مقصودًا لقائلٍ أصلاً؛ بل خاصٌّ بمن دخل مع ذلك المتكلم حضرة القدس، فإنه لسانٌ قدسيٌّ لا يعرفه إلا الملائكة، أو من تجرَّد

---

(١) هو المشاهد القدسية من أعظم كتب الشيخ، وقد حققناه لأول مرة مع شرحه الفخم العظيم للست عجم بنت النفيس البغدادية العامية الأمية، وهو تحت قيد الطبع بدار الكتب العلمية.

(٢) قد شرحه أكثر من واحد، كالشيخ الداموني، يسر الله لنا تحقيقه.

(٣) وهو شعائر أهل العرفان، تحت قيد الطبع بتحقيقنا.

(٤) وهو من الكتب المهمة في الحقيقة المحمدية، أتم الله لنا تحقيقه، ورزقنا سر العلم وفضله.

عن هيئة البشرية، أو أصحاب الكشف الصحيح.

وكان الشيخ عزِّ الدين بن عبد السلام ﷺ يقول بعد اجتماعه على الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ وتسليمه للقوم: من أعظم الدليل على أن طائفة الصوفية قعدوا على أعظم قواعد الشرع وأساسه ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق، ولا يقع شيءٌ قطُّ من ذلك لفقيهٍ إلا إن سلك طريقهم كما هو مشاهدٌ.

وكان الشيخ عز الدين قبل ذلك ينكر على القوم ويقول: وهل لنا طريقٌ غير الكتاب والسنة؟ فلمَّا ذاق مذاقهم وقطع سلسلة الجدل بكراسة الورع صار يمدحهم كل المدح، ولما اجتمع الأولياء والعلماء في وقعة الفرنج بالمنصورة قريبًا من ثغر دمياط جلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ مكين الدين الأسمر والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وأضرابهم وقد قرأ بعضهم عليهم رسالة القشيري، وصار كل واحدٍ يتكلم، إذ جاء الشيخ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُّه فقالوا له: نريد أن تُسمعنا من معاني هذا الكلام. فقال: أنتم مشايخ الإسلام، وكبراء الزمان، وقد تكلمتم فما بقي لكلام مثلي موضعٌ. فقالوا: لا بدَّ من ذلك. فحمد الله، وأثنى عليه، وشرع يتكلَّم، فصاح الشيخ عز الدين من داخل الخيمة، وخرج ينادي بأعلى صوته: هلمُّوا إلى هذا الكلام القريب العهد من الله تعالى، رحمة الله عليهم أجمعين.

وذكر الإمام الغزالي في «الإحياء» عن بعض العارفين أنه كان يقول:

من لم يكن له نصيبٌ من علم القوم يخاف عليهِ من سوء الخاتمة وأدنى نصيبٍ منه التصديق به والتسليم لأهله.

إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق مما نسب المنكرون إلى الشيخ محيي الدين والشيخ عمر بن الفارض وغيرهما القول بالحلول والاتِّحاد.

قال الشيخ عبد الغني الشامي رحمه الله تعالى: وحاشاهم من ذلك؛ بل حاشا أدنى مريدٍ سالكٍ في طريق الصوفية الصَّادقين إلى يوم القيامة مِنْ خطور ذلك في بالهم، أو من إمكانه عندهم، وكيف أمر مستحيل عند المتمسِّكين بالعقول من علماء الكلام وغيرهم فما بالك بالذين هم أعلى منهم مِنْ المتمسّكين بالإيمان، والفتح، والكشف، والإلهام بعد القيام بحسن المعاملة الشرعية في الظاهر والباطن من غير بدعةٍ مع الإخلاص، واليقين، والزهد، والورع، وإن أشبهت كلماتهم على غير أهل طَريقهم، وفَهِمَ منها علماء الإنكار المنكبُّون على الدنيا قبائح المفهومات، فإن الأعمال بالنيَّات،

ولكل امرئٍ ما نوى، والمرء عدوٌّ ما جهله:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحًا وآفتُهُ مِنَ الفهم السقيمِ

ولعمري: لو يَفهم ذلك علماء الظاهر لعذرتهم في أمرهم؛ فإنهم يعتقدون كما تعتقد العوامّ من أن الله تعالى موجودٌ، وكل مخلوقٍ من مخلوقاته موجودٌ أيضًا سبحانه وتعالى، والوجود عندهم جنسٌ عامٌّ مشتركٌ بين القديم وبين الحوادث، وإنما يتميَّز القديم عن الحوادث بالقدم في ذاته وصفاته، وتتميز الحوادث بالحدوث من العدم في ذواتها وصفاتها وفي حال وجودها هي مشاركةٌ للقديم، تعالى في الوجود العام المطلق وهم يعلمون ماذا يترتب على اعتقادهم هذا؛ لأنهم أهل عقولٍ وأفكارٍ، فإذا قيل لهم يلزم على قولكم هذا تركب الحق سبحانه وتعالى من عامٍّ وخاصٍّ كبقية الماهيات الحادثة انتحلوا بعقولهم جوابًا أسكتوا به خصمهم، وبقوا على اعتقادهم ذلك، والله يعلم المفسد من المصلح، فإن الحلول على الحقِّ سبحانه وتعالى في الحوادث يتصور عندهم عقلاً، فيحتاجون إلى إقامة الدليل على استحالته وامتناعه، ويتكلَّفون في ذلك كما بسط الكلام عليه في كتب علم الكلام، وأما عند المحققين من أهل الله تعالى أصحاب الأذواق الوجدانية فلا يتصور الحلول عندهم أصلاً، فلا يحتاجون إلى إبطاله؛ لعدم تصوره عندهم، وعدم خطورةُ في بالهم؛ فإن وجود الحق تعالى وجودٌ حقيقيٌّ ليس بمفهومٍ لهم أصلاً، وإنما عندهم التصديق به على المغيب، ووجود الحوادث أثرٌ من آثار قدرته، وذلك بالنسبة إلى وجوده تعالى عدم صرفٍ، فكيف لوجودٍ يحلُّ في العدم حاشا وكلا! وإذا بطل الحلول بطل الاتحاد بالأولى، وكل الضلالات التي تفهمها علماء الظاهر من كلام المحققين من أهل الله تعالى، ويشنِّعون بها عليهم بين العوامّ والجهَّال؛ لتنقص رتبتهم عندهم، ويحظون بالرفعة في الدنيا.

والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى كلامه.

وقال الشيخ محيي الدين قُدِّس سرُّه في «عقيدته الصغرى»: تعالى الله أن تحلَّه الحوادث أو يحلَّها.

وقال في «عقيدته الوسطى»: اعلم أن الله تعالى واحدٌ بالإجماع، ومقام الواحد يتعالى أن يحلَّ فيه شيءٌ، أو يحلَّ هو في شيءٍ، أو يتحد بشيءٍ.

وقال في الباب الثالث من «الفتوحات»: اعلم أنه ليس في أحدٍ من الله شيءٌ، ولا

يجوز ذلك عليه بوجهٍ من الوجوه.

وقال في «باب الأسرار»: لا يجوز لعارفٍ أن يقول: أنا الله، ولو بلغ أقصى درجات القُرب، وحاشا العارف عن هذا القول حاشاه، إنما يقول: أنا العبد الذليل في المسير والمقيل.

وقال في الباب التاسع وستين ومائة: القديم لا يكون محلاً قطُّ للحوادث، ولا يكون حالاً في المحدث.

وقال في باب الأسرار: من قال بالحلول فهو معلولٌ؛ فإن القول بالحلولِ مرضٌ لا يزول.

وقال فيه أيضًا: الحادث لا يخلو عن الحوادث، ولو حلَّ بالحادثِ القديم لصحَّ قول أهل التجسيم، فالقديم لا يحلُّ ولا يكون محلاً، ومَنْ ادَّعى الوصل فهو في عين الفصل.

وقال فيه أيضًا: اعلم أن العاشق إذا قال: أنا مَنْ أهوى وَمَنْ أهوى أنا فإن ذلك كلامٌ بلسان العشق والمحبة لا بلسان العلم والتحقيق، ولذلك يرجع أحدهم عن هذا القول إذا صحا من سكرته.

وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين: مِنْ أعظم دليلٍ على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلاً أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيءٌ، وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها، وإنما كان القمر مجلًى لها، كذلك العبد ليس فيه من خالقه شيءٌ ولا حلَّ فيه.

وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلامٍ طويلٍ: وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق، ولا حلَّ فيه الحق؛ إذ لو كان عينُ الحق أو حلَّ فيه لما كان تعالى قديمًا ولا بديعًا.

وقال أيضًا في الباب الثاني والسبعين والثلاثمائة بعد كلامٍ طويلٍ.

وبالجملة: فالقلوب به هائمةٌ، والعقول فيه حائرةٌ.

ثم قال: وبذلك ظهرت عظمته سبحانه وتعالى.

وقال الشيخ عمر بن الفارض قُدِّس سرُّه في قصيدته نظم السلوك[1]:

---

(١) انظر: شرح تائية ابن الفارض الكبرى للشيخ القيصري (ص٧٢) بتحقيقنا، طبع العلمية.

وكيف وَبِاسْمِ الحقِّ ظلَّ تخلُّقي تكون إذا جِيف الضَّلالُ مخيفتِي
وها دِحيةُ وافى الأمين نبيَّنا بصورتهِ في بدءِ وحيِ النبوَّةِ
أجبريلُ قلْ لِي كان دِحيةُ إذ بدا لمهدَى الهدى فِي صورةٍ بشريَّةِ
وفِي علمهِ عن حاضريه مزيَّةٌ بماهية المرئي مِنْ غَيرِ مريَّةِ
يرى مَلكًا يُوحِي إليهِ وغيره يرى رجلاً يدَّعي إليه بصحبتهِ
ولِي من أتمَّ الرؤيتين إشارةٌ تنزِّه عن رأي الحلول عقيدتِي
وفي الذكر ذِكرُ اللبس ليس بمنكرٍ ولم أعد عن حكمي كتابٍ وسنةِ

قلت: فَكَذَبَ والله وافترى مَنْ نسب القول بالحلول والاتحاد إلى الشيخ محيي الدين والشيخ عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنهما، وهذه نصوصهما تُكذِّب هذا المفتري، والله أعلم.

قال الفاضل المحقق ابن حجر في «شرح الهمزية»: واعلم أن من الكفر الصريح ما حُكي عن بعض الكراميَّة: أن الولي غير النبي قد يبلغ درجة النبوة.

وعن بعض المتصوفة الجهلة: إن الولاية فوق رتبة النبوة، وأن الولي قد يبلغ حالةً يسقط عنه فيها التكليف.

قال الحجة الغزالي: وقتل الواحد من هؤلاء خيرٌ من قتل مائة كافرٍ؛ لأن ضرر أولئك أشدُّ في الدين، وليس من أولئك العالمان العارفان المحققان الوليان الكبيران المحيوي ابن العربي، والسراج ابن الفارض وأتباعهما بحقٍّ خلافاً لمن زلَّ فيهم قدمه، وطغى قلمه إلا أن يكون أراد بما قاله الذبَّ عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة عند من لا يحيط باصطلاحهم انتهى.

قال الشيخ عبد الغني الشامي رحمه الله تعالى: وأما قول الشيخ الأكبر أنه تعالى أوجد الأشياء وهو عينها فهو مبنيٌّ عنده على اصطلاحه في معرفة الأشياء ومعرفة الحق سبحانه وتعالى؛ فإن الأشياء كلها عنده مجرَّد تقديراتٍ وتصويراتٍ قائمةٍ به تعالى الذي هو مقدِّرها ومُصوِّرها لا مبنيٌّ ذلك على اصطلاح غيره من أن الأشياء كلها أعراضٌ وأجسامٌ مستقلةٌ بنفسها في الوجود لها الاستناد العقلي إلى الحق تعالى بالإيجاد؛ فإن الوجود في اصطلاح الشيخ الأكبر واحدٌ، وهو: الوجود الحقيقي لله تعالى حقيقةً ولغيره بطريق المجاز الذي هو استعمال الشيء في غير ما هو له، فالأشياء كلها عنده يقال لها:

موجودات بطريق المجاز، والوجود المنسوب إليها نسبةٌ مجازيةٌ عدم محضٍ، وإنما الوجود الحقيقي الذي هو مستعملٌ فيما هو له إنما هو وجود الله تعالى، واصطلاحه هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنَّة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ [القصص:٨٨]: أي ذاته.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن:٢٦،٢٧]: أي ذاته سبحانه وتعالى، وذاته سبحانه وتعالى هو الوجود الحقيقي الواحد الأحد، الحق المطلق المنزَّه عن مشابهة كل شيءٍ، والأشياء كلها هي الهالكة الفانية في حدِّ ذاتها، وقال ﷺ: «**كانَ الله ولا شيءَ معه، وهو الآن على ما عليه كانَ**[1]».

وقال ﷺ: «**أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعر لُبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ**[2]».

والباطل خلاف الحق، والله سبحانه وتعالى هو الحق، والأشياء كلها هي الباطل، فكل شيءٍ عينه من حيث الوجود القائم به ذلك الشيء، وذلك الشيء غيره سبحانه وتعالى من حيث الصورة والشيئية الهالكة الفانية، فَصدَقَ حينئذٍ عند العارف أنه تعالى أوجد الأشياء وهو عينها: أي عين وجودها التي هي موجودةٌ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه «اليواقيت والجواهر»: ومما أنكره المتعقِّبون على الشيخ بحسب الإشاعة قولهم: أن الشيخ محيي الدين يقول بفساد قول لا إله إلا الله، وذلك كفرٌ.

والجواب بتقدير صحة ذلك عنه: أن المراد أن الحق سبحانه وتعالى ثابتٌ في الألوهية قبل إثبات المثبت، ومن كان ثابتًا لا يحتاج إلى إثباتك؛ إذ ما ثمة من تثبت ألوهيته من الخلق حتى يُنفى، وإنما تعبَّد الله المؤمن بذلك على سبيل التلاوة؛ ليأجره الله على ذلك، وحاشا الشيخ أن يصرِّح بفساد قول لا إله إلا الله هذا لا يقوله عاقلٌ؛ لأنها من القرآن العظيم؛ فافهم.

ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول في كتبه مرارًا: لا موجود إلا الله.

والجواب: أن معنى ذلك بتقدير صحته عنه: أنه لا موجود قائمٌ بنفسه إلا هو

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (١٠٤/٤)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١٧١/٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٩٥/٣)، ومسلم (١٧٦٨/٤)، والترمذي (١٤٠/٥)، وأحمد (٢٤٨/٢).

سبحانه وتعالى وما سواه قائمٌ بغيره، كما أشار إليه: (**ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ**)، ومن كان حقيقته كذلك فهو إلى العدم أقرب؛ إذ هو وجودٌ مسبوقٌ بعدمٍ، وفي حال وجوده مترددٌ بين وجودٍ وعدمٍ لا يخلص لأحد الطرفين، فإن صحَّ أن الشيخ قال: لا موجود إلا الله، فإن ذلك عند من تلاشت عنده الكائنات حين شهوده الحق سبحانه وتعالى بقلبه كما قال أبو القاسم الجنيد: مَنْ شَهِدَ الحق لم يرَ الخلق، ومن ذلك دعوى المنكر أن، الشيخ محيي الدين جعل الحق تعالى الخلق واحدًا في قوله في بعض نظمه:

فيحمدنِـــــــي وأحمـــــــدهُ ويعبدُنِـــــــي وأعـــــــبدُهُ

والجواب: بتقدير صحته عنه أن معنى يحمدني: يشكرني إذا أطعته كما في قوله: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة:١٥٢].

وأمَّا قول الشيخ: ويعبدني: أي يُطيعني بإجابة دعائي، كما قال تعالى:

﴿**لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ**﴾ [يس:٦٠]: أي لا تطيعوه، وإلا فليس أحدٌ يعبد الشيطان كما يعبد الله تعالى؛ فافهم.

وقد ذكر في الباب السابع والخمسين وخمسمائة من «الفتوحات المكية» بعد كلامٍ طويلٍ ما نصُّه: وهذا يدلُّك صريحًا على أن العالم ما هو عين الحق؛ إذ لو كان عين الحق تعالى ما صحَّ كون الحق بديعًا انتهى، والله أعلم.

ومن ذلك دعوى المنكر بأن الشيخ يقول بقبول إيمان فرعون، وذلك كَذِبٌ وافتراءٌ على الشيخ؛ فقد صرَّح الشيخ في الباب الثاني والستين من «الفتوحات»: بأنَّ فرعون من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين، والفتوحات من آخر مؤلفاته؛ فإنه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين.

قال شيخ الإسلام الخالدي: والشيخ محيي الدين بتقدير صدور ذلك عنه لم ينفرد به، بل ذهب جمعٌ كثير من السَّلف إلى قبول إيمانه؛ لما حكى الله تعالى عنه أنه قال: ﴿**آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين**﴾، وكان ذلك القول آخر عهده بالدنيا.

وقال أبو بكر الباقلاني: قبول إيمانه هو الأقوى من حيث الاستدلال، ولم يرد لنا نصٌّ صريحٌ أنه مات على كفره انتهى.

ودليل جمهور السلف والخلف على أنه آمن عند اليأس، وإيمان أهل اليأس لا يُقبل، والله أعلم انتهى.

قال الفاضل بن حجر في «الزَّواجر»: فإن قلت: قد قال الإمام العارف المحقِّق محيي الدين بن العربي في «فتوحاته»: بصحة الإيمان عند الاضطرار، وأن فرعون مؤمنٌ، قلت: هذا كلامٌ مقررٌ، وإن كنَّا نعتقد جلالة قائله فإن العصمة ليست إلا للأنبياء.

ولقد قال الإمام مالك وغيره: ما من أحدٍ إلا مأخوذٌ من قوله ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر: يعني النبي ﷺ، على أنه قد نقل عن بعض كتب ذلك الإمام أنه قد صرَّح فيها بأن فرعون مع هامان وقارون في النار، وإذا اختلف كلام العام فيؤخذ منه بما يوافق الأدلة الظاهرة ويعرض عمَّا خالفها انتهى.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه «اليواقيت»:

ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول: بإباحة المكث للجُنب في المسجدِ، فإن صحَّ ذلك عن الشيخ فهو موافقٌ فيه لابن عباس والإمام أحمد بن حنبل، وهو مذهب الإمام المزني وجماعةٍ من التابعين والفقهاء، فقول المنكر: أن الشيخ خالف في ذلك الشريعة وأقوال الأئمة المجتهدين مردودٌ.

ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول: إن الولي أفضل من الرسول.

والجواب: إن الشيخ لم يقل ذلك، وإنما قال: اختلف الناس في نبوة النبي وولايته أيهما أفضل؟ والذي أقول به: أن ولايته أفضل لشرف المتعلق به، ودوامها في الدنيا والآخرة بخلاف الرسالة؛ فإنها تتعلق بالخلق، وتنقضي بانقضاء التكليف انتهى.

ووافقه على ذلك عز الدين بن عبد السلام، فالكلام في رسالة النبي مع ولايته لا في رسالته، ونبوَّته مع ولاية غيره؛ فافهم.

وبقي مسائل كثيرةٌ نُسبت للشيخ، وسيأتي بيان أنها افتراءٌ وكذبٌ على الشيخ، منبوذةٌ في مباحثها، وفي المثل السَّائر، وَيَعْيَا المداري في طريق المخالف، والله أعلم، انتهى ما ذكره في كتاب «اليواقيت والجواهر».

وقد ذكر رحمه الله تعالى بيان افتراء تلك المسائل على الشيخ في مباحثها، فلا نطوِّل الكلام بذكرها.

وسُئل الإمام النووي عن الشيخ محيي الدين؟ فقال: تلك أمةٌ قد خلت، ولكن الذي

عندنا أنه يحرم على كل عاقلٍ أن يُسيء الظن بأحـدٍ من أولياء الله تعالى، ويجب عليه أن يؤوِّل أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحقْ بدرجتهم، ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق.

وقال رحمه الله تعالى في «شرح المهذب»: وإذا أوَّل كلامهم فيُؤول إلى سبعين وجهًا، فإن لم يقبل كلامهم تأويلاً منها فليرجع على نفسه باللوم، ويقول: يحتمل كلام أخيك المسلم سبعين وجهًا، ولا تقبل منه تأويلاً واحدًا ما ذاك إلا تَعنُّدٌ وتعقُّبُ انتهى.

هذا.. وإليك **القسم الثاني** في ردِّ بعض الاعتراضات والشبه عن الشيخ قُدس سره:

- قال المعترض: جاء في الغنية عن الشيخ عبد القادر أنه يقول بالجهة، لقول الشيخ: وهو بجهة العلو مستوٍ على العرش محتوٍ على الملك.

قلت: وهذا جهل واضح من المعترضين، حيث قول الشيخ في هذا الموضع بعد ذكره للآيات والأحاديث: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وكونها على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أُرسل بلا كيف، وذكر نحو هذا في سائر الصفات.

فإن كلام الشيخ في الغنية هو معنى التفويض الذي هو مذهب سلف هذه الأمة.

وبه قال أتباع الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، ومقابله التأويل وهو مذهب الخلف[1].

ولذلك قال الشيخ الشعراني ﷺ في كتاب اليواقيت (ص٨٩): رأيت في كتاب البهجة المنسوبة لسيدي عبد القادر الجيلي ﷺ ما نصه: اعلموا أن عبادتكم لا تدخل الأرض، وإنما تصعد إلى السماء قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] فربنا سبحانه وتعالى في جهة العلو: الله على العرش استوى وعلى الملك احتوى وعلمه محيط بالأشياء بدليل سبع آيات في القرآن العظيم في هذا المعنى، لا يمكنني ذكرها لأجل جهل الجاهل ورعونته انتهى.

قال: فلا أدري أذلك الكلام دُسَّ على الشيخ في كتابه أم وقع في ذلك في بدايته ورجع عنه لما دخل في الطريق، فإن من المعلوم عند كل عارف بالله تعالى أنه تعالى لا يتحيز. والشيخ قد شاعت ولايته في أقطار الأرض فيبعد من مثله القول بالجهة قطعًا.

---

(١) انظر: السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني للشيخ بن عزوز المكي (ص٤٩٢) بتحقيقنا، فإنه قد حل الإشكال، وأوضح المقال في هذا الاعتراض.

وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي ﷺ أنه لا يلزم من قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] أن يكون تعالى في جهة الفوق دون غيرها بدليل قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣] ظرفية تليق بجلاله.

وأجمع المحققون أن شهود الحق تعالى في حال السجود صعود وإن كان السجود في أسفل سافلين.

وأما قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥] أي يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابًا من فوق رؤوسهم، هذا هو الاعتقاد الحق.

قلت – أي الشعراني -: ويصح حمل قول السيد عبد القادر الجيلي السابق أنه تعالى في جهة العلو على أن مراده بجهة العلو الجهة التي قصد العبد قضاء حاجته منها وإن كانت في السفليات، **هذا لا يبعد على مقام الشيخ** انتهى والله تعالى أعلم.

قلت: لم يثبت عن الشيخ عبد القادر أنه قال بأقوال المشبهة والمجسمة والمعطلة، بل مذهبه في الأسماء والصفات والرؤية والعرشية وغيرها من مسائل الاعتقاد مذهب أهل الحقائق بالإثبات والتنزيه، وهو منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، وهو ما عليه اعتقاد المحققين من السادة الصوفية.

وذلك واضح في كتبه وما كُتب عنه قدس الله سره العزيز.

ألا ترى قول الشيخ في فتوح الغيب (ص١٤٩): الحمد لله الذي كيّف الكيف وتنزه عن الكيفية، وأيّن الأين وتعزز عن الأينية، ووجد في كل شيء وتقدس عن الظرفية، وحضر عن كل شيء وتعالى عن العندية، فهو أول كل شيء وليس له آخرية.

وإن قلت: أين فقد طالبته بالأينية، وإن قلت كيف فقد طالبته بالكيفية، وإن قلت: متى فقد زاحمته بالوقتية، وإن قلت: ليس فقد عطلته عن الكونية، وإن قلت: لو فقد قابلته بالنقصية، وإن قلت لم فقد عارضته في الملكوتية.

سبحانه وتعالى لا يسبق بقبلية ولا يلحق ببعدية، ولا يقاس بمثلية، ولا يقرن بشكلية، ولا يعاب بزوجية ولا يعرف بجسمية.. إلى آخر كلامه قدس سره.

وقال ﷺ كما في القلائد (ص٢٧٦): قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]: لا شبيه له ولا نظير ولا عون له ولا ظهير ولا شريك ولا وزير ولا ند له ولا ذي تركيب مشير، ليس بجسم فيمس، ولا جوهر فيحس ولا عرض فينتفي، ولا ذي تركيب

فيتبعض، ولا ذي آلة فيمثل ولا ذي تأليف فيكيف، ولا ذي ماهية مخيلة فيحدد ولا ذي طبيعة من الطبائع ولا طالع من الطوالع ولا ظلمة تظهر ولا نور يزهو ... إلى آخره.

- ومما نقل عن الشيخ ﷺ قوله: «**قَدَمي هذا على رقبة كل وليٍّ لله**».

قال الشيخ يوسف بن الملا عبد الجليل الكردي: ثم العجب العجيب والأمر الغريب ممن تجرأ على خرق إجماع المسلمين، ووقع في حضرة إمام العارفين، وشيخ شيوخ العالمين صاحب القَدَمِ من القِدَم، غوث البريَّة، قطب العرب والعجم، من خضعت له الرقاب، وشهدت بسلطنته الأقطاب، بحر العلم اللدنيِّ، مولانا الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني، مروِّح الله تعالى أروحنا بنفحات روحه، وفتح أقفال قلوبنا بمفاتيح فتوحه، ولا زالت رحمة الرحمن فيَّاضةً على روحه في كل حينٍ وآنٍ، آمين.

وزعم أن قوله رضي الله تعالى عنه وقَدِّس روحه: قَدَمي هذا على رقبة كل وليٍّ لله، قالهُ بحظِّ نفسٍ وهوًى كامنٍ، وحاشاه ثم حاشاه من ذلك؛ بل إذا كان كامنًا في باطنه يظن أن أصفياء الله تعالى مثله منطوون على خبث الضمائر، ومتصفون بالصفات الرذائل، نعوذ بالله العظيم من الخذلانِ، وسوء الظن بأولياء الله أهل العرفان، ولقد صدق من قال:

وإذا رأى الإنسانُ نقصًا إنَّما ... مِرآتهُ تجلي عليهِ بحالهِ

فإن من قُرِّبَ هذا التقريب وعُرِّف هذا التعريف ومُكِّن هذا التمكين وصُرِّف هذا التصريف وخضع له رقاب أكابر الأولياء هذا الخضوع ورجع إليه العارفون بالله تعالى هذا الرجوع وزفَّته العناية هذه الزفات المشعرة بعظيم جلالته وضرب له الوجود بمعازف السرور عند رؤية طلعته ورقص الكون جميعه طربًا لظهور ولايته وحَمَلَ بين يديه علم القطبيَّة وتُوِّج بتاج الغوثيَّة، وأُلبس خلعة التصريف العام النافذ في جميع الوجود ومشت أكابر الأولياء من الصدِّيقين والبُدلاء تحت ركابه بأمر الملك المعبود واشتهرت في الوجود كراماته وجمعه بين علمي الظاهر والباطن يستحيل أن يكون قال ذلك بحظِّ نفسٍ وهوًى كامنٍ، والله سبحانه وتعالى يقول في محكم آياته: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام:١٢٤]، كيف وقد أجمع على فضله وعلمه وجلالة قدره الخاص والعام من زمنه إلى هذه الأيام! بل قد ذكر العلماء الأعلام أن كراماته قربت من التواتر بين أهل ملة الإسلام، فيكون صدور هذا القول عنه امتثالاً لأمره، ويكون

ذلك الأمر تنويهًا بفضله، وبيانًا لعلوِّ شأنه، وتعريفًا للجاهل بكبر قدره، وإرشادًا إلى التعلُّق به، والتوسل برفيع جاهه، وغير ذلك من المصالح.

وقد رُوي في كتاب «مناقبه» من طرقٍ كثيرةٍ بروايات شهيرةٍ عن جماعةٍ من المشايخ الأكابر والعلماء الأفاضل والأخيار الثقاة واشتهر واستفاض حتى في الجهات البعيدة أنه قال في مجلسه وهو على الكرسي يتكلم على الناس: «قدمي هذه على رقبة كل وليِّ لله» وكان في مجلسه حينئذٍ عامة مشايخ العراق، ورُوي أنهم كانوا نحوًا من خمسين شيخًا، ورُوي نيفًا وخمسين شيخًا:

منهم: الشيخ **أبو النجيب السهروردي**، والشيخ **قضيب البان الموصلي**، والشيخ **أبو السُّعود أحمد بن أبي بكر العطاء**، وغيرهم من المشايخ الأكابر المعدودين.

ورُوي من طرقٍ كثيرةٍ عن خلائق من الأولياء أنه لم يبق أحدٌ من الأولياء في ذلك الوقت من الحاضرين والغائبين في جميع آفاق الأرض إلا حَنى له رقبته إلا رجلا بأصبهان؛ فإنه لم يفعل، فسُلب حاله.

ورُوي أن الشيخ أبا النجيب السهروردي طأطأ رأسه حتى كاد يبلغ الأرض، وقال: على رأسي على رأسي على رأسي، قالها ثلاث مراتٍ، وكان من جملة من حَنى له رقبته من الغائبين الكبار المشهورين: الشيخ أبو مدين المغربي، والشيخ عبد الرحيم القناوي، والشيخ أحمد بن أبي الحسين الرفاعي رضي الله عنهم أجمعين.

فأما الشيخ أحمد الرفاعي: فرووا عنه أنه كان جالسًا يومًا برواقه بأم عبيدة، فمدَّ عنقه وقال: على رقبتي، وفي رواية أنه قال: وحميد منهم، فسُئِل عن ذلك، فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل وليِّ لله.

وأما الشيخ أبو مدين المغربي: فرووا عنه أنه حَنى رأسه يومًا وهو بين أصحابه، وقال: وأنا منهم اللَّهُمَّ إني أُشهدك وأُشهد ملائكتك أني سمعت، وأطعت. فسأله أصحابه عن ذلك؟ فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد قدمي هذه على رقبة كل وليِّ لله، فأرَّخوا ذلك وهم في المغرب، ثم جاء المسافرون من العراق، وأخبروا أن الشيخ عبد القادر الكيلاني قال ذلك في الوقت الذي أرَّخوه.

وأما الشيخ عبد الرحيم القناوي: فرووا عنه أنه مدَّ عنقهُ يومًا بقنا، وقال: صدق الصَّادق المصدوق. فقيل له: ومن هو؟ فقال: الشيخ عبد القادر الكيلاني قد قال: قدمي

هذا على رقبة كل وليٍ لله، وتواضع له رجال الشرق والمغرب، فأرَّخوا ذلك الوقت، ثم جاء الخبر بذلك في ذلك الوقت.

ورُوي بأسانيد كثيرةٍ من طرقٍ متعددةٍ عن جماعةٍ من كبار المشايخ أنه لم يقل ذلك إلا بأمرٍ.

منهم: **الشيخ عدي بن مسافر الأموي قال:** إنما وَضَعَتْ الأولياء كلهم رؤوسهم لمكان الأمر، ألا ترى الملائكة لم يسجدوا لآدم عليه السلام إلا لورود الأمر عليهم.

ومنهم: **والشيخ أبو سعيد القليوبي قال:** قالها بأمرٍ لا شكَّ فيه، وهي لِسَان القطبيَّة.

ومنهم: **الشيخ على الهيتي:** لَمَّا قال الشيخ عبد القادر مقالته تلك صَعَدَ إليه فوق الكرسي، وأخذ قدمه، وجعلها على عنقهِ، ودخل تحت ذيله، فقال له أصحابه: فلِمَ فعلت ذلك؟ فقال: لأنه أُمر أن يقولها، وأُذن له في عزل من أنكرها عليه من الأولياء، فأردتُ أن أكون أول من سارع إلى الانقياد له.

ومنهم: **الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي** قيل له: هل قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذا على رقبة كل وليٍ لله بأمرٍ أو بلا أمرٍ؟ قال: بلى قالها بأمرٍ.

ومنهم: **الشيخ أبو محمد القاسم قال:** لما أُمر الشيخ عبد القادر بقول: قدمي هذه على رقبة كل وليٍ لله رأيتُ الأولياء بالمشرق والمغرب واضعين رؤوسهم تواضعًا إلا رجلاً بأرض العجم فإنه لم يفعل، فتوارى عنه حاله.

ومنهم: **الشيخ حياة بن قيس الحرَّاني قال:** قد غشانا زمانٌ مديدٌ في ظلِّ حماية سيئات الشيخ عبد القادر الكيلاني وشَرِبنا كؤوسًا هنيئةً من مناهل عرفانه، ولقد كان النفس الصادق يصدر عنه، فيبسط من شعاع نوره في الآفاق استطارة النار، فيقتبس منه الأسرار أصحاب الأحوال على قدر مراتبهم، ولما أتاه الأمر بقول: قدمي هذه على رقبة كل وليٍ لله زاد الله جميع الأولياء نورًا في قلوبهم، وبركةً في علومهم، وعلوًّا في أحوالهم بسبب وضعهم رؤوسهم.

ورُوي بأسانيد صحيحةٍ متعددةٍ كثيرةٍ عن جماعةٍ من الشيوخ الكبار أنهم أخبروا عنه أنه سيقول مقالته تلك قبل أن يقولها بسنين كثيرةٍ، بعضهم قال ذلك بنحو مائةٍ.

منهم: **الشيخ عبد الله الجونيُ** روى عنه الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني قال: سمعت شيخنا أبا أحمد عبد الله بن علي الجوني سنة أربعٍ وستين

وأربعمائةٍ يقول: أُشهدت أنه سيولد بأرض العجم مولودٌ، له مظهرٌ عظيمٌ بالكرامات، وقبولٌ تامٌ عند الكافة، ويقول: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، ويندرج الأولياء في وقته تحت قدمه ذلك الذي يشرق به زمانه، وينتفع به من رآه.

ومنهم: **الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء** قال لمن حضره لما أتى الشيخ عبد القادر لزيارته وهو شابٌّ: قوموا لوليِّ الله، وربما يمشي إليه في وقتٍ خطواتٍ، وكان الشيخ عبد القادر يتكرَّر إليه، فلمَّا تكرَّر منه قوله: قوموا لوليِّ الله قال له أصحابه في ذلك، فقال لهذا الشاب وقت إذا جاء افتقر إليه فيه الخاص والعام، وكأنِّي أراه قائلاً ببغداد على رؤوس الأشهاد وهو محقٌّ: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، فتوضع له رقاب الأولياء في عصره؛ إذ هو قطبهم، فمن أدرك منكم ذلك الوقت فليلزم خدمته.

ومنهم: **الشيخ عقيل المنبجي قُدِّس سرُّه** سُئل عن القطب في وقته؟ فقال: هو في وقتنا هذا بمكة مخفيٌّ لا يعرفه إلا الأولياء، وسيظهر هنا، وأشار إلى العراق، وهو شريفٌ يتكلَّم على الناس ببغداد، يعرف كراماته الخاص والعام، وهو قطب وقته، يقول: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، وتضع له الأولياء رقابهم، ولو كنتُ في زمانه لوضعت له رأسي، ذلك الذي ينفع الله به مَنْ صدَّق بكراماته من سائر الناس.

ومنهم: **الشيخ على بن وهب البخاري قُدِّس سرُّه قال:** إن الله تعالى قد نوَّر الوجود بظهور رجلٍ اسمه عبد القادر، مظهره في العراق، يقول ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، ويقرُّ أولياء عصره بفضله.

ومنهم: **الشيخ حمَّاد الدبَّاس قُدِّس سرُّه** قال الشيخ أبو النجيب عبد القادر السهروردي: كنت عند الشيخ حمَّاد بن مسلم الدبَّاس ببغداد سنة ثلاثٍ وخمسمائةٍ، والشيخ عبد القادر يومئذٍ في صحبته، فجاء، فجلس بين يديه متأدِّبًا، ثم قام، فسمعت الشيخ حمَّاد يقول بعد قيام الشيخ عبد القادر لهذا العجمي: قدمٌ تعلو في وقتها على رقاب الأولياء في ذلك الوقت، وليُؤمرنَّ أن يقول: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، وليقولنَّ، ولتوضعنَّ له رقاب الأولياء في زمانه.

وقد سَبَقَ قول الغوث في قصة ابن السقَّا، ومما أخبر به جماعةٌ من المشايخ الكبار أهل الكشف والأنوار والمعارف والأسرار قدَّس الله تعالى أرواحهم عن هيئة الحال، لما قال الشيخ عبد القادر ذلك المقال.

منهم: الشيخ أبو سعيد العز بن أحمد القيلوي قال: لما قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله تجلَّى الحق سبحانه وتعالى على قلبه، وجاءته خُلعةٌ من رسول الله ﷺ على يد طائفةٍ من الملائكة المقرَّبين والبهاء بمحضرٍ من الأولياء من تقدَّم منهم ومن تأخَّر، الأحياء بأجسادهم، والأموات بأرواحهم، وكانت الملائكة ورجال الغيب حافِّين بمجلسه، واقفين في الهواء صفوفًا حتى انسدَّ الأفق بهم، ولم يبقَ وليٌّ لله تعالى في الأرض إلا حَنى عنقه.

ومنهم: الشيخ بقا قُدِّس سرُّه قال: لما قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله قال الملائكة: صَدَقت يا عبدَ الله.

ومنهم: الشيخ عدي بن مسافر الأموي قُدِّس سرُّه، والشيخ أحمد الرفاعي قُدِّس سرُّه روى عن الشيخ عدي أنه لما ذكر بين يديه الشيخ عبد القادر قال: بخٍ بخٍ، ذلك قطب الأرض، وضع ثلاثمائة وليٍّ لله، وسبعمائة غَيبي، ما بين جالسٍ في الأرض ومارٍّ في الهواء، ممتدة أعناقهم له في وقتٍ واحدٍ حين قال: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله.

قال الراوي: فعظم ذلك عندي، ثم بعد مدةٍ أتيت أم عبيدة؛ لأزور الشيخ أحمد بن الرفاعي، فذكرت له ما سمعت من الشيخ عدي، قال: صَدقَ الشيخ عدي.

ومنهم: الشيخ ماجد، والشيخ مطر قُدِّس سرُّهما روي عن الشيخ ماجد أنه قال: لما قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله لم يبقَ لله وليٌّ في الأرض في ذلك الوقت إلا حنى عنقه تواضعًا له، واعترافًا بمكانته، ولم يبقَ نادٍ من أندية صالحي الجن من جميع الأقطار في الآفاق في ذلك الوقت إلا وفيه ذكر ذلك، وقصدته وفود صالحي الجن من جميع الأقطار مسلِّمين عليه، وتائبين على يديه، وازدحموا في بابه.

قال الراوي: فأتينا إلى الشيخ مطر؛ لزيارته وفي أنفسنا إعظام ما سمعناه من الشيخ ماجد، فلمَّا دخلنا عليه رحَّب بنا، وقال: صدق أخي الشيخ ماجد فيما أخبركم به عن الشيخ عبد القادر.

ومنهم: الشيخ مكارم قدَّس سرُّه قال: أشهدني الله ﷻ أنه لم يبقَ أحدٌ ممن عقد له الولاية في أقطار الأرض أدناها وأقصاها إلا شاهد علم القطبية محمولاً بين يدي الشيخ عبد القادر، وتاج الغوثية على رأسه، ورأى عليه خلعة التصريف النافذ في الوجود

وأهله ولايةً وعزلاً معلمةً بطرازي الشريعة والحقيقة، وسَمِعْتهُ يقول: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، ووضع رأسه، وذلل قلبه له في وقتٍ واحدٍ حتى الأبدال العشرة.

قال الراوي: قلت: مَنْ هم؟ قال: الشيخ بقاء بن بطو، والنهر ملكي، والشيخ أبو سعيد القليوي، والشيخ علي بن الهيتي، والشيخ عدي بن مسافر الأموي، والشيخ موسى الزولي، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ عبد الرحمن الطفسونجي، والشيخ محمد بن عبيد البصري، والشيخ حيَّاة بن قيس الحرَّاني، والشيخ أبو مدين المغربي قدَّس الله تعالى أرواحهم أجمعين.

ومنهم: الشيخ خليفة قُدِّس سرُّه، وكان كثير الرؤيا للنبي ﷺ، روى عنه الشيخ أبو القاسم بن أبي بكر بن أحمد بن أبي السعادات البندينجي أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله.

قال: صدق الشيخ عبد القادر، كيف لا وهو القطب وأنا أرعاه!.

فهذه نُبذةٌ يسيرةٌ مما يتعلق بقول الشيخ عبد القادر قُدِّس سرُّه مقالاته المذكورة، وقد أضربت عن أشياء كثيرةٍ مما يتعلق بذلك ومما يدل على عظمة فضله وجلالة قدره، ضربت وحذفت الأسانيد للاختصار، ولا حاجة إليها أيضًا؛ لكثرة ما في ذلك من الإشهار، وقد ذكر بعض أهل العلم أن كراماته قربت من التواتر يعني: قرب حصول العلم بوجودها من العلم القطعي الحاصل بكثرة الرواة البالغين حدَّ التواتر المعروف؛ لكثرة المخبرين عنها، وقد ذكرت شيئًا منها في باب الكرامات الآتي قريبًا.

وبالجملة: فهذا الذي ذكرته مِنْ فضله، وإن عظم فهو قطرةٌ من بحر فضائله، أو غبارٌ من رمال ساحله.

وقد رُوي بالسند الصحيح عن الشيخ أبي الرضا محمد بن أحمد بن داود البغدادي المعروف بالمقيَّد قال: كنت كثيرًا ما أتوقع من أسئلةٍ عن شيءٍ من صفات القطب، فدخلت أنا والشيخ أبو الخليل أحمد بن أسعد بن وهب بن علي المقري إلى جامع الرِّصافة، فوجدنا فيه الشيخ أبا سعيد القيلوي، والشيخ على الهيتي، فسألت الشيخ أبا سعيد عن ذلك؟ فقال: إلى القطب انتهت رئاسة هذا الأمر في وقته، وعنده تُحط رحال جدالة هذا الشأن. قلت: فمن هو هذا؟ قال: هو الشيخ عبد القادر الكيلاني، فلم أتمالك أنا، وثبتُ، ووثبوا كلُّهم؛ لنحضر مجلس الشيخ عبد القادر، ولا تقدَّم منا أحدٌ ولا تأخَّر

ولا تفرَّقنا وما منَّا إلا مَنْ يشتهي أن يسمع شيئًا في هذا المعنى، فوافيناه يتكلم، فلمَّا استقر بنا المجلس قطع كلامه، وقال: أنّى للواصف أن يبلغ وصف القطب ولا مسلك في الحقيقة إلا وله فيه مأخذٌ مكينٌ، ولا درجة في الولاية إلا وله فيها موطئٌ ثابتٌ، ولا مقام في النهاية إلا وله فيه قدمٌ راسخٌ، ولا منازلةٌ في المشاهدة إلا وله منها مشربٌ هنيءٌ لا يشقى جليسه، ولا يغيب شهوده، ولا يتوارى عن حاله بشرٌ تابعٌ له حدٌّ ينتهى إليه، ووصفٌ ينحصر فيه، وتكلُّفٌ يجب عليه، ثم أنشد بعد كلامٍ طويلٍ في ذلك من غير ترنُّمٍ ولا أغانٍ:

مـا فـي الـصبابةِ مـنهلٌ مـستعذبٌ ... إلا ولِـي فـيه الألـذُّ الأطـيبُ

أو فـي الوصـالِ مكانـةٌ مخـصوصةٌ ... إلا ومنزلتِـي أعـزُّ وأقـربُ

وهـبتْ لِـي الأيـامُ رونـقَ صـفوها ... فَحَـلاَ مـناهلها وطـاب المـشربُ

وغـدُوتُ مخطـوبًا لكـلِّ كـريمةٍ ... لا يهـتدي فـيها اللبـيبُ ويخطـبُ

أنـا مِـنْ رجـالٍ لا يخـافُ جليـسُهم ... ريـبَ الـزمانِ ولا يـرى مـا يُـرهِبُ

قـومٌ لهـم فِـي كـلِّ مجـدٍ رتـبةٌ ... علـويَّةٌ وبكـلِّ جـيشٍ مَـوكبُ

أنـا بلـبلُ الأفـراحِ أمـلأُ دوحَهـا ... طـربًا وفـي العلـياء بـانٍ أشـهبُ

أضحتْ جيوشُ الحبِّ تحت مَشيئتِي ... طـوعًا ومهمـا رمـته لا يعـزبُ

أصـبحتُ لا أمـلاً ولا أمنـيةً ... أرجـو ولا موعـودةً أتـرقبُ

مـا زلـتُ أرتـعُ فِـي مـيادين الرِّضـا ... حتَّـى وُهـبتُ مكانـةً لا تُـوهبُ

أضـحى الـزمانُ كحُلـةٍ مـرقومةٍ ... تـزهو ونحـن لهـا الطـرازُ الْمُـذَهّبُ

أَفِلَـتْ شـموسُ الأوَّلـينَ وشمـسُنا ... أبـدًا علـى فَلَـك العُـلا لا تغـربُ

ثم قال: كل الطيور تقول ولا تفعل، والبازي يفعل ولا يقول، ولأجل هذا صار أكفُّ الملوك سُدَّتَهُ، فقام إليه الشيخ أبو منصور بن المبارك الواعظ المعروف بجرادة، وأنشد يقول:

بـكَ الـشهورُ تُهـنَّا والمواقـيتُ ... يـا مَـنْ بألفاظـهِ تغلـو اليواقـيتُ

الـبازُ أنـت فـإنْ تفخـرْ فـلا عجـبَ ... وسـائرُ الـناَّسِ فـي عينِـي فواخـيتُ

وأشـمُّ مـن قدميك الصدقَ مجتهدًا ... لأنَّـه قـدمٌ فـي نعلـهِ الـصيتُ

فقام الشيخ علي بن الهيتي وَقبَّل قدم الشيخ عبد القادر، قال: فكتبنا المجلس عندنا

وحفظنا ما وقع فيه.

قلتُ: وقد أوَّل بعض العلماء قوله قُدِّس سرُّه: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، فقال: المراد بذلك شريعتي وعلمي الذي هو شريعة محمَّدٍ ﷺ، كما يُقال: القدم على القدم: أي العلم على العلم، والله أعلم.

قال الشيخ اليافعي في كتابه «نشر المحاسن»:

اعلم وفَّقنا الله تعالى وإيَّاك لفهم الحق واتِّباعه وَجَعَلنا جميعًا ممن انتفع به ونفع الغير بانتفاعه أن القوم وردوا بحرًا ليس له ساحلٌ، وكل أحدٍ من المنكرين عليهم من ذلك المورد ما حلَّ، وبما فيه من جواهر المعارف والأسرار والحِكَم جاهلٌ، وسُقوا بكؤوس الوصل راح المحبة التي لم يشمَّ ريحها مَن لم يقضِ من قتل نفسه بحبِّه، فأخذ ينكر عليهم مَنْ لم يعرف تلك الجواهر التي لا يعرفها إلا من هو في ذلك البحر ماهرٌ؛ وذلك لجهله بالأسرار التي في تلك المعارف، والرَّاح التي في تلك المغارف، فإن الشَّطح الصادر عنهم منه ما وقع منهم في حال السكر والغيبة بواردات الأحوال، والسُكر سببٌ مباحٌ يُسقط التكليف بالشرع بالشرط المعروف في كتب الفقه، ومنه ما صدر منهم على سبيل الحكاية عن الله ﷻ.

وممن قال أن هذا القول صَدَرَ عنه في حال السُكر الشيخ عبد القادر الكيلاني، ومنه ما أمروا به، فصدر عنهم امتثالاً للأمر، ويكون ذلك الأمر تنويهًا بفضلهم، وبيانًا لعلوِّ شأنهم، وتعريفًا للجاهل بكِبَر قدرهم، وإرشادًا إلى التعلُّق بهم، والتوسل برفيع جاههم، وغير ذلك من الصالح، ومن ذلك قول الشيخ عبد القادر الكيلاني قُدِّس سرُّه: (قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله)، وشطحات المشايخ كثيرةٌ جدًّا، فكل ما بلغك عن أحدٍ منهم مِنْ شطحٍ فاحمله على أحد المحامل المذكورة على حسب ما يليق بحاله تسلم وتغنم إن شاء الله تعالى انتهى. وانظر: الانتصار للأولياء الأخيار (ص٦٤) وما بعده.

- وأما ما نسب إليه ﷺ قوله:

«معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب، وأوتينا ما لم تؤتوا»

قال الشيخ العطار: وأما قول سيدنا سلطان الأولياء عبد القادر: «معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب، وأوتينا ما لم تؤتوا».

فهو من باب قول الخضر لموسى عليهما السلام: (أنا على علمٍ أوتيته لم تؤته) أو

معنى ذلك، مع أنا لا نتوقف في فضل موسى على الخضر، وفضل الله يؤتيه من يشاء، كيف وعلم رجال هذه الأمة موروث عنه ﷺ، وقد علم ما لم يعلمه غيره من الأنبياء، فقد فاز رجال هذه الأمة بالعلم الموروث عنه ﷺ.

وقال أيضًا الشيخ الشعراني معقبًا على ذلك: اعلم أن قوله ﷺ: «إنما أوتيتم اللقب» أي حجر علينا لقب النبي ﷺ وإن كانت النبوة سارية إلى يوم القيامة في أكابر الرجال لأنهم نواب الأنبياء وورثتهم، وأما قوله: «وأوتينا ما لم تؤتوا».

فهو معنى قول الخضر عليه السلام الذي شهد بعدالته وتقدمه في العلم لموسى عليه السلام: (أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت) يريد من الوجه الخاص الذي بين كل إنسان وبين ربه، ويحتمل أن يريد الشيخ عبد القادر بالأنبياء هنا أنبياء الأولياء أصحاب التعريف الإلهي، فتكون تصريحًا منه بأن الله تعالى قد أعطاه ما لم يعطهم، والله أعلم[1].

وبالجملة: قال الشيخ الصيادي: والذي أراه أن ما صدر عن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلي قُدِّس سرُّه ونفعنا الله به من الكلمات التي رؤيت بمرأى الشطحات فهي مؤوَّلة متصرفة عن مقام الشطح على الغالب.

وأما بعض الكلمات التي لا تقبل التأويلات فهي نسبت إليه، ولم تكن منه رضي الله عنه على الأصح، كالكلمات التي سمَّاها واضعها عليه من الله ما يستحق بالغوثية والمعراجية وأسندها إلى الشيخ رضي الله عنه، وأخذ به نزه الله مقامه إلى مذهب الحلولية وأهل الوحدة المطلقة، فهي بهتان وافتراء محض عليه قُدِّس سرُّه.

وإنه رضي الله عنه من أعظم من تحقق بقدم الاتباع للنبي ﷺ في الأقوال والأفعال، وقد دلَّت عليه إرشاداته وكمالاته وعباداته.

وقال الشيخ أبو الهدى أيضًا [2]: وقد كنت رأيت في كتاب: «الفيض الوارد» للعلاَّمة الفاضل السيد محمود أفندي الألوسي المرحوم مفتي العراق عليه رحمة الخلاَّق، ما نصَّه:

قد ذكر الإمام الربَّاني مجدد الألف الثاني في مكتوباته، أن القطبية كانت لأئمة أهل البيت أصالة، وصارت من بعدهم وكالة حتى ظهر الشيخ عبد القادر الكيلاني قُدِّس

---

(١) وانظر: تأويل الشطح للشعراني (ص٤٤)، وكشف الأسرار (ص١٦٢) بتحقيقنا.

(٢) في قلائد الزبرجد (ص١٤٩) بتحقيقنا.

سرُّه فأعطيها أصالة، حتى إذا ذهب إلى حظائر القدس أعطيها من جاء بعده وكأنه عنه، فكل الأقطاب من بعده نوابه، ووكلاؤه، ولا يزال الأمر كذلك حتى يظهر المهدي فيعطاها أصالة.

وفي قوله قُدِّس سرُّه:

غَربَت شُمُوس الأوَّلِين وشَمسُنَا   أبَـدًا عَلَـى فُلـك العُـلا لا تَغـرُب

رمز إلى ذلك انتهى، فليحفظ.

وقال الصيادي أيضًا (ص١٥١): إن السيد الشيخ عبد القادر قُدِّس سرُّه، وغمرنا بره قد نال ما نال من القطبية بواسطة جده ﷺ على أتم وجه وأكمل حال.

فقد كان ﷺ من أجلة أهل البيت حسينيًّا من جهة الأب، حسنيًّا من جهة الأم، لم يصبه نقص: لو أن وعسى وليت، ولا ينكر ذلك إلا زنديق أو رافضي يُنكر صحبة الصديق انتهى.

هذا والله الموفق والهادي سواء الصراط.

ذكر بعض المصنفات والمصادر
التي ترجمت لسيدي عبد القادر قدس سره

- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب القطب الجيلاني للشطنوفي (طبع دار الكتب العلمية -بيروت- بتحقيقنا).
- الجنى الداني في ذكر نبذة من مناقب عبد القادر الجيلاني، لجعفر بن حسن البرزنجي. (طبع) ومنه مخطوط ببرلين، وليبزج.
- غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر لابن حجر العسقلاني (طبع كلكتا، وبيروت).
- قلائد الجواهر في ترجمة الشيخ عبد القادر للتاذفي (طبع دار الكتب العلمية- بيروت- بتحقيقنا).
- نزهة الخاطر في ترجمة الشيخ عبد القادر للملا علي القاري (طبع باستانبول).
- الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر للبرهان إبراهيم بن علي الديري (تحت قيد الطبع بتحقيقنا).
- النشر العاطر بمناقب الشيخ عبد القادر لجمال الدين بن أحمد التونسي (طبع بتونس).
- نتيجة تحقيق الأفكار لعبد الله بن محمد المسناوي الدلائي (طبع بفاس، وتونس).
- جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر للمؤلف نفسه (مخطوط بالرباط).
- الصبح السافر عن شمائل الشيخ عبد القادر لعبد الرحمن بن عيسى بن داود السنجاري. (مخطوط بدار الكتب المصرية).
- نزهة الناظر في فضائل سيدنا عبد القادر للهاشمي البغدادي (مخطوط القرويين بفاس).
- الدر الفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر لعبد الرحمن بن السايح.
- خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر لليافعي (تحت قيد الطبع بتحقيقنا).
- مختصر بهجة الأسرار للشيخ عبد العزيز الدريني (مخطوط يسر الله لنا تحقيقه).
- الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر للشهاب القسطلاني.
- السر الظاهر فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر لسليمان بن محمد بن عبد الله الغزي (طبع).

- مناقب الشيخ عبد القادر لموسى بن محمد بن أبى الحسين أحمد اليونيني البعلبكي (مخطوط بدار الكتب المصرية).

- العرف العاطر في من بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر لأبي محمد عبد القادر عبد السلام ابن الطيب بن محمد القادري المغربي الفاسي، (مخطوط ضمن مجموع في الأحمدية بفاس).

- السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني لابن عزوز المكي (طبع ببيروت بتحقيقنا).

- المورد السني في ترجمة سيدنا عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني لمحمد صالح بن أحمد الخطيب القادري الحسني (طبع).

- الباز الأشهب عبد القادر الكيلاني لإبراهيم الدروبي البغدادي (طبع بالعراق).

- الباز الأشهب في حياة الشيخ عبد القادر الكيلاني لآرتين آصادور بيان.

- الكواكب الدرية في المناقب القادرية لمحمد رشيد الرافعي (مطبوع).

- نفحة الرياض العالية في بيان طريقة القادرية لمحمد رفعت بن عبد الله الرومي.

- رسالة في ذرية الجيلانيين القاطنين بحماه لمحمد سعدي بن عمر الأزهري.

- الشيخ عبد القادر الجيلاني وأعلام القادرية لمحمد درنيقة.

وانظر في المصادر:

- الأنساب للسمعاني (٤١٥/٣).
- المنتظم لابن الجوزي (٢١٩/١٠).
- الكامل لابن الأثير (٣٢٣/١١).
- مرآة الزمان للشيخ اليافعي (٩٦٤/٨).
- العبر للذهبي (١٧٥/٤).
- دول الإسلام له (٣٩٣٥/١).
- سير أعلام النبلاء له (١٥٠/٢٢).
- فوات الوفيات لابن شاكر (٢٧٣/٢).
- الوافي بالوفيات للصفدي (٣٥٨/١).
- البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٢/٢).

- ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/٢٩٠).

- الطبقات الكبرى للشيخ الشعراني (١/١٠٨).

- شذرات الذهب لابن العماد (٤/١٩٨).

- كنوز الأولياء ورموز الأصفياء لأبي الليث الزيلي (ص٣٤).

- الأعلام للزركلي (٤/٤٧).

- معجم المؤلفين لكحالة (٢/٢٠٠).

ترجمة مختصرة للمؤلف

هو الشيخ العلامة الإمام برهان الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن يزيد الديري الشافعي القادري.

ولد بدير العشاري برحبة ابن مالك سنة ٨١٦ هـ، ١٤١٣ م.

نشأ بحلب ثم حج وسمع بالمدينة ومصر وغيرهما.

وأقام بدمشق حتى وفاته سنة ٨٨٠ هـ .

وكان ﷺ بارعًا في علوم الفقه والأصول، كما سلك الطريقة القادرية على الشيخ محمد بن أبي بكر الديري، ثم لبس الخرقة من الشيخ عبد القادر بن محمد القادري.

من مصنفاته:

- النصيحة لدفع الفضيحة في الإنكار على الطائفة الصمادية في الطبل والرقص.
- رفع الالتباس ودفع الوسواس.
- مفاتيح المطالب ورقية الطالب.
- الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر.
- أخبار الصوفية في مجلدين.

والشيخ إبراهيم متقن في كل عملٍ يعمله، كثير التحري لما ينقله، غاية في الورع، وصدق اللهجة، والحرص على اتباع السنة، والتنفير عن البدع.

وانظر في ترجمته:

- الضوء اللامع للسخاوي (١/٨٠).
- معجم المؤلفين لكحالة (١/٦٢).
- الأعلام للزركلي (١/٥٢).
- هدية العارفين للبغدادي (١/٢١).
- كشف الظنون لحاجي خليفة (٩٠٩، ١٧٥٧).
- أعلام القادرية لدرنيقة (ص١٢٨).

منهج التحقيق

إن المنهج المتخذ هو الحرص على ظهور النص سليمًا واضحًا، ولذلك نُجمل الخطوات في الآتي:

- نسخ المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية ومقابلته على المظانّ المنقول عنها، وتوفيق النص وتوثيقه، وضبطه ضبطًا علميًّا صحيحًا.

- تفصيل النص وترقيمه، وجعله موافقًا ما عليه أُصول الكتابة والطباعة الآن.

- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وإثبات ذلك في النص.

- تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب من مصادر تخريجها.

- التوثيق والتعليق لبعض الأعلام الوارد ذكرها في الكتاب.

- عمل مقدمة تشمل رد بعض شبه المنكرين، والدفاع عن الشيخ عبد القادر، والترجمة للشيخ المصنف، والتعريف بالكتاب وأهميته، ومنهجية التحقيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سبحان ربك رب العزَّة عمَّا يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

واللهم صَلِّ وسلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ السابقُ للخلقِ نورُه قَبل خلقِ المخلوقاتِ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه

أبو الحسن أحمد فريد المزيدي

الشافعي الأزهري القادري المصطفوي

إجازة المحقق بسلسلة الطريقة القادرية

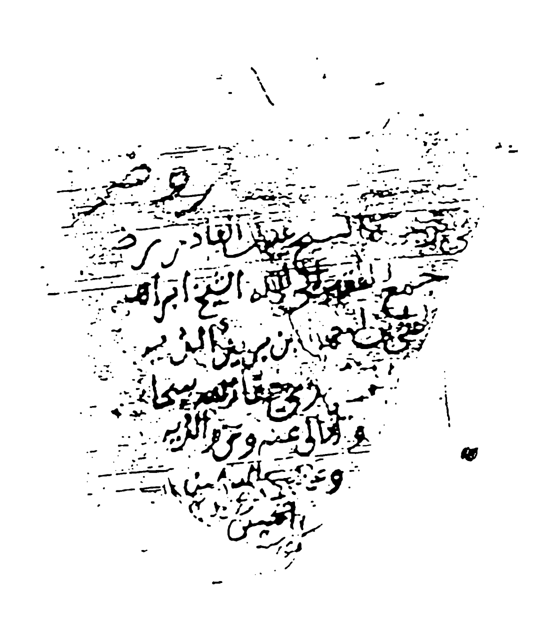
قلت: أجازني الشيخ عبد العزيز الغماري، عن الشيخ بدر الدين بن يوسف بن بدر الحسني، عن الشيخ البرهان السقا، عن الشيخ محمد بن سالم بن ناصر الفشني، المعروف بولي الله تعيلب، عن الشهابين: الشيخ أحمد بن الحسن الجوهري، والشيخ أحمد بن عبد الفتاح الملوي، كلاهما عن الحافظ عبد الله بن سالم البصري، عن الشيخ محمد بن سليمان الروداني، عن الشيخ أبي عبد الله الصالحي، عن شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن علي الوفائي العجمي، عن الشيخ شرف الدين موسى بن سالم الحجاوي، وعن الشيخ القاضي برهان الدين ابن مفلح وهما عن والده: الشيخ نجم الدين بن مفلح، عن والده القاضي برهان الدين بن مفلح صاحب الفروع، عن جده الشيخ شرف الدين عبد الله بن مفلح، عن جده قاضي القضاة الشيخ جمال الدين المرداوي، عن التقي سليمان بن حمزة:

عن قطب الأقطاب، حضرة إمام العارفين، وشيخ شيوخ العالمين، صاحب القَدَمِ من القِدَم، غوث البريَّة، قطب العرب والعجم، من خضعت له الرقاب، وشهدت بسلطنته الأقطاب، بحر العلم اللدنيِّ، مولانا الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني، مروِّح الله تعالى أرواحنا بنفحات روحه، وفتح أقفال قلوبنا بمفاتيح فتوحه، ولا زالت رحمة الرحمن فيَّاضةً على روحه في كل حينٍ وآنٍ، آمين.

سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره ، وأعلى في العالمين ذكره.

هذا.. وقد لبس الشيخ عبد القادر الخرقة عن أبي سعد المخرمي، ولبس المخرمي من أبي الحسن علي بن محمد القرشي، ولبس القرشي من أبي الفرج الطرسوسي، ولبس الطرسُوسي من أبي الفضل عبد الواحد التميمي، ولبس التميمي من والده عبد العزيز، ولبس عبد العزيز من بكر الشبلي، ولبس الشبلي من أبي القاسم الجنيد، ولبس الجنيد من خاله سري السقطي، ولبس سري من معروف الكرخي، ولبس معروف من داود الطائي، ولبس داود من حبيب العجمي، ولبس حبيب العجمي من الحسن البصري، ولبس الحسن البصري من سيدنا علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم جميعًا.. آمين.

نماذج من صور المخطوط



صورة غلاف الروض الزاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله البر الجواد المانح لعباده ما شاء من عطاياه فضلا
منه ونعمة التي بعضهم فوق بعض درجات ارادة منه تعالى
وحكمة [illegible] خلاصة صالحين عند ذكرهم
تنزل الرحمة [illegible] واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له شهادة [illegible] واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله
عليه وسلم [illegible] على جميع الانبياء [illegible] الذين جعل لهم
العصمة ورضي الله عن السادة الصحابة خيار هذه الامة وعن
جميع المسلمين [illegible] الاحياء منهم والاموات كلما نسم
النسيم نسمه وبعد فهذه نبذة مهمة تحوي فوايد جمة
من ترجمة شيخ مشايخ الزمان ابي محمد عبد القادر بن ابي صالح عبد
الله بن جنكادوست الجيلي الحنبلي قطفتها من تواريخ الاسلام
مما ورد عن النقلة الاعلام والله اسال المعونة بفضله وهو حسبي
ونعم الوكيل ولاقدم على ما اردت ايراده في هذه الورقات
من الترجمة فايدة في اثبات كرامات الاولياء للتبرك بما فيها
من آيات القرآن العظيم واحاديث النبي الكريم ولعموم نفعها
وبركتها من طالعها ان شاء الله تعالى قال شيخ الاسلام النووي

صورة الصفحة الأولى من الروض الزاهر



مقدمة المصنف

الحمد لله البر الجواد، المانح لعباده ما شاء من عطائه، فضلاً منه ونعمةً، رفع بعضهم فوق بعض درجات، إرادةً منه تعالى وحكمةً، فاستخلص منهم خلاصة صالحين، عند ذكرهم تنزل الرحمة.

فأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وسلم.

وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، الذين جعلوا له العصمة.

ورضي الله عن السادة الصحابة، خيار هذه الأمة.

وعن جميع المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، كلما نسَّم النسيم نسمة.

وبعد...

فهذه نبذة مهمة تحوي فوائد جمَّة من ترجمة شيخ مشايخ الزمان أبي محمد عبد القادر ابن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست الجيلي الحنبلي، اقتطفتها من توارايخ الإسلام، مما ورد عن النقلة الأعلام.

والله أسأل المعونة بفضله، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولأقدم على ما أردت إيراده في هذه الورقات من الترجمة.

فائدة:

في إثبات كرامات الأولياء للتبرك بما فيها من آيات القرآن العظيم، وأحاديث النبي الكريم، وليعم نفعها وبركتها من طالعها، إن شاء الله تعالى.

قال شيخ الإسلام النووي رحمه الله تعالى في كتابه: «بستان العارفين» باب: في

كراماتهم ومواهبهم:

قال الله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ *الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ *لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢: ٦٤].

اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار، ويدل عليه دلائل العقول وصرائح النقول.

أما دليل العقل فهو أنها أمرٌ يمكن حدوثه، لا يؤدّي وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين، ويوصف الله سبحانه وتعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدورًا كان جائز الوقوع.

وأما النقول فآيات في القرآن العزيز وأحاديث مستفيضة.

أما الآيات فكقول الله تعالى في قصة مريم:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيا﴾ [مريم:٢٥].

قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: ولم تكن مريم نبية بإجماع العلماء.

وكذا قال غيره، قالوا: بل كانت ولية صدّيقة، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنها، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ﴾ [آل عمران:٣٧].

ومن ذلك قصة سليمان عليه السلام حيث قال:

﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل:٤٠].

قال العلماء: ولم يكن نبيًا.

ومن ذلك ما استدلَّ به إمام الحرمين وغيره من قصة أم موسى عليه السلام.

ومن ذلك ما استدلَّ به الأستاذ أبو القاسم القشيري من قصة ذي القرنين.

واستدلَّ القشيري وغيره بقصة الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام.

قالوا: ولم يكن الخضر نبيًا بل كان وليًا، وهذا خلاف المختار.

والذي عليه الأكثرون أنه كان نبيًا، وقيل: كان نبيًا رسولاً، وقيل: وليًا. وقيل: ملكًا.

ومن ذلك قصة أهل الكهف، وما اشتملت عليه من خوارق العادة.

قال إمام الحرمين وغيره: لم يكونوا أنبياء بالإجماع[1].

---

(١) قال الإمام نجم الدين عمر النسفي في «عقائده»: وكرامات الأولياء حقٌّ، فتظهر الكرامة على طريق تقفِّي العادة للولي من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة، وظهور الطعام، واللباس، والشراب، والمشي على الماء وفي الهواء، وكلام الجماد، والعجماء وغير ذلك من الأشياء، ويكون ذلك معجزةً للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحدٍ من أمته؛ لأنه يظهر بها أنه وليٌّ، ولن يكون وليًا إلا وأن يكون محقًّا في ديانتهِ، وديانته الإقرار برسالة رسوله مع الطاعة له في أوامره ونواهيه.

قال الشارح سعد الدين: حتى لو ادَّعى هذا الولي الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليًا، ولم يظهر ذلك على يده، وإذا ظهر فلا يكون كرامةً بل استدراجًا.

والحاصل: أن الأمر الخارق للعادة فهو بالنسبة إلى النبي معجزةٌ سواء ظهر من قبله أو من قبل آحاد أمته، وبالنسبة إلى الولي كرامةٌ؛ لِخلوِّه عن دعوى نبوةٍ من ظهر ذلك من قبله.

وقال إمام الحرمين في كتابه «الإرشاد»: ما صار إليه أهل الحق انخراق العادات للأولياء.

ثم قال: وإن الكرامة والمعجزة ليس بينهما فرقٌ إلا وقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة والكرامة دون ادِّعاء النبوة.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه «المحصِّل»: ثم تتميز الكرامة من المعجزة بتحدِّي النبوة.

وقال الإمام ناصر الدين البيضاوي في كتابه «المصباح»: الكرامات جائزةٌ خلافًا للمعتزلة والأستاذ، وتتميز عن المعجزة بعدم التحدي.

وقال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في كتابه «نشر المحاسن»: ظهور الكرامات للأولياء جائزٌ عقلاً، وواقعٌ نقلاً، أمَّا جوازه في العقل فلأنه ليس مستحيلٌ في قدرة الله تعالى بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الأنبياء، هذا مذهب أهل السنَّة من المشايخ العارفين، والنُّطقاء الأصوليين، والفقهاء، والمحدثين، وتصانيفهم ناطقةٌ بذلك شرقًا وغربًا عجمًا وعربًا، وأمَّا وقوع ذلك بالنقل فقد جاء في القرآن والأخبار والآثار بالإسناد ما يخرج عن الحصر والتعداد، فمن ذلك في القرآن ما أخبر الله تعالى عن مريم عليها السلام بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران:٣٧].

وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، هكذا جاء في التفسير، وكذلك ما أخبر الله تعالى من إلهام أم موسى عليه السلام في أمره ما هو معروفٌ، وكذلك ما أخبر الله تعالى من العجائب عن الخضر مع موسى عليهما السلام، وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التي ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك، وكذلك قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في عرش بلقيس في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل:٤٠]، ومن ذلك في الأخبار حديث جريج الرَّاهب الذي كلَّمه الطفل في المهد، وهو حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري ومسلم.

وحديث الغار الذي انطبقت عليهم الصخرة، ثم انفرجت عنهم، وهو أيضًا حديثٌ صحيحٌ =

أخرجه البخاري ومسلم.
وحديث البقرة التي كلّمت صاحبها، وهو حديثٌ صحيحٌ مشهورٌ، والحديث المتفق على صحته المذكور في الصحيحين في أبي بكر الصديق مع ضيفه وبركة الطعام حتى صار بعد الأكل أكثر مما كان قبله ثلاث مراتٍ، وكذلك ما اشتهر عن الصدِّيق أيضًا أنه أُخبر أن حمل امرأته أنثى فكان كذلك، وحديث الصحيحين المتفق على صحته في عمر ﷺ أنه من المحدَّثين بفتح الدال، وكذلك ما صحَّ عنه أنه قال: يا سارية الجبل في حال خطبةٍ في يوم الجمعة، فبلغ صوته إلى ساريةٍ، فكان لعمر ﷺ في ذلك كرامتان: إحداهما: ما كُشف له عن حال ساريةٍ وأصحابه المسلمين، وحال العدو، والثانية: بلوغ صوته إلى بلادٍ بعيدةٍ.
والحديث المتفق على صحته في سعد وسعيد في إجابة دعوة كل واحدٍ منهما، والحديث الصحيح في البخاري في «خبيب» في قطف العنب الذي وجد في يده يأكله في غير أوان الثمر.
والحديث الصحيح حديث البخاري أيضًا في: أسيد بن خضير، وعبَّاد بن بشر الَّذين خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلةٍ مظلمةٍ ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما.
والحديث الصحيح: حديث الرجل الذي سمع صوتًا في السحاب يقول: اسقي حديقة فلانٍ، وما جاء أن ابن عمر رضي الله عنهما قال للأسد الذي منع الناس الطريق: تنحَّ، فبصبص بذَنَبِه وذهب، وما جاء أن رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي، فحال بينهم وبين الموضع قطعةٌ من البحر، فدعا بالاسم الأعظم، ومشى على الماء.
وما جاء أنه كان مع سلمان وأبي الدرداء قصعةٌ فسبَّحت حتى سمعا التسبيح، وكذلك ما اشتهر أن عمران بن الحصين كان يسمع تسبيح الملائكة عليه حتى اكتوى، فانحبس عنه ذلك، ثم أعاده الله تعالى عليه.
والحديث الصحيح حديث مسلم قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أشعثَ مدفوعٌ بالأبوابِ لو أقسمَ على الله لأبرَّه».
قلت: ولو لم يكن إلا هذا الحديث لكفى دليلاً.
وقد ورد عن السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المشايخ العارفين والفقراء الصادقين وسائر الأولياء والصالحين من الكرامات المستفيضات، الصادرات عن العِيان والمشاهدات، ما طَبَقَ الآفاق، وملأ جميع البلاد، وعجزت الدفاتر عن اليسير منه في الحصر والتَّعداد، وأمَّا كثرة ظهور الكرامات واشتهارها بعد زمن الصحابة وزيادتها على ما كان في زمانهم فالجواب عن ذلك ما أجاب به الإمام أحمد لما قيل له: يا أبا عبد الله، إنَّ الصحابة لم يُروَ عنهم مثلما قد رُوي عن الأولياء والصالحين، فكيف هذا؟! فقال: أولئك كان إيمانهم قويًا، فما احتاجوا إلى زيادة شيءٍ يتقوون به، وغيرهم كان إيمانهم ضعيفًا لم يبلغوا إيمان أولئك، فقووا بإظهار الكرامات.
وكذلك قال الشيخ شهاب الدين السهروردي: وخرق العادة إنما يكاشف به لموضع ضعف يقين المكاشف رحمةً من الله تعالى على عباده العبَّاد، وثوابًا معجَّلاً لهم، وفوق هؤلاء قومٌ ارتفعت الحجب من قلوبهم، وباشر بواطنهم نور اليقين، وصدق المعرفة، فلا حاجة لهم إلى

مددٍ من المخرقات، ورؤية القدر والآيات، ولهذا ما نُقل عن أصحاب رسول الله ﷺ كثيرٌ من ذلك إلا القليل، ونُقل عن المتأخرين من المشايخ والصادقين أكثر؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ لبركة صحبة النبي ﷺ ومجاورة نزول الوحي وتردُّد الملائكة وهبوطها تنوَّرت بواطنهم، وعاينوا الآخرة، وزهدوا في الدنيا وتزكَّت نفوسهم، وانخلعت عاداتهم، وانصقلت مرايا قلوبهم، فاستغنوا بما أعطوا من رؤية الكرامة، واستماع أنوار القدرة.

قال اليافعي: وأيضًا فهذه الكرامات من الكشف وغيره أنوارٌ، والأنوار إنما يظهر حسن بهائها في الظلمة، فأما الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فكلُّهم أنوارٌ ليس فيهم ظلمةٌ؛ لتوهُّج ضياء شمس النبوة عليهم، وكمال محاسنهم، ثم أن الشمس إذا غربت تظهر الظلمة عقيب غروبها ولا تظهر إلا الكواكب الكبار، فكلما تغرب عن الأفق تكثر الظلمة، فتظهر سائر الكواكب إلى أن يظهر فجر الوعيد.

وأيضًا الصحابة كانوا أهل حقٍّ، وسُنَّةٍ، وطاعةٍ، وعدلٍ، ومعروفٍ، ثم ظهر بعدهم عكس ذلك من الباطل والبِدَع، والمعاصي، والظلم، والمنكر، فبثَّ الله تعالى في سائر البلدان رجالاً قلَّدهم سيوفًا ماضيات تقطع أعناق المنكرين عليهم.

والحاصل: أنه قد علمت أنهم قد اتفقوا على أن الفارق بين الكرامة والمعجزة هو تحدي النبوة فقط، ولم يشترط أحدٌ منهم لكون الكرامة دون المعجزة في جنسها وعظمها، فدلَّ ذلك على جواز استوائهما فيما عدا التحدي المذكور، ويشهد لصحة هذا القول قوله ﷺ في الحديث الصحيح:

«لو أقسمَ على الله لأبرَّه».

فإن الإبرار المذكور عامٌّ في كل مقسَمٍ فيه، ثم إن وقوع ذلك من كثيرٍ من الأولياء أعني عظام الكرامات خارجٌ عن الحصر، وها أنا أقتصر في التنبيه على ذلك بذكر عشرة أنواعٍ:

النوع الأول: إحياء الموتى: روى القشيري بإسناده في رسالته: أن أبا عبيد البسري غزا سنةً من السنين، فخرج في البرية، فمات المهر الذي كان تحته وهو في البرية، فقال: يا ربِّ، أعرناه حتى نرجع إلى بسر: يعني قرينه، فإذا المهر قائمٌ، فلمَّا غزا ورجع إلى بسر، قال لابنه: يا بني، خذ السرج من المهر، قال ابنه: فقلت له: إنه عَرِق فإذا أخذت السرج دَاخلهُ الريح، فقال: يا بني، إنه عاريةٌ، قال: فلما أخذت السرج وقع المهر.

وروى أيضًا بإسناده في رسالته: أنه انطلق رجلٌ من اليمن، فلمَّا كان في بعض الطريق نقض حماره، فقام، فتوضأ، ثم صلَّى ركعتين، ثم قال: اللَّهُمَّ إني جئت مجاهدًا في سبيلك ابتغاء مرضاتك، وإني أشهد أنك تُحيي الموتى، وأنك تبعث مَنْ في القبور، ولا تجعل لأحدٍ عليَّ منَّةً اليوم، أطلبُ منك أن تبعث حماري، فقام الحمار ينفض أذنيه، وقد نقل هذا عن الإمام الشعبي أيضًا.

وروى أيضًا بإسناده فيها أن محمَّد بن سعيد البصري قال: بينما أنا أمشي في طرق البصرة إذ رأيتُ أعرابيًا يسوق جملاً، فالتفتُّ فإذا الجمل وقع ميتًا، ووقع الرجل والقنب، فمشيت ثم التفتُّ فإذا الأعرابي يقول: يا مسبِّب كل سببٍ، ويا مأمول من طلبه رُدَّ عليَّ ما ذهب، وحملِ

الرجل القنب، فإذا الجملُ قائمٌ، والرجل والقنب فوقه.
وروى أيضًا بإسناده فيها إلى الشيخ سهل بن عبد الله التستري أنه قال:
الذَّاكر لله على الحقيقة لو همَّ أن يحيي الموتى لفعل بإذن الله تعالى، ومسح يده على عليلٍ بين يديه فبرأ وقام.
وكان الشيخ مفرِّج الدماميلي عبدًا حبشيًّا اصطفاه الله تعالى، ولما تكاثرت كراماته أحضرت عنده فراخٌ مشويةٌ، قال لها: طيري، فطارت أحياءً بإذن الله تعالى.
ومن المشهور ما روي سندًا في كتاب «مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني» قُدِّس سرُّه من خمسة طرقٍ عن جماعةٍ من الشيوخ الأجلاَّء قالوا:
جاءت إليه امرأةٌ بولدها، وقالت له: إني رأيت قلب ابني هذا شديد التعلق بك، وقد خرَّجتُ من حقي فيه لله سبحانه وتعالى ولك، فقبَّله الشيخ، وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق، فدخلت أمه عليه يومًا فوجدته نحيلاً مصفرًّا من آثار الجوع والسهر، ووجدته يأكل قرصًا من شعير، فدخلت على الشيخ، فوجدت بين يديه إناءٌ فيه عظام دجاجةٍ مسلوقةٍ قد أكلها، فقالت: يا سيدي، تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير. فوضع يده على تلك العظام، وقال: قومي بإذن الله تعالى الذي يحيي العظام وهي رميمٌ، فقامت دجاجةً سويَّةً، وصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء.
قالوا: ومرَّت على مجلسه حدأةٌ طائرةٌ في يومٍ شديد الريح، فصاحت، فشوشت على الحاضرين، فقال: يا ريح، خذي رأس هذه الحدأة، فوقعت لوقتها في ناحيةٍ ورأسها في ناحيةٍ، فنزل الشيخ من الكرسي، وأخذها في يديه وأمرَّ يده الأخرى عليها، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم فحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك.
قلت: فإحياء الله تعالى الموتى كرامةٌ لهم، فهو وإن كان عظيمًا فهو جائزٌ كما قدَّمنا عن الأئمة أن ما جاز أن يكون معجزةً لنبيٍّ جاز أن يكون كرامةً لوليٍّ بشرط ألا يدَّعي النبوة.
النوع الثاني: كلام الموتى:
قال اليافعي: أخبرني بعض الشيوخ الصالحين من أهل اليمين عن الفقيه إسماعيل الحضرمي أنه مرَّ يومًا على مقبرةٍ ومعه ناسٌ كثيرون، فبكى بكاءً شديدًا ثم ضحك في الحال، فسُئلَ عن ذلك؟ فقال: رأيتُ أهل هذه المقبرة يُعذَّبون، فحزنت لذلك، ثم سألتُ الله ﷻ أن يُشفِّعني فيهم، فشفَّعني، فقالت صاحبة هذا القبر وأشار إلى قبرٍ قريب العهد بالحفر: وأنا معهم يا فقيه إسماعيل، أنا فلانة المغنِّية. فضحكتُ، وقلت: أنتِ معهم، ثم أرسل إلى الحفَّار، وقال له هذا قبر مَنْ؟ فقال: قبر فلانة المغنِّية.
وروى القشيري أن الشيخ أبا سعيد الخرَّاز قال: كنتُ مجاورًا بمكة، فجزتُ يومًا بباب بني شيبة، فرأيت شابًّا حسن الوجه ميتًا، فنظرت في وجهه، فتبسَّم، وقال لي: يا أبا سعيد، ما علمت أن الأحياء أحياءٌ وإن ماتوا، وإنما يُنقلون من دارٍ إلى دارٍ.
ومن المشهور ما رُوي مسندًا من ثلاثة طرقٍ عن جماعةٍ من الشيوخ الأكابر في كتاب «مناقب الشيخ عبد القادر»، قالوا:

زار شيخنا محيي الدين عبد القادر الكيلاني الشونيزي يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسعٍ وخمسمائةٍ ومعه جمعٌ كثيرٌ من الفقهاء والفقراء، ووقف عند قبر الشيخ حمَّاد الدبَّاس زمنًا طويلاً حتى اشتدَّ الحرُّ والناس واقفون خلفه، ثم انصرف والسرور بَيِّنٌ في وجهه، فسُئل عن سبب طول قيامه؟ فقال: كنت خرجت من بغداد في يوم الجمعة منتصف شعبان سنة تسعٍ وتسعين وأربعمائةٍ مع جماعةٍ من أصحاب الشيخ حمَّاد لنصلي الجمعة في جامع «الرصافة» والشيخ معنا، فلمَّا كنَّا عند قنطرة النهر دفعني، فرمى بي في الماء وكان في شدة البرد في كوانين، فقلت: بسم الله غسل الجمعة، وكان عليَّ جبةٌ صوف، وفي كمي أجزاءٌ، فرفعت يدي لئلا تبتل وتركوني وانصرفوا، وخرجت من الماء، وعصرت الجبة وتبعتهم وقد تأذَّيت بالبرد أذىً كثيرًا، فطمع فيَّ أصحابه، فنهرَهم وقال: إنما أوذيه لأمتحنه فأراه جبلاً لا يتحرك، وإني رأيته اليوم في قبره وعليه حلةٌ من جوهرٍ، وعلى رأسه تاجٌ من ياقوتٍ، وفي يده أساور من ذهبٍ، وفي رجليه نعلان من ذهبٍ، ويده اليمنى لا تطيعه، فقلت: ما هذا؟ قال: هذه اليد التي رميتك فهل أنت غافرٌ لي ذلك؟ قلت: نعم، قال: فاسأل الله تعالى أن يردَّها عليَّ. فوقفت أسأل الله تعالى في ذلك، وقام خمسة آلاف وليٍّ من أولياء الله تعالى في قبورهم يسألون الله ﷻ أن يقبل مسألتي فيه، ويشفعون عندي في تمام المسألةِ، فما زلت أسأل الله ﷻ في مقامي ذلك حتى ردَّ الله تعالى يده، وصافحني بها وقد تمَّ سروره.

قالوا: فلمَّا اشتهر هذا القول في بغداد اجتمع المشايخ والصوفية من أهل بغداد من أصحاب الشيخ حمَّاد؛ ليطالبوا الشيخ عبد القادر بتحقيق ما قاله في الشيخ حمَّاد، وتبعهم خلقٌ كثيرٌ من الفقراء، وأتوا إلى المدرسة فلم يتكلم منهم أحدٌ إجلالاً للشيخ، فبدأهم بمرادهم، وقال لهم: اختاروا رجلين من المشايخ يتبين لكم ما ذكرته على لسانهما، فأجمعوا على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني، وكان يومئذٍ قد ورد إلى بغداد والشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن شعيب الكردي وكان مقيمًا ببغداد، وكان من ذوي الكشف الخارق والأحوال الفاخرة، وقالوا له: أمهلناك في بيان ذلك على لسانهما جمعةً. فقال لهم: بل ما تقومون مِنْ مقامكم هذا حتى يتحقق لكم الأمر، وأطرق وأطرقوا، فصاح الفقراء من خارج المدرسة، وإذا بالشيخ يوسف قد جاء حافيًا يشتد في عدوه حتى دخل المدرسة، وقال: أشهدني الله ﷻ ساعة الشيخ حمَّاد لو قال لي يا يوسف أسرع إلى مدرسة الشيخ عبد القادر وقل للمشايخ الذين فيها: صَدَقَ الشيخ عبد القادر فيما أخبر به عني فلم يتمَّ كلامه الشيخ يوسف حتى جاء الشيخ عبد الرحمن بن شعيب، وقال مثل قول الشيخ يوسف، فقام المشايخ كلهم يستغفرون للشيخ عبد القادر قدَّس الله تعالى روحه.

قال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في كتابه «نشر المحاسن»: أخبرني بعض الأخيار عن بعض الصالحين أنه يأتي قبر والده في بعض الأوقات ويتحدث معه.

ومن المشهور أن الشيخ الكبير أحمد بن موسى بن عجيل سمعه بعض الفقهاء الصلحاء من قرابته يقرأ في سورة النور في قبره.

قال: وروينا أن الشيخ نجم الدين الأصبهاني طَلَعَ مع جنازة بعض الصالحين، فلمَّا جَلَس بعض الناس من أهل العلم يُلقِّن الميت ضحك الشيخ نجم الدين ولم يكن الضحك عادته، فسُئل عن =

ذلك؟ فقال: سمعت صاحب القبر يقول: أما تعجبون من ميتٍ يُلقِّن حيًّا وغير ذلك مما يطول ذكره من كلام الموتى للأولياء.

النوع الثالث: انغلاق البحر وجفافه: من ذلك ما رُوي أنه مات بعض الفقراء في سفينةٍ، قال الراوي: فأردنا إلقاءه في البحر، فرأيت البحر قد انشقَّ نصفين، ونزلت السفينة إلى الأرض، فخرجنا وحفرنا له قبرًا ودفناه فيه، فلمَّا فرغنا استوى الماء، وارتفعت السفينة وسرنا.

روى القشيري رحمه الله تعالى في رسالته عن بعضهم قال: كنَّا في مركبٍ فمات رجلٌ عليلٌ كان معنا، فأخذنا في جهازه، وأردنا أن نلقيه في البحر، فصار البحر جافًّا، ونزلت السفينة فخرجنا، وحفرنا له قبرًا، ودفنَّاه، فلمَّا استوى الماء وارتفع المركب سرنا.

النوع الرابع: انقلاب الأعيان: اعلم أن هذا النوع مما كثر وقوعه لهم واشتهر عنهم، كانقلاب الحصى جواهر وذهبًا لكثيرٍ منهم، وانقلاب ماء البحر عذبًا، ولبعضهم سمنًا، ولبعضهم مع الرمل سُويقًا وسكرًا، ولبعضهم الحطب ذهبًا، وغير ذلك مما يتعذَّر حصره، وهذه الأشياء مشهورةٌ مذكورةٌ في الكتب المشتملة على بعض كرامات الأولياء كالرسالة وغيرها، وأعجب من ذلك انقلاب الخمر سمنًا، كما روي عن الشيخ عيسى المعروف بالهتَّار اليمني: أنه مرَّ على امرأةٍ بغيٍ، فقال لها: بعد العشاء آتيك، ففرحت بذلك، وتزيَّنت، فلمَّا كان بعد العشاء دخل عليها البيت فصلَّى ركعتين ثم خرج.

فقالت: أراك خرجت. فقال: المقصود حصل، فورد عليها واردًا أزعجها عمَّا كانت عليه، وخرجت بعد الشيخ وتابت على يديه، فزَّوجها من بعض الفقراء.

وقال: اعملوا الوليمة عصيدةً، ولا تشتروا لها أدامًا، ففعلوا ذلك، وأحضروه، وحضر الفقراء والشيخ معهم كالمنتظر لشيءٍ يُؤتى به، فوصل الخبر إلى أمير تلك البلدة، فأخرج قارورتين مملؤتين خمرًا، وأرسل بهما إلى الشيخ، وأراد أن يستهزئ بالفقراء ويفضحهم، وقال للرسول: قل للشيخ: قد سرَّني ما سمعت، وبلغني أنه ما عندكم أدامٌ فخذوا هذا فآدموا به، فلمَّا أقبل الرسول قال له الشيخ: أبطأت، ثم تناول إحداهما فخاضها، ثم صبَّها، ثم كذلك الأخرى، ثم قال للرسول: اجلس فكُل، فأكل فطعم سمنًا لم يرَ مثله طعمًا، وريحًا، ولونًا، ورجع وأخبر الأمير بذلك، فجاء الأمير فأكل، وتحيَّر مما رأى، فتاب أيضًا على يد الشيخ، والحمد لله الذي جعل هؤلاء السادة سببًا للسعادة.

وأعظم من ذلك ما رواه اليافعي في نشر المحاسن عن جماعةٍ من الصالحين:

رُوي عن بعض الأولياء أنه طلب بعض الناس يدعو له إلى الله تعالى أن يرزقه ولدًا ذكرًا، فقال له: إن أحببت ذلك فسلِّم للفقراء مائة دينارٍ. فسلَّم إليه ذلك، ثم جاءه بعد ذلك بمدةٍ، وقال له: يا سيدي، وعدتَّني بولدٍ ذكرٍ وما وضعت امرأتي إلا أنثى.

فقال له الشيخ: الدنانير التي سلمتها ناقصةٌ. قال: يا سيدي، ما هي ناقصةٌ إلا شيئًا يسيرًا. فقال له الشيخ: ونحن أيضًا ما نقصناك إلا شيئًا يسيرًا، فإن أحببت أن نوفِّي لك فأوفِ لنا. قال: نعم يا سيدي، ثم ذهب وعاد إليه بتوفية ذلك النقصان.

فقال له الشيخ: اذهب فقد أوفينا لك كما أوفيت، فرجع إلى منزلِهِ، فوجد الولد غلامًا بقدرة الله

تعالى وإكرامه للأولياء.
ومن ذلك ما رُوي مسندًا في كتاب «مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني» أنه خرج يومًا لصلاة الجمعة، فمرَّ به في الطريق ثلاثة أحمالٍ خمرًا للسلطان قد فاحت رائحتها واشتدت، ومعها صاحب الشرطة وأعوان الديوان، فقال لهم الشيخ: قفوا. فلم يفعلوا، وأسرعوا في سوق الدواب.
فقال الشيخ للدواب: قفي. فوقفت مكانها كأنها جماداتٌ، فضربوها ضربًا عنيفًا فلم تتحرك من مواضعها، وأخذهم كلهم القولنج، وجعلوا يتقلَّبون على الأرض يمينًا وشمالاً من شدة ألمهم، وضجُّوا بالشيخ، وأعلنوا بالتوبة والاستغفار، فزال عنهم ألمهم، وانقلبت رائحة الخمر برائحة الخل، ففتحوا الأواني فإذا هي خلٌّ ومشت، فَعلتْ أصوات الناس بالضجيج، وذهب الشيخ إلى الجامع، وانتهى الخبر إلى السلطان، فبكى رعبًا، وارتدع من فِعل كثيرٍ من المحرَّمات، وجاء إلى الشيخ زائرًا، وكان بعد ذلك يجلس بين يديه متواضعًا متصاغرًا.
وعن بعضهم قال: بينما أنا أسير في فلاةٍ من الأرض إذ برجلٍ يدور حول شجرة شوكٍ، ويأكل منها رطبًا، فسلَّمت عليه، فقال: وعليك السلام تقدَّم وكُلْ.
فتقدَّمت للشجرة، فكلَّما أخذت منها رطبًا عاد شوكًا فتبسَّم الرجل، وقال: هيهات لو أطعتهُ في الخلواتِ أطعمك الرطب في الفلوات.
النوع الخامس: عِلْمُهم ببعض الحوادث قبل وجودها، والاطِّلاع على ضمائر الخلق:
وأما قول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦،٢٧]، فقد قال الإمام ناصر الدين البيضاوي، واستدلَّ به على إبطال الكرامات، وجوابه تخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير وسيط، وكرامات الأولياء على المغيبات إنما تكون تلقِّيًا عن الملائكة كاطِّلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء عليهم السلام: يعني أن الله سبحانه وتعالى يظهر الغيب على الملك، والملك على الأنبياء وعلى الأولياء.
قال الإمام مظهر الدين: وقد تستفيد الأولياء من أرواح الأنبياء، وأما أصحاب الأنبياء من ألسنتهم فظاهرٌ انتهى.
وسُئل الإمام اليافعي هل يكفر من قال: المؤمن يعلم الغيب أم لا؟ فقال: أقول وبالله التوفيق لا يستعجل بتكفيرٍ من قال المؤمن يعلم الغيب حتى يُسئل ماذا أراد بالمؤمن وبالعلم وبالغيب؟ فإن أراد بالمؤمن المؤمن الخاص وهو الولي دون المؤمن العام وهو كل مؤمنٍ وبالعلم بأنه يعلم بإعلام الله تعالى له لا يعلمه بنفسه استقلالاً وبالغيب بعض الغيوب لا جميعها فإنه لا يكفر بذلك؛ لأنه جائزٌ في كرامات الأولياء بل واقعٌ.
وقد دلَّ على جوازه العقل، وشهد بوقوعه النقل.
أمَّا العقل: فلأن ذلك ليس بمستحيلٍ في قدرة الله تعالى؛ بل هو من قبيل الممكنات ولا قادح في معجزات الأنبياء، وقدَّمنا أنه لا فرقَ بين الكرامات والمعجزات إلا دعوة النبوة.
وأمَّا النقل: فهو خارجٌ عن الحصر؛ إذ لا يمكن تعداد ما نُقل عن الأولياء من الكشف في كل

عصرٍ ومهرٍ، ولو أمكن جمع ما وقع لهم من المكاشفات في جميع الأشياء في كل زمانٍ ومكانٍ لاحتيجَ في ذلك إلى كتبٍ يطول عدُّها، ويتعذَّر حصرها، فكيف يحصر المكتوب فيها؟ فليس يمكن جميع ذلك، ولا يقدر أحدٌ يحصيه إلا الله تعالى.

ويكفي من ذلك ما أخبر الله ﷻ عن الخضر ﵇ مع موسى ﵇ مع كون الخضر وليًّا لا نبيًّا عند جمهور العلماء، وعند جميع العارفين بالله تعالى، وكذلك ما قدَّمناه عن أبي بكر الصديق ﵁ فيما كُشف له من حال الحمل في بطن امرأته، وما كشف لعمر ﵁ من حال سارية ومن معه من المسلمين، وحال العدو وما أخبر عنه ﷺ من كونه من المحدَّثين.

وما ورد عن السلف والخلف مما رواه خلائق في كتب الحقائق والرقائق، وصحَّت به الروايات، وأخبر به الأولياء والعلماء والثقات، فمن ذلك:

ما رواهُ القشيري عن الشيخ أبي يعقوب السوسيّ؟ قال: جاءني مريد مكة، فقال: يا أستاذنا، غدًا أموت وقت الظهر، فخذ هذا الدينار فاحفر لي بنصفه، وكفنِّي بالنصف الآخر.

ثم لما كان الغد وقت الظهر جاء، وطاف، ثم تباعد، ومات فغسلتهُ، ووضعتهُ في اللحد، ففتح عينيه، فقلت أحياةٌ بعد موتٍ، فقال: أنا حيٌّ وكل محبٍّ لله حيٌّ.

وقال أبو سعيد الخرَّاز: دخلت المسجد الحرام، فرأيت فقيرًا عليه خرقتان يسأل شيئًا فقلت في نفسي: مثل هذا كَلٌّ على الناس، فنظر إليَّ وقال: واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه، قال: فاستغفرت الله تعالى في نفسي، فناداني وهو الذي يقبل التوبة عن عباده.

وقال خير النَّساج: كنت جالسًا في بيتي فوقع لي أن الجنيد بالباب فنفيت عن قلبي، فوقع ثانيًا وثالثًا، فخرجت فإذا أنا بالجنيد، فقال: لِمَ لم تخرج مع الخاطر الأول؟.

وقال أبو العباس بن مسروق: دخلتُ على شيخٍ من أصحابنا أعوده فوجدته على حالةٍ رثَّةٍ، فقلت في نفسي: من أين يرتفق هذا؟ فقال: يا أبا العباس دع عنك هذه الخواطر الدنيَّة؛ فإن لله ألطافًا خفيَّةً.

وعن الشيخ أبي عبد الله القرشي قال: هجم أهل الشرك ببلاد الأندلس على قريةٍ من قُراها فدخلوها في غِرةٍ، فشقَّ على أهلها، وأخذوا في طريقهم أسارى عديدةً فانزعج أهل الأندلس لذلك، وبلغ الخبر أن الأسارى يُرمى لهم الحشيش مع الخيل وهم مكتوفون فيأكلون بأفواههم كما ترعى البهائم.

قال: فبت في بعض تلك الليالي عند الشيخ أبي إسحاق بن ظريف، فوضع الطعام بيننا ثم تنفس بعد أن قال: بسم الله، ثم قال: يا محمدُ، أما بلَغكَ ما طرأ على المسلمين. فقلت: نعم. فجعل يقصُّ الخبر، ويبكي حتى علا بكاؤه، ثم قال: والله لا أكلت طعامًا ولا شربت شرابًا حتى يفرِّج الله تعالى عن المسلمين، ثم اعتزل عن الطعام، ثم جلس ساعةً فسمعته يقول: الحمد لله، ثم دنا إلى الطعام، وقال: كُلْ. فأكلت معه وعجبت منه كيف تَركهُ ثم عاد إليه بعد قَسمِهِ في ساعةٍ! ثم أن الخبر وصل إلينا بعد ذلك أن الوقت الذي تكلم فيه الشيخ صادف أن النصارى سمعوا رجفةً عظيمةً اعتقدوا أن معسكر المسلمين دهمهم، فركبوا خيولهم، ونجوا بأنفسهم، وتركوا الغنيمة والأَسَارى، فخلَّص الله المسلمين.

وقال الشيخ أبو زيد القرطبي: سمعت في بعض الآثار أن من قال: لا إله إلا الله سبعين مرةً كانت فداؤه من النار، فعملت ذلك لبركة الوعد، وعلَّمت منها لأهلي، وعملت منها أعمالاً ادخرتها لنفسي، وكان إذ ذاك يبيت معنا شابٌ يقال أنه يُكاشف في بعض الأوقات بالجنَّة والنَّار، وكانت الجماعة ترى له فضلاً على صغر سنه، وكان في قلبي منه شيءٌ، فاتفق أنه استدعانا بعض الأخوان إلى منزلهِ فنحن نتناول الطعام والشاب معنا؛ إذ صاح صيحةً منكرةً، واجتمع في نفسه وهو يقول: يا عمُّ، هذه أمي في النار وهو يصيح بصياحٍ عظيمٍ لا يشكُّ من سمعه أنه عن أمرٍ، فلمَّا رأيتُ ما به من الانزعاج قلت في نفسي: اليوم أجرِي صدقه، فقلت في نفسي: إن كان الأثر حقًّا والذين رووه لنا صادقون أن السبعين ألفا فداء هذه الامرأة أمَّ هذا الشاب فما استتممت الخاطر في نفسي إلى أن قال: يا عمُّ، ها هي أُخرجت الحمد لله الحمد لله. فحصلت لي فائدتين: إيماني بصدق الأثر، وسلامتي من الشاب، وعلمي بصدقه.

وذكر الشيخ شهاب الدين في كتابه «العوارف»:

أن الشيخ عبد القادر الكيلاني بعث إلى شخصٍ، وقال لفلانٍ: عندك طعامٌ وذهبٌ، ائتني من الذهب بكذا، ومن الطعام بكذا. فقال الرجل: كيف أتصرف فى وديعةٍ عندي ولو أستفتيك ما أفتيتني في التصرف. فألزمه الشيخ بذلك، فأحسن الظن بالشيخ، وجاء إليه بالذي طلب، فلمَّا وقع التصرف منه جاءه مكتوبٌ من صاحب الوديعة وهو غائبٌ في بعض نواحي العراق أن حُملَ إلى الشيخ عبد القادر كذا وكذا القدر الذي عيَّنه الشيخ عبد القادر، فعاتبه الشيخ بعد ذاك على توقُّفه، وقال: ظننت بالفقراء أن إشارتهم تكون على غير صحةٍ وعلمٍ.

وروي سندًا من ثلاثٍ عن جماعةٍ من الشيوخ في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر: أنه أرسل إليه بعض الشيوخ جماعةً من أصحابه، وقال لهم: اذهبوا إلى بغداد، وقولوا للشيخ عبد القادر: يُسلِّم عليك عبد الرحمن، ويقول لك: إن له أربعين سنةً في دركات باب القدرة فما رآك تمرَّ لا داخلاً ولا خارجًا.

فقال الشيخ عبد القادر في ذلك الوقت لجماعةٍ من أصحابه: اذهبوا إلى الشيخ عبد الرحمن، وستجدون في طريقكم جماعةً من أصحابه بعثهم إليَّ بكذا وكذا، فإذا لقيتموهم فردُّوهم معكم، فإذا أتيتموه فقولوا: يسلِّم عليك عبد القادر، ويقول لك: أنت في الدركات، ومَنْ هو في الدركات لا يرى من في الحضرة، ومَنْ هو في الحضرة لا يرى من في المخدع، وأنا في المخدع أدخل وأخرج من باب الشر من حيث لا تراني بأمارة أن أخرجت لك الخلعة الفلانية في الوقت الفلاني على يدي وهي خلعة الرضا، وبأمارة خروج التشريف الفلاني لك على يدي وهو تشريف الفتح، وبأمارة أن خلع عليك في الدركاتِ بمحض اثنا عشر ألف وليٍّ لله خلعة الولاية وهي فرجيَّة خضراء طرازها سورة الإخلاص على يدي خرجت لك. فانتهوا إلى نصف الطريق، فوجدوا أصحاب الشيخ عبد الرحمن فردوهم، وأتوا إليه، وبلَّغوا رسالة الشيخ عبد القادر، فقال: صَدَقَ الشيخ عبد القادر سلطان الوقت وصاحب التصريف فيه.

وفي كتاب «نشر المحاسن» عن الشيخ أبي الغيث اليمني:

أنه قال له الفقراء ذات يومٍ: تشتهي اللحم.
فقال لهم: اصبروا إلى اليوم الفلاني، وكان يوم سوقٍ تأتيه القوافل فلمَّا جاء ذلك اليوم جاء الخبر أن قطَّاعَ الطريق أخذوا القافلة، ثم جاء بعض القطَّاع الحرامية بحَبٍّ، وجاء آخر منهم بثورٍ.
فقال الشيخ للفقراء: تصرَّفوا فيه وخلُّوا رأس الثور على حاله. فتصرَّفوا، وأحضروا العيش، فدعاهم الفقراء إلى الأكل، فامتنعوا.
فقال الشيخ للفقراء: كلوا، الفقهاء ما يأكلون الحرام.
فلمَّا فرغوا من الأكل جاء إنسانٌ إلى الشيخ، وقال: يا سيدي، نذرتُ للفقراء كذا وكذا من الحبِّ فأخذه الحرامية. وجاء آخر أيضًا، وقال: نذرتُ للفقراء ثورًا فنُهب. فقال لهم الشيخ: قد وصل إلى الفقراء متاعهم.
وقال لصاحب الثور: تعرف ثورك إذا رأيت رأسه، قال: نعم.
فأمر الفقراء بإحضاره، فلما رآه قال هذا رأس ثوري بعينه، فَبقي الفقهاء يضربون يدًا على يدٍ ندمًا على ترك مرافقة الفقراء.
ومن اطِلاع الله تعالى لهم على ما يشاء في الحوادث قبل وقوعها:
ما رُوي سندًا في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر: قال بعض أصحابه:
كنت أشتغل على سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني، وكنت أسهر أكثر الليل أترقَّب حاجته، فخرج من داره ليلةً، فناولتهُ إبريقًا فلم يأخذه، وقصد باب المدرسة، فانفتح له الباب، فخرج وخرجت خلفه، ومشى إلى أن قرُب من باب بغداد، فانفتح له الباب، فخرج وخرجت معه ثم عاد الباب مغلقًا، ومشى غير بعيدٍ، فإذا نحن في بلدٍ لا أعرفه، فدخل فيه مكانًا شبيهًا بالرباط، وإذا فيه ستة نفرٍ فبادروا إلى السَّلام عليه، والتجأت إلى ساريةٍ هناك، وسمعت من جانب ذلك المكان أنينًا فلم نلبث إلا يسيرًا حتى سكت الأنين.
ودخل رجلٌ وذهب إلى الجهة التي سمعت منها الأنين، ثم خرج يحمل شخصًا على عاتقه، ودخل آخر مكشوف الرأس طويل شعر الشارب، وَجَلَس بين يدي الشيخ فأخذ عليه الشهادتين، وقصَّ شعر رأسه وشاربه وألبسه طاقيةً، وسمَّاهُ محمدًا، وقال لأولئك النفر: قد أمرت أن يكون هذا بدلاً عن الميت.
فقالوا: سمعًا وطاعةً. ثم خرج الشيخ وتركهم وخرجت خلفه، ومشينا غير بعيدٍ، وإذا نحن عند باب بغداد، فانفتح كأوَّل مرةٍ، ثم أتى إلى المدرسة، فانفتح بابها أيضًا، ودخل داره، فلمَّا كان الغد جلستُ بين يديه أقرأ على عادتي فلم أستطع من هيبته، فقال لي: أي بنيَّ اقرأ ولا عليك.
فأقسمت له أن يبّين لي ما رأيت، فقال: أما البلد ((فنهاوند)) وأما الستة فهم الأبدال، وصاحب الأنين سابعهم كان مريضًا فلمَّا حَضُرتْ وفاته جئت أحضرهُ، وأما الرجل الذي خرج يحمل شخصًا فأبو العباس الخضر ذهب به ليتولى أمره، وأما الرجل الذي أخذت عليه الشهادتين فرجلٌ من أهل القسطنطينية كان نصرانيًا، وأمرت أن يكون بدلاً عن المتوفى، فأتى به، فأسلم على يدي وهو الآن منهم، وأخذ عليَّ ألا أُحدِّث بذلك أحدًا وهو حيٌّ.

وقد أخبر خلائق منهم بموتهم وموت كثيرٍ من الناس في أزمنةٍ وأمكنةٍ معيَّناتٍ وبأشياء تقع بعد موتهم، فوقع جميع ذلك على وفق ما أخبروا.

فمن ذلك ما رُوي أن الشيخ أبا الغيث اليمني وَقَفتْ بين يديه مغنيةٌ، فغُشي عليها، ووقعت، فلمَّا أفاقت طلبت التوبة وصحبة الفقراء، وكانت من المترفات وأهل الرعونات، فقال لها الشيخ: إنَّا نذبحك أتصبرين على الذبح؟ فقالت: نعم. فأمرها أن تسقي الماء للفقراء، فمكثت ستة أشهرٍ تحمل الماء على ظهرها قد تبدَّلت وتبدَّلت عن حالها الأول، ثم قالت للشيخ: إني قد اشتقتُّ لربي. فقال الشيخ: يوم الخميس تلقين ربك. فماتت يوم الخميس.

وعن الشيخ إسماعيل الحضرمي أنه قال: أنا أموت في الضَحى (بفتح الضاد المعجمة والحاء المهملة)، موضعٌ في اليمن، فمات وتقدَّمت الحكاية عن الفقير الذي قال: أنا غدًا أموت وقت الظهر.

وقال بعضهم: صحبتُ خير النسَّاج، فقال لي قبل موته بثمانية أيامٍ: أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب، وأُدفن يوم الجمعة قبل الصلاة، وستنسى هذا.

قال: فنسيته إلى يوم الجمعة، فلقيني من أخبرني بموته، فخرجت لأحضر جنازتهِ فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما ذكر.

وعن الشيخ سهل بن عبد الله التستري قال: مات شاه بن شجاع الكرماني في وقت توقيت موته.

وغير ذلك مما هو خارجٌ عن الحصر.

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]: أي المتفرِّسين، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «اتَّقوا فِراسة المؤمنِ؛ فإنَّه ينظرُ بنورِ الله».

وعن القشيري: أن الجنيد وقف عليه غلامٌ نصرانيٌّ متنكرًا وهو يتكلم على الناس في الجامع، فقال: أيها الشيخ، ما معنى قول النبي ﷺ: «اتَّقوا فراسةَ المؤمن؛ فإنَّه ينظرُ بنور الله»؟ فأطرق الجنيد، ثم رفع رأسه، ثم قال: أسلم؛ فقد حانَ وقت إسلامك. فأسلم الغلام.

وسُئل بعضهم عن الفراسة؟ فقال: أرواحٌ تتقلب في الملكوت، فتشرف على معاني الغيوب، فتنطق عن أسرار الخَلق نطق مشاهدةٍ وعِيانٍ لا نطق ظنٍّ وحسبانٍ.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي: العالم مَنْ نطق عن سرِّك، واطَّلع على عواقب أمرك.

وقال أيضًا: الولي يرى الأشياء من وراء حجاب الشرع.

وجميع هذه الأقوال مما رويناهم عنهم مشهورةٌ مرويَّةٌ عند أهل العلم في تصانيف مشهورةٍ كالرسالة وغيرها، وليس القصد حصر ما قاله الشيوخ في ذلك ولا ما وقع له منه، فإن ذلك مما لا سبيل إلى نزف بحره التيَّار العميق الزخار، وإنما القصد التنبيه على ذلك مع أنه لا حاجة أيضًا إلى التنبيه عليه؛ فقد قام البرهان القطعي على جواز كرامات الأولياء من حيث الجملة، وهذا من جمتلها، وقد تقدَّم الدليل على جواز بلوغ الكرامة مبلغ المعجزة في جنسها وعظمها.

النوع السادس: طي الأرض لهم من غير حركةٍ منهم:

من ذلك ما رُوي أن بعضهم كان في جامع «طرسوس» فاشتاق إلى زيارة الحرم، فأدخل رأسه في جيبه ثم أخرجه وهو في الحرم.

وكذلك اجتمع جماعةٌ في بعض البلدان البعيدة في يوم عرفة، فاغتسلوا، وصلُّوا، وأحرموا، ثم سجدوا، ومكثوا فيها ما شاء الله تعالى، ثم رفعوا رؤوسهم وإذا هم ينظرون الجمال سائرةً من مِنًى إلى عرفات.

وعن الشيخ سهل بن عبد الله التستري قال:

توضأتُ في يوم الجمعة، فمضيتُ إلى الجامع في أيام البداية، فوجدته قد امتلأ بالناس وهمَّ الخطيب أن يرقى المنبر، فأسأت الأدب، ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتى وصلت إلى الصف الأول، فجلستُ وإذا عن يميني شابٌّ حسن المظهر طيب الرائحة عليه أطمار الصوف، فلمَّا نظر إليَّ قال: كيف تجدك يا سهل؟ فقلت: بخيرٍ أصلحك الله، وبقيتُ متفكِّرًا في معرفته، وأنا لم أعرفه، فبينما أنا كذلك إذ أخذني حذقان بول فأكربني، فبقيت على وجلٍ خوفًا أن أتخطى رقاب الناس، وإن جلست لم يكن لي صلاةٌ، فالتفتَ إليَّ وقال: يا سهل أخذك حذقان بولٍ. فقلت: أجل. فنزعَ إحرامه من منكبه، فغشاني به، ثم قال: اقضِ حاجتك وأسرع تلحق الصلاة.

قال: فأغمي عليَّ، وفتحت عيني فإذا ببابٍ مفتوحٍ، فسمعت قائلاً يقول:

لج الباب يرحمك الله. فولجت، وإذا أنا بقصرٍ مشيَّدٍ عالي البنيان، وإذا بنخلةٍ قائمةٍ، وإذا بجنبها مَطهرةٌ مملوءةٌ ماءٍ أحلى مِن الشهد، ومنزلٌ لإراقة الماء، ومنشفةٌ معلقةٌ وسواكٌ، فحللتُ لباسي، وأرقت الماء ثم اغتسلت، وتنشفت بالمنشفة، فسمعته يناديني، ويقول: إن كنت قضيت إربك فقل: نعم. فقلت:نعم. فنزعَ الإحرام عني، وإذا أنا جالسٌ بمكاني، ولم يشعر بي أحدٌ، فبقيت متفكِّرًا في نفسي وأنا أكذِّب نفسي فيما جرى، فقامت الصلاة فصلَّى الناس وصليت معهم ولم يكن لي شغلٌ إلا الفتى لا أعرفه.

فلمَّا فرغ تبعت أثره فإذا به قد دخل إلى دربٍ، فالتفتَ إليَّ، وقال: يا سهل، كأنَّك ما أيقنت بما رأيت.

قلت: بلى. قال: لج الباب يرحمك الله. فنظرت الباب بعينه، فولجت القصر، فنظرت النخلة، والمطهرة، والحال بعينهِ، والمنشفة مبلولة، فقلت: آمنت بالله.

فقال: يا سهل، مَنْ أطاع الله أطاعه كل شيءٍ، يا سهل، اطلبه بحمده. فتغرغرت عيناي بالدموع، فمسحتهما وفتحتهما فلم أرَ الفتى ولا القصر، فبقيت متحسرًا على ما فاتني منه، ثم أخذت في العبادة.

وهذه الحكاية عجيبةٌ لا يكاد يؤمن بها كثيرٌ من الناس، ولها احتمالاتٌ:

منها: أنه يحتمل أنه نُقل من مكانه لما أغمي عليه إلى حيثما شاء الله تعالى من غير شعورٍ منه، ثم أعيد كذلك إلى مكانه لطفًا من الله تعالى وكرامةً لأوليائه، والله على كل شيءٍ قديرٌ.

وعن الشيخ مفرِّج الدماميلي: أنه رآه بعض أصحابه بِعَرَفة، ورآه آخر من أصحابه في مكانه لم يفارقه في جميع ذلك اليوم، فذكر كل واحدٍ منهما ذلك لصاحبه ثم تنازعا، وحلف كل واحدٍ منهما بالطلاق من زوجته أنه كما ذكر، فاختصما إلى الشيخ، وذكر كل واحدٍ منهما يمينه، فأقرَّهما الشيخ على حالهما، وأبقى كل واحدٍ منهما على الزوجية.

قال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور: فسألت الشيخ مفرِّجًا عن حكمه في هذه القضية بعدم

حنث الاثنين مع كون صدق أحدهما يوجب حنث الآخر، وكان معنا في وقت سؤالي جماعةٌ فيهم رجالٌ معتبرون لهم معرفةٌ بالعلم.
فقال لنا الشيخ: قولوا: يعني تكلموا في هذه المسألة، وكان ذلك إذنًا منه بأن نتحدث في سر هذا الحكم، فتحدث كل منهم بوجهٍ غير كافٍ، وكانت المسألة قد اتضحت لي، فأشار إليَّ الشيخ بإيضاحها، فقلت: الوليُّ إذا تحقق في ولايته وَمُكِّن من التصور في روحانيته يُعطى من القدرة في التصور في صورةٍ عديدةٍ في وقتٍ واحدٍ فى جهاتٍ متعددةٍ على حكم إرادته، فالصورة التي ظهرت لمن رآها بعَرَفة حقٌّ، والصورة التي رآها الآخر في مكانه في ذلك الوقت حقٌّ، وكل واحدٍ منهما صادقٌ في يمينه. فقال الشيخ مُفرِّج: هذا هو الصحيح، فإن قيل كيف يتصور تعداد الصور من شخصٍ واحدٍ؟ قلت: إن ذلك قد وقع، وشُوهِدَ ولا يمكن جحوده، وإن تحيَّر فيه العقل.
ومن ذلك: ما اشتهر عن كثيرٍ من الفقهاء وغيرهم: أن الكعبة المعظَّمة شوهدت تطوف بجماعةٍ من الأولياء في أوقاتٍ في أمكنةٍ غير مكانها، ومعلومٌ أنها في مكانها لم تفارقه في تلك الأوقات، فعُلم من هذا أن وراء طور العقل طورًا آخر.
ومن ذلك: الشيخ قضيب البان حين شُوهد وقد صلَّى أربع ركعاتٍ في أربع صورٍ، فلمَّا سلم الإمام ضحك في وجه الفقيه الذي بجنبه، وقال له: أي الأربعة الذي صلَّى معكم هذه الصلاة.
وقيل: إنما سُمِّي الأبدال أبدالاً؛ لأنهم إذا غابوا يبدل في مكانهم صورٌ روحانيةٌ تخلفهم، وهذا أحد القولين في سبب تسميتهم أبدالاً.
ونؤيد ما ذكرناه عن الشيخ سهل عن الولي الذي ستره بإحرامه وعن الشيخ مفرِّج وعن الشيخ قضيب البان ما روي بالإسناد الصحيح المتعدد برواية جماعةٍ من الشيوخ:
أن الشيخ عبد القادر الكيلاني حضر في مجلسه أبو المعالي محمد بن أحمد البغدادي التاجر، فأخذته حقنةٌ شديدةٌ منعته من الحركة، وبلغت منه الجهد، فنظر إلى الشيخ عبد القادر نظر المستغيث، فنزل الشيخ مرقاة من الكرسي الذي يتكلم عليه، فظهر على تلك المرقاة رأسٌ كرأس الآدمي، ثم نزل أخرى، فظهر كتفان وصدرٌ، وما زال ينزل مرقاةً مرقاةً حتى تكمَّلت على الكرسي صورةٌ كصورته تتكلم على الناس بصوتٍ مثل صوته، وكلامٍ مثل كلامه، ولا يرى ذلك إلا هو ومن شاء الله من الحاضرين، وجاء يشقُّ الناس حتى وقف عليه، وغطَّى رأسه بكمِهِ.
وفي رواية: بمنديله، فإذا هو في صحراء متسعةٍ فيها نهرٌ عنده شجرةٌ، فعلَّق فيها مفاتيح كانت في كمِه، وأزال حقنته، وتوضأ من ذلك النهر، وصلَّى ركعتين، فلمَّا سلَّم منها رفع الشيخ الغطاء عنه، فإذا هو في المجلس وأعضاؤه مبتلةٌ بالماء ولا حقنة به، والشيخ على الكرسي يتكلم كأنه لم ينزل منه، وتفقَّد مفاتيحه فلم يجدها معه، ثم بعد مدةٍ جهَّز قافلةً إلى بلاد العجم، وساروا من بغداد أربعة عشر يومًا، فنزلوا منزلاً في بريةٍ فيها صحراء، فذهب فيها ليزيل حقنةً به، فقال: ما أشبه هذه الصحراء بتلك الصحراء وذكر شأنه في ذلك اليوم فإذا هو بذلك النهر وتلك الشجرة ومفاتيحه معلقةٌ عليها، فلمَّا رجعوا أتى إلى الشيخ ليخبره بذلك فأمسك بأذنهِ قبل أن يخبره،

وقال له: يا أبا المعالي، لا تذكرهُ لأحدٍ وأنا حيٌّ. فلازم خدمته إلى أن مات.
ورُوي مسندًا في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر عن الشيخ محمد بن الأزهر قال: مكثت مدةً أسأل الله تعالى يُريني أحدًا من رجال الغيب، فرأيتُ ليلةً في المنام أني أزور قبر الإمام أحمد بن حنبل وعند قبره رجلٍ، فوقع في نفسي أنه من رجال الغيب، فاستيقظت فرجوت أن أراه في اليقظة، فأتيت قبر الإمام أحمد في وقتي، فوجدت الرجل الذي رأيته في المنام بعينه، فخرج قدَّامي، وتعجَّلت في الزيارة، وتبعته إلى أن وصل إلى دجلة، فالتقى له طرفاها حتى صارت قدر خطوة الرجل، فعبرها إلى الجانب الآخر، فأقسمت عليه أن يقف ليكلِّمني، فوقف، فقلت: ما مذهبك؟ فقال: حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين فوقع عندي أنه حَنفيُّ المذهب، وانصرفت، فقلت في نفسي: آتي الشيخ عبد القادر، وأذكر له ما رأيت، فأتيت مدرسته، وقمت على بابه، فناداني من داخل داره، وقال: يا محمد، ما في الأرض من المشرق إلى المغرب في هذا الوقت وليٌّ لله سبحانه وتعالى حنفيٌّ سواه.
وحكاياتهم في هذا كثيرةٌ، وفيما ذكرناه كفايةٌ.
النوع السابع: انفجار الماء لهم:
من ذلك ما روى القشيري في رسالته بإسناده فيها: أن أبا تراب النخشبي قال له بعض أصحابه في طريق مكة: أنا عطشان، فضرب برجله الأرض فإذا عين ماءٍ زلالٍ، فقال الفتى: أحب أن أشربه في قدحٍ، فضرب بيده الأرض فناوله قدحًا من زجاجٍ أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب، وسقانا وما زالَ القدح معنا إلى مكة.
وعن الشيخ أبي عبد الله القرشي: أنه جاء إلى بئرٍ من آبار مِنى بِركوتةٍ يطلب ماءً وهو عطشان، فضربه بعض من كان على البئر، ورمى بركوته بعيدًا.
قال: فمضيت إليها لآخذها وأنا منكسر القلب، فوجدتها في بركة ماءٍ حلوٍ، فاستقيتُ، وشربتُ، وجئتُ بها إلى أصحابي فشربوا، وأعلمتهم بالقصة فمضوا إلى المكان؛ ليستقوا منه، فلم يجدوا ماءً ولا أثرًا لماءٍ، قلت: إنها آيةٌ.
وحُكي عن بعض الأخيار: أنه عطش في طريق الحج، فدار في الركب من أولهِ إلى آخرهِ في طلب الماء، فلم يحصل له شيءٌ، وإذا بفقيرٍ قد ركَّز عكازه في ساقية بركةٍ، والماء ينبع من تحت العكاز، ويجري إلى البركة، فملأ قِربَتهُ، وأعلم الحاجَّ، فاستقوا منها، وتركوها وهي تطفح، وحكاياتهم من هذا النوع لا يمكن حصرها، وقصدنا التنبيه عليها والإشارة إليها.
النوع الثامن: كلام الجمادات والحيوانات لهم:
من ذلك الحكاية المشهورة في مخاطبة شجرة الرمان لإبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس، وقولها: يا أبا إسحاق، اكرمنا بأن تأكل منَّا شيئًا، قالت ذلك ثلاث مراتٍ، وكانت شجرةً قصيرةً، ورمانها حامضٌ، وتحمل في السنة مرةً، فلما أكل منها صارت طويلةً، ورمانها حلوًا، وتحملُ في السَّنة مرتين، فسمُّوها رمانة العابدين، ويأوي إلى ظلِّها العابدون.
قال الشبلي: اعتقدتُ وقتًا ألا آكل إلا من الحلال، فكنت أدور في البراري، فرأيت شجرة تينٍ، فمددت يدي إليها لآكل منها، فنادتني الشجرة: احفظ عليك عقدك ولا تأكل منِّي؛ فإني ليهوديٍّ.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي: بينما أنا أسير على بعض السواحل إذ خاطبتني حشيشةٌ: أنا شفاء هذا المرض الذي بك. فلم أتناول منها ولم أستعملها.
وعن بعضهم: أنه قال: كلَّمني جملٌ في طريق مكة لما رأيت الجمال والمحاملِ عليها وقد مدت أعناقها في الليل، فقلت: سبحان من تحمَّل عنها ما هي فيه، فالتفتَ إليَّ جملٌ، وقال لي: قل: جلَّ الله، فقلت: جلَّ الله.
وعن بعضهم: أنه كان يضرب رأس حمارٍ كان تحته، فرفع الحمار رأسه، وقال: اضرب أو لا تضرب؛ فإنما تضرب على رأسك.
ولا يستنكر هذا؛ فقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح بكلام البقرة التي كلَّمت صاحبها، وقالت: «إنَّما خُلقتُ للحرثِ... الحديث».
وقوله ﷺ فيما أُخرج: «آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر»، فشهد لهما بالإيمان بذلك وهما غائبان حينئذٍ لما قال الناس: سبحان الله بقرةٌ تتكلم، وناهيك بهذا شرفًا لهما.
وكذلك ما رُوي عن الشيخ أبي الربيع المالقي قال: قيِّض الله لي طيرًا في بعض الأسفار يبيت يسامرني، فكنت أسمعه الليل كله ينطق: يا قدوس يا قدوس، فإذا أصبح صفَّق بجناحيه، وقال: سبحان الرزَّاق، وطار.
وكذلك ما رُوي أن بعضهم كان يأتيه طيرٌ بمكة، ويحادثه، فلمَّا كان ذات يوم أتاه وقال له: موعدي وموعدك الشام. فاجتمع به بعد ذلك في الشام، وكذلك الحكاية المشهودة المشهورة في الطير الذي يبشِّر أبا مسلم بسلامة السريَّة، وقدومها في وقتٍ عيَّنه له في بعض الغزوات، فقال له: مَنْ أنت يرحمك الله؟ فقال له الطير: أنا مُذهِب الأحزان عن قلوب المؤمنين. فقدمت السرية كما ذكر وغير ذلك مما يخرج عن الحصر مما قد عُلم واشتهر.
النوع التاسع: إبراء العِلل ببركتهم: من ذلك ما رُوي أنه ظهر بيعقوب بن الليث علةٌ أعيت الأطباء، فقيل له: في ولايتك رجلٌ صالحٌ يُقال له: سهل بن عبد الله، فلو استحضرته لعلَّه يدعو لك. فأحضره، وسأله الدعاء، فقال: كيف يُستجاب دُعائي لك وفي سجنك محبوسون؟ فأطلق كل مَنْ كان في السجن، فقال سهل: اللَّهُمَّ كما أريته ذُلَّ المعصية فأره عزَّ الطاعة، وفرِّج عنه. فعوفي، فعرض مالاً على سهل فأبى أن يقبل، فقيل له: لو قبلته وفرَّقته على المساكين؟ فنظر إلى الحصى في الصحراء فإذا هي جواهر، فقال: مَنْ أُعطي مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث؟!
وعن السرِّي السَّقطي قال: كنت أطلب رجلاً صدِّيقًا مدةً من الأوقات، فمررتُ في بعض الجبال فإذا أنا بجماعةٍ زمنَى، وعميانًا، ومرضى، فسألت عن حالهم، فقالوا: ها هنا رجلٌ يخرج في السَّنة مرةً فيدعوهم، فيجدون الشفاء، فقفوت أثره، وتعلقت به، وقلت: بي علةٌ باطنيةٌ فما دوائها؟ فقال: يا سريُّ، خلِّ عني؛ فإنه غيورٌ لا يراكَ تُساكن غيره، فتسقط من عينه.
وكذلك الحكاية المشهورة عن البنت الزمنة التي قالت: يا ربِّ أسألك بحرمة ضيفنا أن تعافيني. فقامت تمشي في الليل، فلمَّا رأى ذلك أهلها طلبوا الضيف وكان صبيًّا حمَّالاً في السوق، بات عندهم فلم يجدوه والأبواب على حالها مغلقةٌ.

ورُوي مسندًا في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني: أنه جاءه فضل الله بن إسماعيل البغدادي التاجر فقال له: يا سيدي قال جدك ﷺ: من دُعي فليجب، وقد دعوتك إلى منزلي، فقال: إن أذن لي جئت، ثم أطرق مليًا، ثم قال: نعم، فركب بغلته، وكان عنده شيخان من الشيوخ الكبار فأخذ أحدهما بركابه الأيمن والآخر بركابه الأيسر حتى أتوا إلى داره فإذا فيها مشايخ بغداد وعلماؤها وأعيانها ومدُّ سماطٍ فيه من كل حلوٍ وحامضٍ، وأُتي بسلةٍ كبيرةٍ مختومةٍ يحملها اثنان، ووضعت في آخر السماط، وقال فضل الله: بسم الله، والشيخ مطرقٌ فما أكل أحدٌ ولا أَذِنَ في الأكل لأحدٍ وأهل المجلس كأن على رؤوسهم الطير من هيبته، فأشار إلى الشيخين الّذين جاءا معه: أن قدِّما لي تلك السلة. فقاما وحملاها حتى وضعاها بين يديه، وأمرهما ففتحاها فإذا فيها ولدٌ للذي دعاهم أكمهٌ مُقْعَدٌ مجذومٌ ومفلوجٌ.

فقال له الشيخ: قُمْ بإذن الله تعالى معافًى. فإذا الصبي يعدو وهو بصيرٌ ولا عاهة به، فضجَّ الحاضرون وخرج الشيخ في غلبات الناس ولم يأكل شيئًا.

قال الراوي: وهو أحد الشيخين المذكورين، فأتاه بعد ذلك جمعٌ من الرافضة بقفَّتين مخيطتين، وقالوا له: قل لنا ما فى هاتين القفتين، فنزل من الكرسي الذي يتكلم عليه ووضع يده على إحداهما، وقال: في هذه صبيٌّ مقعدٌ وأمر بفتحها فإذا فيها صبيٌّ، فأمسك بيده، وقال له: قم بإذن الله تعالى.

فقام يعدو، ووضع يده على الأخرى، وقال: فى هذه صبيٌّ لا عاهة به، وأمر بفتحها، وإذا فيها صبيٌّ فقام يمشي، فأمسك بناصيته، وقال له: اقعد. فأُقعد، فتابوا عن الرفض على يديه، ومات في المجلس يومئذٍ من الحاضرين ثلاثةٌ.

ورُوي أنه مات في مجلسه في بعض الأيام سبعةٌ.

ورُوي أن الشيخ أحمد بن موسى بن عجيل اليمني جاءه بعض الناس وفي يده سلعةٌ، فقال له: ادعُ الله لي أن يزول عني هذه السلعة وإلا ما بقيت أحسن ظنِّي بأحدٍ من الصالحين. فقال له: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومسح على يده وربط عليها بخرقةٍ، وقال: لا تفتحها حتى تصل إلى منزلك. فخرج من عنده، فلمَّا كان في بعض الطريق أراد أن يتغذَّى ففتح يده ليأكل فلم ير لها أثرًا.

ولعل الشيخ أراد أن يستر هذه الكرامة بستر اليد بالخرقة؛ لئلا تظهر في الحال، وربما كان عنده في ذلك الوقت ناسٌ فرأى ظهورها بعد تراخي الوقت أهون وأقل شهرةً.

والكلام في هذا النوع واسعٌ جلُّه ولسنا إلى تتبُّعه نتعدى.

النوع العاشر: طاعة الأشياء لهم: من المشهور أن كثيرًا منهم كانت السباع تحرمهم، وقد ركب كثيرٌ منهم على ظهورها، وبعضهم حمل عليها زاده، وبعضهم حطبًا، منهم الشيخ أبو الغيث اليمني حمل حطبًا على ظهر أسدٍ افترس حماره، فقال له: وعزة المعبود ما أحمل حطبي إلا على ظهرك، فخضع له، فحمل الحطب على ظهره، وساقه إلى باب البلد ثم حطَّ عنه، وخلاَّه.

وعن المرأة الصالحة شعوانة: أنها رُزقت ولدًا فربَّته أحسن تربيةٍ، فلما كبر ونشأ قال لها: سألتك بالله يا أماه إلا ما وهبتيني لله تعالى.

فقالت له: يا بني، إنه لا يصلح أن يهدى للملوك إلا أهل الأدب والتُقى، وأنت يا ولدي غرٌّ ما تعرف ما يُراد بك ولم يأن لك ذلك. فأمسك عنها ولم يقل لها شيئًا، فلما كان ذات يومٍ خرج إلى الجبل ليحتطب ومعه دابةٌ، فنزل عنها ليجمع حطبًا، فلما جمع ورجع وجد السبع قد افترسها، فجعل يده في رقبة السبع وقال له: يا كلب الله وحقُّ سيدي لأحمِّلنك الحطب كما تعديت على دابتي، فحمل على ظهره الحطب وهو طائعٌ لأمره حتى وصل إلى دار أمه، فقرع عليها الباب، ففتحت له، وقالت له لما رأت ذلك: يا بني أما الآن فقد صلحتَ لخدمة الملوك، اذهب فقد وهبتك لله تعالى. فودَّعها، وذهب.

ورُوي أن الشيخ الكبير شاه بن شجاع الكرماني خرج للصيد وهو ملك كرمان، فأمعن في الطلب حتى وقع في بريةٍ مقفرةٍ وحده فإذا هو بشابٍ راكبٍ على سبعٍ وحوله سباعٌ، فلما رأته ابتدرت نحوه، فزجرها الشاب عنه، وخرجت عجوزٌ بيدها شربة ماءٍ فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيه إلى شاه، فشرب وقال: ما شربت شيئًا ألذَّ منه ولا أعذب، ثم غابت العجوز، فقال الشاب: هذه الدنيا وكَّلها الله تعالى إلى خدمتي، فما احتجت إلى شيءٍ إلا أحضرته إليَّ حين يخطر ببالي، أما بَلَغَكَ أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا مَنْ خدمني فاخدميه، ومَنْ خدمك فاستخدميه، ووعظه وعظًا حسنًا فكان ذلك سبب توبته وخروجه من الملك ودخوله في طريق القوم حتى كان من أمره ما كان.

ورُوي أن جماعةً من أهل العلم قصدوا زيارة بعض الشيوخ فلما أتوه وجدوه يلحن في قرآنه في الصلاة فتغيَّر اعتقادهم فيه، فلما ناموا تلك الليلة أجنبوا كلهم فخرجوا ليغتسلوا في بركة ماءٍ، فوضعوا ثيابهم ودخلوا في الماء، فجاء الأسد وجلس على ثيابهم، فلم يقدروا يخرجون، فلاقوا شدةً من شدة البرد، فجاء الشيخ وزجر الأسد، وقال له: لا تتعرض لضيفاننا، فبصبص وذهب. ثم قال لهم الشيخ: أنتم اشتغلتم بإصلاح الظاهر، فخفتم الأسد، ونحن اشتغلنا بإصلاح الباطن فخافنا الأسد.

ومن المشهور أن السباع كانت تأتي إلى سهل بن عبد الله، فكان يُدخلها بيتًا ويضيفها ويطعمها اللحم، ثم يخليها، فكان الناس يسمون ذلك البيت بيت السباع.

قال الشيخ أبو ناصر السراج: ورأيت أهل تَستَّر كلهم متفقون على هذا لا ينكرونه.

وكذلك الحكاية المشهورة عن الشيخ إبراهيم الخواص مع الأسد الذي جاء يعرج فوضع يده في حجره فرآها وارمةً، فنعسها بعود، وأخرج منها قيحًا، فذهب الأسد وجاءه بعد ساعةٍ ومعه شبلان فبصبصا له وحملا إليه رغيفين، وذلك في البرية، وهذه الكرامة اشتملت على كراماتٍ كثيرةٍ: منها قصد الأسد إليه، واستئناسه به، ومدَّه يده إليه، ووضعها في حجره، والتماسه منه لقشها، وإخراج القيح منها، وعوده إليه، وإتيانه بولديه كالمتودِّد إليه والشاكر له على جميله، وحمله إليه الرغيفين كالمُجازي له، وإحضار الخبز في موضعٍ لا يوجد فيه مع كون محضره ليس من أهل الخبز، وكذلك المِخدة التي شوهدت تروِّح على الشيخ إبراهيم بن أدهم بالنرجس وهو نائمٌ في البستان، والظبية التي كانت تأتي بعضهم فيشرب لبنها في بعض البراري، والطيور التي كانت تؤانسهم في الجبال والقِفار، وتحمل إليهم أنواع الثمار، وغير ذلك مما امتلأت

باليسير منه كتب الحقيقة، وإنما نبَّهت على قطرةٍ من بحارٍ عميقةٍ، وعلى الجملة فالدنيا كلها تتصور لهم في صورة عجوزةٍ تخدمهم، وأعظم من ذلك طواف الكعبة المعظَّمة بكثيرٍ منهم، وكل ذلك مشهورٌ مذكورٌ بالأسانيد الصحيحة.

قال اليافعي في كتابه «نشر المحاسن»: ومن جملة ما اشتهر في بلاد اليمن وربما تواتر عن الشيخ الفقيه إسماعيل الحضرمي: أنه قال يومًا لخادمه وهو في سفرٍ يقول للشمس تقف له حتى يصل إلى منزله، وكان في مكانٍ بعيدٍ، وقد قرب غروبها، فقال لها الخادم: قال لكِ الفقيه إسماعيل قفي له، فوقفت له حتى بلغ مكانه، ثم قال للخادم: أما تطلق ذلك المحبوس. فأمرها الخادم بالغروب، فغربت، وأظلم الليل في الحال.

قال: والمرجوع في هذا كله إلى أصلٍ يجب الإيمان به، وهو أن الله على كل شيءٍ قديرٌ، وليس الخارق للعوائد بمستحيلٍ في العقل كما تقدَّم، ولا ملتبس بالمعجزات والسحر للفرق بين ذلك.

ومن طاعة الجان له ما رُوي مسندًا في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني: أنه جاءه بعض أهل بغداد، وذكر له أن ابنة له اختطفت من سطح داره وهي بكرٌ عمرها ستة عشرة سنةً، فقال له الشيخ: اذهب هذه الليلة إلى خراب الكوخ واجلس عند التل الخامس وخطَّ عليك دائرةً في الأرض، وقل وأنت تخطُّها:

بسم الله على نية عبد القادر فإذا كانت فحمة العشاء مرت بك طوائف من الجن على صورٍ شتى فلا يروعنَّك منظرهم، فإذا كان السحر مرَّ بك ملكهم في جحفلٍ منهم، فيسألك عن حاجتك، فقل له: قد بعثني عبد القادر إليك، واذكر له شأن ابنتك.

قال: فذهبت، وفعلت ما أمرني به فمرَّ بي منهم صورٌ مزعجة المنظر، ولا يقدر أحدٌ منهم أن يدنو من الدائرة التي أنا فيها وما زالوا يمرون زُمَرًا زُمَرًا إلى أن جاء ملكهم راكبًا فرسًا وبيَّن يديه، فوقف بإزاء الدائرة وقال: يا أنس، ما حاجتك؟ قلت: قد بعثني الشيخ عبد القادر إليك، فنزل عن فرسه، وقبَّل الأرض، وجلس خارج الدائرة، وجلس من معه وقال: ما شأنك؟ فذكرت قصة ابنتي، فقال لمن معه: من فعل هذا؟ فلم يعلموا من فعله، فأُتي بماردٍ وهي معه، وقيل له: هذا من مردة الصين. فقال له: ما حملك على أن اختطفت مَنْ تحت ركاب القطب قال: إنها وقعت في نفسي. فأمر به، فضرب عنقه، وأعطاني ابنتي، فقلت له: ما رأينا كاليلة في امتثالك أمر الشيخ عبد القادر. قال: نعم، إنه لينظر من داره إلى الزمرة منَّا وهم بأقصى الأرض فيفرون مِنْ هيبته إلى مساكنهم، وإن الله تعالى إذا أقام قطبًا مكنَّه من الجن والإنس.

قال الإمام اليافعي في كتابه «نشر المحاسن»:

لا شكَّ أن الكرامات قد ظهرت في زمن الصحابة وكثرت، ولكن ظهورها فيما بعد أكثر، ثم أن كثيرًا من المنكرين لكرامات الأولياء والصالحين لو رأوهم يطيرون في الهواء لقالوا: هذا سحرٌ، وقالوا: هؤلاء شياطين، ولا شكَّ أن من حرم التوفيق فكذَّب بالحقِّ غيبًا وحدسًا كذَّب به عِيانًا وحِسًا، كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين مخاطبًا لنبيه سيد المرسلين:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام:٧] الآية.

فإن قيل: إن هذه الكرامات تشبه السحر؛ فإن سماع الإنسان الهواتف في الهواء وسماع النداء من بطنه وطي الأرض له وقلب الأعيان ونحو ذلك غير معهودٍ في الحس أنه صحيحٌ، إنما يظهر ذلك من أهل السيميَّاء والنارنجيَّات.

فالجواب: ما أجاب به المشايخ العارفون والعلماء المحققون في الفرق بين الكرامة والسحر أن السحر يظهر على يد الفسَّاق والزنادقة والكفَّار الذين هم على غير شريعةٍ ومتابعةٍ، وأما الأولياء فإنما وصلوا إلى ذلك بكثرة اجتهادهم واتباعهم السُنَّة حتى بلغوا فيها الدرجة العليا فافترقا، وليس العجب ممن ينكر الكرامات من المعتزلة؛ فليس ذلك بمستنكرٍ ولا مستكثرٍ منهم؛ فقد خالفوا أهل السنة والجماعة بما هو أنكر وأكثر، وإنما العجب من قومٍ ينكرونها ينتمون إلى أهل السنة، وهم أقسامٌ: فقسمٌ منهم ينكرون على مشايخ الصوفية ومن ينتمي إليهم، ويسيئون الظن بهم، ويطعنون فيهم، وينكرون كراماتهم، والعجب كل العجب منهم في إنكارهم على سادات ما بين أوتادٍ وأبدالٍ وصدِّيقين عارفين بالله محققين، قد مَلؤوا الوجود كراماتٍ وأنوارٍ ومعارف وحكمًا وأسرارًا يعدون إقبال الناس عليهم ليلاً وإدبارهم عنهم نهارًا قد صفُّوا بواطنهم من شوائب الكدر واستوى عندهم الذهب والمدرة والمدح والذم والشدائد والنعم، بل يعدون نعمة الدنيا منعًا وبلاءً، والشدة عطاءً ورخاءً، أعرضوا في بدايتهم عمَّا سوى الله فخصُّوا في نهايتهم من فضل الله ما لا يعلمه إلا الله، فما ظنَّهم بقومٍ ضبطوا أنفاسهم مع الله، فشغلهم طول دهرهم بمراقبته.

يقول الصغير منهم: وقفت على باب قلبي عشرين سنةً ما جاز به شيءٌ لغير الله إلا رددته، أما علموا أن أعلام العلماء الصالحين الحلماء لم يزالوا قديمًا وحديثًا يعتقدون طائفة الصوفية ويزورنهم ويتبرَّكون بمجالستهم ودعائهم وآثارهم ويحترمونهم.

وقد رُوي أن الإمام تقي الدين بن دقيق العيد المشهور كان يزور بعض الفقراء ويطلب منه الدعاء، ويخضع ويتذلل بين يديه حتى أنه قال في وقتٍ: لهو عندي خيرٌ من مائة فقيهٍ، أو قال: ألف فقيهٍ.

وكذلك الإمام النووي كان يجتمع وينتفع بالشيخ ياسين المزين ويستمع كلامه، ويقبل إشارته حتى أنه أمره بالسفر وردِّ ما كان عنده من الكتب المستعارة قبل موته بقليلٍ فامتثل أمره، وقبل إشارته، وسافر راجعًا إلى بلدته، فمرض، وتوفِّي بين أهله وإخوته.

وكذلك الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام كان يعتقد المشايخ ويقول بفضلهم حتى أنه سُئل عن الخضر عليه السلام أحيٌّ هو؟ فقال: ما تقولون لو أخبركم ابن دقيق العيد أنه رآه بعينه أكنتم تصدقونه؟ قالوا: أي والله نصدقه. قال: فوالله لقد أخبر عنه سبعون صدِّيقًا أنهم رأوه كل واحدٍ منهم خيرٌ من ابن دقيق العيد.

قال اليافعي: وقوله هذا يرد قول ابن الجوزي في زعمه أن الخضر ليس بحيٍّ.

قلت: وأظنه قد رجع عن هذا القول؛ فإنه قد روى بإسناده المتصل أربع رواياتٍ:

=
الأولى: أن الخضر عليه السلام حيٌّ، أخذ إياها عن الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رآه متعلقًا بأستار الكعبة، وهو يدعو بهذا الدعاء: (اللَّهُمَّ يا مَنْ لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ...) الدعاء المشهور، وخاطبه الإمام وعرفه.
والثانية: عن الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال الراوي: لا أعلمه إلا مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «يلتقي الخضر وإلياس عليهما السلام في كل عامٍ في الموسم، فَيحلق كل واحدٍ منهما رأس صاحبه ويفترقا عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله».
والثالثة: عن الإمام عليّ رضي الله عنه أيضًا: أنه يجتمع يوم عرفة بعرفات جبرائيل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام، وذكر أنهم يتجاوبون بنحو هذا الذكر المذكور.
والرابعة: أن عيسى وإدريس في السماء وإلياس والخضر في الأرض.
روى هذه الروايات الأربع بإسناده المتصل.
قال ابن عباس رضي الله عنه في الكلمات التي يقولهن الخضر وإلياس: من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مراتٍ أمَّنه الله تعالى من الغرق والحرق والسرق.
قال الراوي: وأحسبه قال: ومن الشيطان والسلطان والحيَّة والعقرب.
والقسم الثاني من أقسام المنكرين: قومٌ يكذِّبون بكرامات أولياء أزمانهم، ويصدِّقون بكرامات الذين ليسوا في زمانهم.
فهؤلاء كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: والله ما هي إلا إسرائيليةٌ صدَّقوا بموسى وكذَّبوا بمحمدٍ ﷺ؛ لأنهم أدركوا زمنه.
القسم الثالث: قومٌ يُصدِّقون بأن لله تعالى أولياء لهم كراماتٌ، ولكن لا يصدِّقون بواحدٍ معينٍ من أهل زمانهم، فهؤلاء محرومون أيضًا؛ لأن من لم يسلِّم لواحدٍ معينٍ لم ينتفع بأحدٍ، ومن أنكر على الصالحين حُرِم بركتهم.
قال الشيوخ: وذلك أقل عقوبته، ويُخشى عليه سوء الخاتمة العياذ بالله تعالى انتهى.
قال الشيخ عبد الغني الشامي: وربما طعن بعض المنكرين في الفقراء بأنهم مسرفون على أنفسهم، فتراهم يطلبون فقراء في طريق الله تعالى معصومين من الزلل والمعصية، وهذا لا يكون أبدًا بل من غَلَبَ خيره على شره فهو الكامل، بل في الحديث الشريف النبوي ما هو أبلغ من ذلك، وهو الاكتفاء بالعشر من الخير فضلاً عن غلبته على الشر وكونه نصفًا أو ربعًا، قال رسول الله ﷺ: «إنَّكم فِي زمانٍ مَنْ ترك منكم عُشرَ ما أُمر به هلكَ، ثم يأتي زمانٌ مَنْ عَمِلَ منهم بعشر ما أُمر به نجا».
رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وذكره السيوطي في «الجامع الصغير».
فقد حكم نبينا ﷺ بالنجاة لمن عمل بالعشر، وهي بشارةٌ عظيمةٌ لكل من سلم من الكفر والشرك إلى يوم القيامة، فالحمد لله الذي جعلنا من أمة محمدٍ ﷺ. وانظر: الانتصار للموصلي (بتحقيقنا).

وأما الأحاديث فكثيرة:

منها: حديث أنس ﷺ أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلةٍ مظلمةٍ ومعهما مثل المصبَاحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صَار مَع كُل وَاحِدٍ مِنْهُما واحد، حتى أتى أهله[١].

أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة في علامات النبوة.

ومنها: حديث أصحاب الغار الثلاثة الذين أووا إلى الغار فأُطبقت صخرة عليهم فسدَّت بابه، فدعا كل واحدٍ منهم بدعوةٍ فانفرجت عنهم الصخرة[٢].

وهو مخرَجٌ في صحيحي البخاري ومسلم.

ومنها: حديث أبي هريرة ﷺ في قصة جريج أنه قال للصبي الرضيع: من أبوك؟ قال: فلان الراعي[٣].

وهو مخرَّجٌ في الصحيح.

ومنها: حديث أبي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر[٤]».

وفي رواية: «قد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال مكلمون، غير أن يكونوا أنبياء[٥]».

رواه البخاري في صحيحه.

ومنها: الحديث المشهور: «رُبَّ أشعث لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره[٦]».

ومنها: الحديث المشهور في صحيح البخاري وغيره في قصة خُبيب الأنصاري- بضم الخاء المعجمة- صاحب رسول الله ﷺ، وقول بنت الحارث فيه: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خُبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل من قطف عنبٍ في يده، وإنه

---

(١) رواه البخاري (١/١٧٧).
(٢) رواه البخاري (٢/٨٢١)، ومسلم (٤/٢٠٩٩).
(٣) رواه مسلم (٤/١٩٧٧).
(٤) رواه البخاري (٣/١٢٧٩)، والترمذي (٥/٦٢٢).
(٥) رواه البخاري (٣/١٣٤٩).
(٦) رواه مسلم (٤/٢٠٢٤).

لموثق في الحديد، وما بمكة من تمرٍ، وكانت تقول: إنه رزقٌ من الله رزقه خُبيبًا[١].

والأحاديث والآثار وأقوال السلف والخلف في هذا الباب أكثر من أن تُحصر، فلنكتفِ بما أشرنا إليه. انتهى كلام النووي رحمه الله تعالى.

ولأشرع الآن فيما هو المقصود من هذا الكتاب:

ذكر مولده رضي الله عنه:

قال الحافظ محب الدين محمد بن النجار في تاريخه:

ذكر أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافع الجيلي أن مولد الشيخ عبد القادر الجيلي في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

وكذا قال الحافظ أبو عبد الله محمد الذهبي: وُلد بجيلان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

وقال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه: وُلد سنة سبعين وأربعمائة.

وكذا قال سبطه أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان، وابن كثير، وابن الأثير في تاريخهما، رضي الله عنهم أجمعين[٢].

ذكر نسبه رضي الله عنه[٣]:

---

(١) رواه البخاري (١١٠٨/٣).

(٢) سُئل قَدَّس الله روحه عنه قال: لا أعلمه حقيقة، لكن قدمت بغداد السنة التي مات فيها التميمي وعمري إذ ذاك ثماني عشرة سنة.
قال بعض أهل العلم: والتميمي هو أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب، تُوفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، فيكون مولده على هذا سنة سبعين وأربعمائة.
وقال أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافع الجيلي: إن مولد الشيخ محيي الدين عبد القادر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وله ثمانية عشر سنة. وانظر: الخلاصة (ص٢٧٧) بتحقيقنا.

(٣) وقال اليافعي في الخلاصة: وقال بعضهم: منسوب إلى جيلان، بكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحت، وهي وراء طبرستان، ويُقال لها أيضًا: جيلان، وكيلان، وكيل.
وقيل: جيلاني منسوب إلى جده جيلان، والله أعلم.
وأمه: أم الخير ابنة أبي عبد الله الصومعي، وكان لها حظٌّ وافرٌ من الخير والصلاح، والصومعي من جلة مشايخ جيلان ورؤسائهم، وزهادهم له الأحوال السنية والكرامات الجلية، والشيخ أبو محمد أحمد عبد الله كان صالحًا في العلم والخير، ومات شابًّا، وعمته المرأة الصالحة أم محمد عائشة بنت عبد الله، ذات الكرامات الظاهرة.

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في تاريخه:

عبد القادر بن أبي صالح عبد الله جنكادوست، وزاد بعض الناس في نسبه إلى أن وصله بالحسن ﷺ.

فقال: ابن أبي عبد الله بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله المحضر بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

وقال الإمام الحافظ زين الدين أبو الفتوح عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في كتابه الذي جعله ذيلاً على كتاب طبقات الحنابلة، للقاضي أبي يعلى بن الفراء ما نصُّه:

عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست بن أبي عبد الله، وبعض الناس يذكر له نسبًا إلى علي بن أبي طالب، فذكره.

وقال الإمام الصفدي في تاريخه: عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب.

=

رُوي أن بلاد جيلان أجدبت مرة، واستسقى أهلها فلم يسقوا، فأتى الشيخ إلى دار الشيخة عائشة المذكورة وسألوها الاستسقاء لهم، فقامت إلى رحبة بيتها وكنست الأرض وقالت: يا رب، أنا كنست فرش أنت، فلم يلبثوا أن أمطرت السماء كأفواه القرب، فرجعوا إلى بيوتهم يخوضون في الماء، عمرت وماتت بجيلان رضي الله عنها.

والجون -بضم الجيم-: لقبٌ وهو من أسماء الأضداد، يُطلق على الأبيض والأسود، وهو الأكثر في استعماله، وهو المراد هنا، والمحض هو المخلص من كل شيءٍ لُقب به عبد الله؛ لأن أباه الحسن بن الحسن بن علي، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي، رضى الله عنهم أجمعين، وهى نسبة خالصة من الموالي، قلت: وهكذا قيل، وكان ينبغي أن يُقال: خالصة في الشرف.

فاطمة المذكورة هي التي خلّف عليها الحسن عبد الله المطرف بن عمر بن عثمان بن عفان ﷺ، وولد له محمد الديباج، لُقِب به لحسنه، ولُقِب أبوه بالمطرف لجماله، ولما نشأ عبد الله بن عمر قال الناس: هذا شيخٌ حسنٌ، مطرف بعد عبد الله بن الزبير، وكان عبد الله بن الزبير فائق الجمال، وأم مطرف يرجع نسبها إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ.

والمطرف - بضم الميم وفتح الراء-: اسم مفعول من أطرفه بكذا، والمثنى المتقدم ذكره هو نعتٌ للحسن؛ لأن الحسن بن الحسين، وهو بضم الميم وفتح النون وتشديدها، اسم مفعول من ثنيت الشيء إذا قربت له ثانيًا.

قلت: هكذا قيل في تفسيره، ولو قيل: لأنه ثنّى اسم الحسن، فذكر مرتين في تسمية أبيه كان أوضح.

وقال الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في معجمه، في ترجمة الفضل بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، وجزم به الحافظ تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع السلامي في تاريخه الذي جعله ذيلاً على تاريخ الحافظ محب الدين بن النجار، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

ذكر رحلته في طلب العلم وشدة مجاهدته ﷺ:

قال الحافظ محب الدين بن النجار في تاريخه:

كتب إلَيَّ عبد الله بن أبي الحسن الجبائي ونقلته من خطه، قال: حكى لنا الشيخ عبد القادر قال: قالت لي أمي: امشِ إلى بغداد واطلب العلم، قال: فخرجت من بلدٍ إلى بلدٍ، وأنا ابن ست عشرة، أو قال: ثماني عشرة سنة، واشتغلت بالعلم، وكانت أمي تشتاق إلَيَّ، فتكتب إلَيَّ الكتب فتذكر شوقها إلَيَّ، وتقطع شعرها فتجعله في الكتاب وتنفذه، فأكتب إليها: إن شئت تركت العلم وجئت إليك، فتنفذ إلَيَّ: لا تجئ واشتغل بالعلم، فكنت أشتغل في الفقه على المشايخ، وأخرج إلى الصحراء فلا آوي في بغداد، وأجلس في الخراب بالليل والنهار، وكنت ألبس جبة صوف، وعلى رأسي خريقة، وأمشي وأنا حافٍ في الشوك، وما هالني شيءٌ إلا سلكته.

قال: وقال لي: طالبتني نفسي يومًا بشهوة من شهوات الشوق، فكنت أضاجرها وأدخل في دربٍ وأخرج إلى دربٍ أطلب الصحراء، فبينما أنا ذات يومٍ أمشي إذ رأيت رقعة ملقاة في الطريق فأخذتها فقرأتها، فإذا فيها مكتوبٌ: ما للأقوياء والشهوات، إنما خُلقت الشهوات للضعفاء من عبادي ليتقووا بها على طاعتي، فلما قرأتها خرجت تلك الشهوة من قلبي.

قال: وقال لي: كنت أقتات بخرنوب الشوك، وقمامة البقل، وورق الخس من جانب النهر والشط.

وقال ابن النجار: قرأت في كتاب أبي بكر التيمي، قال: سمعت الشيخ عبد القادر الجيلي يقول:

بلغت بي الضائقة في غلاء نزل ببغداد، إلى أن بقيت أيامًا لا آكل فيها طعامًا، بل كنت أتتبع المنبوذات، فخرجت يومًا من شدة الجوع إلى الشط لعلي أجد ورق الخس والبقل وغير ذلك أتقوته، فما ذهبت إلى موضعٍ إلا وجدتُ غيري سبقني إليه، وإن

أدركت شيئًا وجدت عنده جماعة من الفقراء، فلا أرى مزاحمتهم عليه، فرجعت أمشي وسط البلد، فلا أدرك موضعًا قد كان فيه شيء منبوذ إلا وقد سُبقت إليه، حتى وصلت إلى مسجد يأنس بسوق الريحانيين، وقد أجهدني الضعف وعجزت عن التماسك، فدخلت إليه وقعدت في جانبٍ منه وقد كدت أصافح الموت، فدخل شابٌّ أعجميٌّ ومعه خبزٌ رضافي وشواء فجلس يأكل، فكنت إذا رفع اللقمة أكاد أن أفتح فمي من شدة الجوع، حتى أنكرت ذلك على نفسي، وقلت: ما هذا؟ ما هاهنا إلا الله، أو ما قضاه من الموت، إذ التفت العجمي فرآني فقال: باسم الله يا أخي، قال: فأبيت، فأقسم عليَّ فبادرت نفسي إلى جانبه، فأبيت مخالفًا لهواها، فأقسم عليَّ، فبدرت نفسي إلى إجابته، فأكلتُ مُقصرًا، فأخذ يَسْألني: ما شغلك؟ ومن أين أنت؟ وبمن تعرف؟ فقلت له: أما شغلي فمتفقه، وأما من أين أنا، فمن جيلان، فقال لي: وأنا أيضًا من جيلان، فهل تعرف لي شابًّا جيلانيًّا يُسمَّى عبد القادر، يُعرف بسبط أبي عبد الله الصومعي الزاهد، فقلتُ له: هو أنا، فاضطرب لذلك وتغيَّر وجهه وقال: والله يا أخي، لقد وصلتُ إلى بغداد ومعي بقية نفقة لي، فسألت عنك فلم يرشدني أحدٌ إليك، فنفدت نفقتي، وبقيت ثلاثة أيام بعدها لا أجد شيئًا أشتري منه قوتي إلا من الذي لك معي، فلما كان هذا اليوم وهو الرابع قلتُ: لي ثلاث أيام بلياليها لم آكل فيها طعامًا، وقد أحلَّ لي الشرع أكل الميتة فأخذت من وديعتك ثمن هذا الخبز والشوي، فكُلْ طيبًا، فإنما هو لك وأنا الآن ضيفك، بعد أن كان في الظاهر لي وأنت ضيفي، فقلتُ له: وما ذاك؟ فقال: اعلم يا أخي أن أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير، ووالله ما خنتك فيها إلى اليوم، لكن نفقتي نفدت، وبحيث بقيت ثلاثة أيام لم أصب طعامًا فاشتريتُ هذا الطعام من نفقتك، وأنا معتذرٌ إليك من جنايتي عليك، مع فسحة الشرع في بعض ذلك، قال: فسكنته وطيبت نفسه، وفضل من طعامنا ما دفعته إليه مع شيءٍ من الذهب، وقلت له: هذا يكون برسم نفقتك، فقبله مني وانصرف.

وقال: كتب إلَيَّ عبد الله الجبائي ونقلته من خطه قال: قال لي الشيخ عبد القادر الجيلي:

كنتُ يومًا جالسًا على مكانٍ بالصحراء أكرر الفقه، وأنا في مشقةٍ من الفقر، فقال لي قائلٌ لم أرَ شخصه: اقترض ما تستعين به على الفقه، أو قال: على طلب العلم، فقلتُ:

كيف أقترض وأنا فقيرٌ وليس لي شيء أقضيه؟ فقال: اقترض وعلينا الوفاء، فجئت إلى رجلٍ يبيع البقل فقلت له: تعاملني بشرط إذا سهل الله لي شيئًا أعطيك، وإن مت تجعلني في حلّ، تعطيني كل يومٍ رغيفًا وبنصف رغيف رشاد، قال: فبكى وقال: يا سيدي، أنا بحكمك، أي شيءٍ أردت فخذ مني، فكنتُ آخذ منه كل يومٍ رغيفًا وبنصف رغيف رشادًا، فأقمت على ذلك مدة فضاق صدري يومًا، كيف لا أقدر على شيءٍ أعطيه؟ فأظن أنه قال: فقيل لي: امضِ إلى الموضع الفلاني فأيش رأيت على الدكة فخذه وادفعه إلى البقال، أو قال: فاقضِ به دينك، فلما جئت إلى ذلك الموضع رأيت على دكة قطعة ذهب كبيرة، فأخذتها وأعطيتها للبقلي.

قال: وقال لي الشيخ: كان جماعة من أهل بغداد يشتغلون بالفقه، فإذا كان أيام الغلة يخرجون إلى الرستاق يطلبون شيئًا من الغلة، فقالوا لي يومًا: اخرج معنا إلى بعقوبا نحصل منها شيئًا، وكنت صبيًّا، فخرجت معهم، وكان في بعقوبا رجل صالح يُقال له: الشريف البعقوبي، فمضيت إليه لأزوره، فقال لي: مريدو الحق أو الصالحون لا يسألون الناس شيئًا، ونهاني أن أسأل الناس، فلما رجعت خرجت إلى موضعٍ، قال: وكنت اشتغل بالعلم وأزور الصالحين، وآخذ نفسي بالمجاهدة، حتى طرقني من الله الحال، فكان يطرقني بالليل والنهار وأنا في الصحراء، فأصرخ وأهج على وجهي، فلما كان ذات ليلةٍ طرقني الحال وصرخت صرخة عظيمة، فسمع العيارون صرختي ففزعوا من المالحة، فجاءوا حتى وقفوا عليَّ وأنا مطروحٌ على الأرض، فعرفوني فقالوا: هذا عبد القادر المجنون، أزعجتنا، لا ذكرك الله بخيرٍ، وكانوا يدورون حول بغداد بالليل لعلهم يرون أحدًا يأخذون منه شيئًا.

قال: وقال لي: لحقني الجنون وحُملت إلى المارستان، وطرقتني الأحوال حتى مت، وجيء بالكفن والغاسل وجعلوني على المغتسل ثم سرِّي عني وقمت.

قال: وقال لي: ترد عليَّ الأثقال الكثيرة لو وُضعت على الجبال تفسخت، فإذا كثرت عليَّ الأثقال وضعت جنبي على الأرض وقلت: ﴿فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح: ٥]، ثم أرفع رأسي وقد انفرجت عني تلك الأثقال.

قال: وقال لي: وقع في نفسي أن أخرج من بغداد؛ لكثرة الفتن التي بها، فأخذت مُصحَفي وعلقته على كتفي ومشيت إلى باب الحلبة؛ لأخرج منه إلى الصحراء، فقال

لي قائلٌ: إلى أين تمشي؟ ودفعني دفعة خررت منها- أظنه قال: على ظهري- وقال: ارجع؛ فإن للناس فيك منفعة، قال: فقلتُ: أيش عليَّ من الخلق؟ أنا أريد سلامة ديني، قال: ارجع ولك سلامة دينك، ولم أرَ شخص القائل، ثم بعد ذلك طرقتني أحوال أشكلت عليَّ، فكنت أتمنى على الله أن يسهل لي من يكشفها، فلما كان من الغد اجتزت بالظفرية ففتح رجلٌ باب داره وقال لي: يا عبد القادر تعالَ، فجئت فوقفت عليه، فقال لي: أيش طلبت البارحة؟ أو قال: أيش سألت الله البارحة؟ ونسيت الذي سألت الله بالليل، قال: فسكتُّ ولا أدري ما أقول له، فاغتاظ مني، ودفع الباب في وجهي دفعة عظيمة، حتى طار الغبار من جوانب الباب إلى وجهي، فلما مشيت قليلاً ذكرت الذي سألت الله تعالى، ووقع في نفسي أنه من الصالحين- أو قال: من الأولياء- فرجعت أطلب الباب فلم أعرفه، فضاق صدري، وكان ذلك الرجل الشيخ حماد الدباس، ثم عرفت بعد ذلك، وصحبته وكشف لي جميع ما كان يشكل عليَّ، وكنت إذا غبتُ عنه لطلب العلم ورجعت إليه يقول لي: أيش جابك إلينا؟ أنت فقه، مُر إلى الفقهاء، وأنا أسكت، فلما كان يوم الجمعة خرج من بغداد ومعه جماعة من أصحابه؛ ليصلي الجمعة في جامع الرصافة، وأنا معه، وكان في شدة البرد في الكوانين، فلما وصلنا إلى قنطرة النهر دفعني حتى رماني في الماء، فقلت: باسم الله، غسل الجمعة، وكان عليَّ جبة صوف وفي كمي أجزاء، فرفعت كمي حتى لا تهتلك، وخلوني ومشوا، فخرجت من الماء وعصرت الجبة وتبعتهم، وتأذيت من البرد أذية كبيرة.

قال: وكان الشيخ حَّماد يؤذيني أذية كثيرة ويضربني، وإذا غبت عنه لطلب الفقه ورجعت إليه يقول: قد جاءنا اليوم الخير الكثير والفالوذج، وأكلنا وما خبأنا لك شيئًا، فطمع فِيَّ أصحابه؛ لكثرة ما يرونه يؤذيني، وجعلوا يقولون: أنت فقه، أيش تعمل معنا؟ أو أيش جابك إلينا؟ فلما رآهم الشيخ يؤذونني غار لي، وقال لهم: يا كلاب، لِمَ تؤذونه؟ والله ما فيكم مثله أحد، أنا إنما أؤذيه لأمتحنه فأراه جبلاً لا يتحرك، قال: وبعد مدة قدم إلى بغداد رجلٌ من همدان يُقال له: يوسف الهمداني، وكان يُقال: إنه القطب، ونزل في رباط، فلما سمعت به مشيت إلى الرباط فلم أرَه، فسألت عنه فقيل لي: هو في السرداب، فنزلت إليه، فلما رآني قام وأجلسني، ففرّسني وذكر لي جميع أحوالي، وحل لي جميع ما كان يشكل عليَّ، ثم قال لي: يا عبد القادر، تكلم على الناس، فقلت له: يا

سيدي، أنا رجلٌ قح أخرس، أيش أتكلم على فصحاء بغداد؟! فقال لي: أنت حفظت الفقه وأصول الفقه والخلاف والنحو واللغة وتفسير القرآن، ولا يصلح لك إلا أن تتكلم على الناس، اصعد على الكرسي وتكلم على الناس، فإني أرى فيك عرقًا سيصير نخلة، فأيَّده العيارون- جمع عيار، وهو لغةً: الكثير المجيء والذهاب، وهنا والله أعلم هم: المتلصصة، والمسالحة- هو بفتح الميم والسين والحاء المهملتين: الحرس؛ لأنهم يكونون دون سلاحٍ، والله أعلم.

ذكر مشايخه رضي الله عنهم أجمعين.. آمين:

أخذ الحديث عن أبي غالب محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن محمد بن جذاذ الكرخي الباقلاني، وأبي بكر بن المظفر بن سوسن التمار، وأبي القاسم علي بن أحمد بن مجلز، وأبي محمد جعفر بن أحمد بن السراج، وأبي سعد محمد بن عبد الكريم بن خُشيش، والحافظ أبي الغنايم محمد بن علي بن ميمون النرسي، وأبي طالب عبد القادر بن أبي بكر محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف، وابن عمه أبي طاهر عبد الرحمن بن أحمد، وأبي نصر محمد، وأبي غالب أحمد، ويحيى، أولاد أبي علي البنا، وأبي البركات محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الخرزي البيع، والأستاذ أبي الحسن محب بن عبد الله الحبشي المعروف بالدوامي، وأبي عثمان إسماعيل بن محمد بن أحمد بن ملة الأصبهاني، وأبي البركات هبة الله ابن المبارك السقطي، وأبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف، وأبي العز بن محمد ابن مختار الهاشمي، وأبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى ابن منده العبدي الأصبهاني الحافظ، وأبي البركات طلحة بن أحمد بن الحسن بن سليمان ابن الحارث بن قيس بن الأشعث بن قيس الكندي العاقولي الفقيه.

وأخذ الفقه عن القاضي أبي سعيد المبارك بن علي المُخرمي، بضم الميم وفتح الخاء المعجمة، وكسر الراء المهملة وتشديدها، ثم ميم وبعدها ياء النسب، نسبة إلى محلة المخرم ببغداد، نزلها بعض ولد يزيد بن المخرم فسُمِّيت به.

وأبي الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني[1]، نسبة إلى كلواذان، بفتح الكاف وسكون اللام وفتح الواو، وبين الألفين ذال معجمة، قرية من

---

(١) صاحب الانتصار في الفقه الحنبلي.

قرى بغداد.

وأبي الوفاء علي بن عقيل، وأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين ابن محمد الفراء.

وأخذ الأدب عن أبي زكريا يحيى التبريزي، ثم لازم الشيخ أبا عبد الله حماد بن مسلم ابن ددُّوة الدباس الزاهد، وسلك على يده، وأخذ عَن الشيخ أبي يعقوب يوسف بن أيوب ابن يوسف بن الحسين بن وهرة الهمداني الزاهد، لما قدم بغداد في أواخر عمره.

قال في مرآة الزمان: وكان الشيخ عبد القادر قد لبس خرقة المشايخ عن أبي سعد المخرمي[1]، ولبس المخرمي من أبي الحسن علي بن محمد القرشي، ولبس القرشي من أبي الفرج الطرسوسي، ولبس الطرسُوسي من أبي الفضل عبد الواحد التميمي، ولبس التميمي من والده عبد العزيز، ولبس عبد العزيز من بكر الشبلي، ولبس الشبلي من أبي القاسم الجنيد، ولبس الجنيد من خاله سري السقطي، ولبس سري من معروف الكرخي، ولبس معروف من داود الطائي، ولبس داود من حبيب العجمي، ولبس حبيب العجمي من الحسن البصري، ولبس الحسن البصري من علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم جميعًا.. آمين.

قال: وللخرقة طريقٌ أخرى إلى علي بن موسى الرضا، ولا تثبت مسندة مثل الحديث، وإنما المعتبر فيها الصحبة.

فائدة:

قد اشتهر على ألسنة كثير من الناس، وفي كثيرٍ من إجازات الفقراء أن الشيخ شهاب الدين أحمد بن الناصح رحمه الله تعالى لبس الخرقة من شخصٍ يُقال له: معمر، كان معمر طويلاً، ومعمر لبس من الشيخ عبد القادر الجيلي، وقد سألت الإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني - بوَّأه الله من الجنة منزلاً - عن هذا، فأجاب بما نصَّه من خطه:

قد رأيتُ الشيخ رحمه الله تعالى، يعني ابن الناصح، وجالسته ورويت عنه، ولم

---

(١) هو بضم الميم وفتح الخاء المعجمة، وكسر الراء المهملة وتشديدها، ثم ميم وبعدها ياء النسب، نسبة إلى محلة المخرم ببغداد، نزلها بعض ولد يزيد بن المخرم فسُمِّيت به.

أسمع ذلك منه، ولا شاع في حياتِهِ شيءٌ من ذلك، وإنما هَذَا اختلاق بعض من لا يُبالي برواية الكذب.

وعلى تقدير أن يكون لذلك أصل فلعله لقِيَ من قص عليه منامًا رأى الشيخ فيه، فإن يكن كذلك فكان الأولى ألا يذكر ذلك؛ لإمكان رؤية الشيخ نفسه في المنام، وإن كان قائل ذلك يعتقد صِحَّة رؤية الأرواح ممثلة بصورة الأجساد، فأيُّ فائدة للواسطة؟ بل في الاقتصار على الشيخ عبد القادر قصور؛ لإمكان ذلك في الصحابة، بل ومن فوقهم، ولكن ليس في الكذاب حيلة انتهى.

وبخط الإمام العَلاَّمة القدوة المسلم شهاب الدين أحمد بن رسلان رحمه الله ما صورته:

الحمد لله اللهم صلِّ على سيِّدنا محمد وسلم.

أما بعد.. فقد لبس خرقة التصوف كاتبه أحمد بن حسين بن رسلان، تاب الله عليه، من الشيخ شهاب الدين أحمد بن الناصح، وهو لبسها من الشيخ صدر الدين محمد الميدومي، وهو صاحب الشيخ أبا العباس المرسي، ومكين الأسمر، وهما صَحِبا أبا الحسن الشاذلي، ولبس صدر الدين الميدوي من الشيخ قطب الدين محمد القسطلاني، وهو من الشيخ شهاب الدين عبد القاهر السهروردي[1] انتهى.

---

(١) هو الشيخ الكبير، الولي الشهير، العارف الخبير، ذو المقامات العالية، والأحوال السنية، والأنفاس الصادقة، والكرامات الخارقة، والتصانيف المفيدة الوثيقة في الشريعة والحقيقة، ضياء الدين، ويلقب أيضًا بنجيب الدين أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبي جعفر المعروف بعَمويه بفتح العين وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وفتح الياء: ابن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ القرشي التيمي البكري السهروردي بضم السين وفتح الرآء، بُليدة عند زِنجان من عراق العجم.

فهو الفقيه الصوفي الواعظ كان من أعيان المحققين، وأعلام العلماء العاملين، والصفوة العارفين.

وهو أحد من درّس بالنظامية على مذهب الشافعي وتصدّر للفتاوى، ووضع التصانيف منها في أداب التصوف: كتاب «البيان» وكتاب «آداب المريدين».

وكان يلقب مفتي العراقين وقدوة الفريقين، انعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالاحترام، وأوقع الله له في الصدور القبول التام، وكان يشرح أحوال القوم، ويتطيلس ويلبس لباس العلماء، ويركب البغلة، وترفع بين يديه الغاشية على ما نقله بعض العلماء في تصنيفه.

=

وشهاب الدين السهروردي، صحب عمه أبا النجيب عبد القاهر السهروردي، والشيخ عبد القادر الجيلي، ومن ذلك ما أجاز لنا الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن قريح ابن الطحان إلباسه من الخرقة القادرية قال: ألبسنيها من يده الشيخ كمال الدين محمد العاقولي، قال: ألبسنيها القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة، قال: ألبسنيها الموفق بن قدامه، قال: ألبسنيها الشيخ عبد القادر الكيلاني انتهى.

أما الموفق بن قدامة فأخذ عن الشيخ عبد القادر بلا شكٍّ، وكانت وفاته في يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة، ومولد القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة في رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة، فبين وفاة الموفق ومولد التقي ثمان سنين، وكانت وفاة التقي

=

تفقه على أسعد الميهني بالنظامية، وقرأ الأدب على أبي الحسن بن أبي زيد الفصيحي النحوي، وسمع بأصبهان أبا علي الحسن بن أحمد الحداد المقري، وببغداد أبا علي محمد بن سعد الكاتب وغيرهم، ثم سلك طريق الصوفية، وصحب الشيخ حمادًا الدباس، ثم من بعده صحب الشيخ أحمد الغزالي بإشارة الشيخ حماد، وأقام عنده، وفتح باب الخير، وعلت حالته، وعاد إلى بغداد وتكلم في الوعظ وطريق التصوف، وظهر له القبول الكثير من أهل زمانه، وانتفع به خلق كثيرون، ولزم طريق التصوف، وأملى الحديث حتى صار المشار إليه في علم الطريق المتوحد في سلوكها على الحقيقة.

قال الوزير أبو غالب عبد الواحد بن الحصين: كان الشيخ أبو النجيب السهروردي من محاسن مشايخ الإسلام، صاحب الأخلاق الكريمة والنفس الزاكية الطاهرة، والمواساة التي لا تقتصر على المعارف حتى تجاوز الأجانب إلى الأعداد والإيثار على نفسه مع الخصاصة والنصح لكل مخالف مؤالف ومواد ومعادٍ، والغيب الحافظ لكل أحدٍ من خلق الله تعالى، فما ذكر أحدًا من الناس بما يكرهه لو بلغه من مسلم ولا ذمي ولا سُني ولا بِدعي، ولا تجاوز قط في دروسه ومذاكرته الكتاب والسنة، ولا نصر قط مقالة أصولية ولا خاض في عقيدة، ولا غضب ولا عتب، ولا دعى على أحدٍ، ولا رأيت قط منه مع طول صحبته حالة لم ترو عن السلف.

وقال أبو سعيد السمعاني: تفقَّه في المدرسة النظامية زمانًا، ثم هبّ عليه نسيم الإقبال والتوفيق، فدلَّه على الطريق وانقطع عن الناس مدة مديدة، ثم رجع ودعا الخلق إلى الله تعالى، ورجع جماعة كثيرة بسببه وتركوا ما هم فيه من أشغال الدنيا والانغماس فيها، وبنى رباطًا لأصحابه على الشط من الجانب الشرقي، سكنه جماعة من الصالحين من أصحابه ومن ينتمي إليه.

وقال السمعاني: حضرت عنده يومًا، فسمعت من كلامه ما انتفعت به.

انظر في ترجمة: البداية والنهاية (٢٥٤/١٢)، مرآة الجنان (٣٧٢/٣)، شذرات الذهب (٢٠٨/٣)، الروضتين لأبي شامة (١٩١/١)، وفيات الأعيان (٤٨٠/١)، وروضة الحبور (ص١٦٩)، وبهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي (ص ٤٣٥)، كلاهما بتحقيقنا.

سليمان في ذي القعدة سنة خمس عشرة وسبعمائة.

وأما كمال الدين العاقولي فما وقفت للعاقولي على ذكر بلقبه كمال، ولعله غياث الدين العاقولي، الذي دخل الشام في سنة ست وتسعين، فإن يكن هو فمولدُهُ في ليلة الخميس ثاني من رجب سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ببغداد، فيكون بين وفاة التقي سليمان وبين مولد العاقولي هذا ثمان عشرة سنة، والله سُبحَانه وتعالى أعلم بالصواب.

ذكر تصدره للناس بالوعظ والتدريس والإفتاء:

قال الحافظ أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور بن السمعاني في تاريخه:

سمعتُ أبا الخير بن التبان الفقيه البغدادي يقول: إن مدرسة الشيخ عبد القادر كانت للقاضي المخرمي، فلما فُوضت إلى الشيخ عبد القادر فأراد أن يوسعها ويعمرها، فكان الرجال والنساء يأتونه بشيءٍ فشيء إلى أن عمرها، فاتفق أن امرأة مسكينة جاءت بزوجها، وكان زوجها من الفعلة، وقالت للشيخ عبد القادر: هذا زوجي، ولي عليه من المهر قدر عشرين دينارًا، ووهبت له النصف، بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الثاني وقد تراضينا على هذا، فقبل الزوج ذلك، وأحضرت المرأة الخط وسلمته للشيخ عبد القادر، فكان يستعمل الزوج في المدرسة، وكان يُعطيه يومًا الأجرة ويومًا لا يعطيه؛ لعلمه بأن الرجل محتاجٌ فقيرٌ لا يملك شيئًا، إلى أن علم أن الزوج عمل بخمسة دنانير، فأخرج الشيخ عبد القادر الخط ودفعه إلى الزوج وقال: أنت في حلٍّ من الباقي.

وقال الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في تاريخه:

وكان القاضي أبو سعد المخرمي قد بنى مدرسة لطيفة بباب الأزج، ففوضه إلى الشيخ عبد القادر، فتكلم على الناس بلسان الوعظ، وظهر له صيت بالزهد، وكان له سمت وصمت، فضاقت مدرسته بالناس، فكان يجلس عند سور بغداد مستندًا إلى الرباط، ويتوب عنده في كل مجلسٍ خلقٌ كثيرٌ، فعمرت المدرسة ووسعت، وأقام بها يدرِّس ويعظ إلى أن تُوفي، رحمه الله تعالى.

وقال الحافظ محب الدين بن النجار في تاريخه بعد أن حكى دخول الشيخ عبد القادر بغداد وذكر مشايخه وطلبه للعلم:

ثم إن الله تعالى أظهره للخلق، وأوقع له القبول العظيم عند الخاص والعام، فعقد مجلس الوعظ في الحلبة البرانية في شوال سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وأظهر الله

الحكمة من قلبه على لسانه، وظهرت علامات من الله تعالى، وأما ولايته بما كان يخبر به من فراسته، وظهور الحقائق على لسانه، ثم إنه أضيف إلى المدرسة شيخه ما حولها من المنازل والأمكنة، وعمرها الناس وأوسعوها، وبذل الأغنياء في عمارتها أموالهم، وعمل الفقراء فيها بأنفسهم، في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وتصدر الشيخ بها للفتوى والتدريس والوعظ، وصارت تُقصد بالزيارات والصدقات والنذور، وحدَّث بكثير من مروياته، وصنف كتبًا مفيدةً في أصول الدين وفروعه، وكان له كلامٌ على لسَان أهل الحقيقة عال.

وقال: قال الجنيد: قال لي الشيخ عبد القادر: كنت آمر وأنهي في النوم واليقظة، وكانَ يغلبُ عليَّ الكلامَ ويزدَحِمُ على قلبي، إن لم أتكلم أكاد أختنقُ، ولا أقدر أن أسكت، وكان يجلس عندي رجلان وثلاثة يسمَعُونَ كلامي، ثم تسامَع الناس وازدحمَ عليَّ الخلق، فكنت أجْلِس في المصلى بباب الحلبة، ثم ضاق عليَّ الناس فأخرجوا الكرسي في داخل السور بين الثنانير، وكان الناس يجيئون في الليل على الشمع والمشاعل يأخذون لهم مَواضِع، ثم ضاق على الناس الموضع فحُمل الكرسي إلى خارج البلد وجُعل في المصلى، وكان الناس يجيئون على الخيل والبغالِ والحمير والجمالِ، ويقفون بما دار المجلس كالسور، وكان يحضر المجلس نحو من سبعين ألفًا[1].

ذكر شيء يدل على سخائه وترفعه عن الدنيا رضي الله عنه:

قال ابن النجار في تاريخه: قال الجبائي: قال لي الشيخ عبد القادر: فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، أود لو كانت الدنيا بيدي فأطعمها الجياع.

وقال لي: كفِّي مثقوبة لا تضبط شيئًا، لو جاءني ألف دينار لم أتركها تبيت عندي، وكان إذا جاءه أحدٌ بذهبٍ يقول: ضعه تحت السجادة ولا يمسه بيده، فإذا جاء خادمه قال: خذ ما تحت السجادة وأعطِهِ الخباز والبقال، وكان غُلامُه مظفر يقف على باب دار الشيخ والطبق فيه الخبز على يديه ويقول: من يريد العشاء؟ من يريد الخبز؟ وكان إذا جاءه من الخليفة خلعة يقول: أعطوها لأبي الفتح الطحان.

---

(١) انظر: خلاصة المفاخر (ص٢٤٢).

قال: وكان للشيخ حنطة مرباة من الحلال بيد بعض أصحابه، يطحنها ويخبز له كل يومٍ أربعة أرغفة أو خمسة، ويأتي بها في آخر النهار إلى الشيخ، فكان الشيخ يفرق منها من حضر كسرة كسرة، والباقي يدَّخره لنفسه[1].

قال: وقال لي: أتمنى أن أكون في البَرارِي والصحاري كما كنت في الأول، لا أرى الخلق ولا يروني، ثم قال: أراد الله مني منفعة الخلق، فإنه قد أسلم على يديَّ أكثر من خمسمائة من اليهود والنصارى، وتاب على يديَّ من العيارين والمسالحة أكثر من مائة ألف، وهذا خيرٌ كثيرٌ.

ذكر سبب زواجه وكم جاءه من الأولاد ﷺ:

قال شيخ الصوفية شهاب الدين عمر السهروردي، في كتابه: «عوارف المعارف» في الباب الحادي والعشرين:

سمعنا أن الشيخ عبد القادر قال له بعض الصالحين: لِمَ تزوجت؟ قال: ما تزوجت حتى قال لي رسول الله ﷺ: تزوج.

وقال: نُقل عنه أنه قال: كنت أريد الزوجة مدة من الزمان ولا أتجرأ على التزوج؛ خوفًا من تكدير الوقت، فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله إلَيَّ أربع زوجات، ما منهن إلا من تنفق عليَّ، إرادة ورغبة.

وقال ابن النجار في تاريخه: سمعت عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي يقول: ولد والدي تسعًا وأربعين ولدًا: سبع وعشرون ذكرًا، والباقي إناث.

وقال: قال الجبائي: قال لي الشيخ عبد القادر: إذا وُلد لي ولدٌ أخذته على يدي وأقول: هذا ميتٌ، فأخرجه من قلبي، فإذا مات لم يؤثر عندي موته شيئًا؛ لأني قد أخرجته من قلبي أول ما وُلد، وكان يموت من أولاده من الذكور والإناث ليلة مجلسه فلا يقطع المجلس، ويصعد على الكرسي ويعظ الناس، والغاسل يغسل الميت، فإذا فرغوا من غسله جاءوا به إلى المجلس فينزل الشيخ ويصلِّي عليه.

ذكر شيء مما نُقل عنه من الكرامات وخوارق العادات ﷺ:

قال الحافظ محب الدين بن النجار في تاريخه: قرأت على أبي عبد الله محمد بن سعيد الشاهد، عن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر قال: سمعت الشيخ الصالح أبا

---

(١) انظر: الخلاصة (ص٢١٣)، وبهجة الأسرار (ص١٩٩) كلاهما بتحقيقنا.

بكر بن علي بن سعد الخباز يقول:

كنت أنا وجماعة من مريدي والدك قعودًا بين يديه، وهو قاعدٌ في القبلة، فلم يتكلم بشيءٍ ألبتة، فقلتُ في نفسي: أرى الشيخ اليوم ما يتكلم علينا، فرفع رأسَهُ والتفت إلَيَّ من دون الجماعة وواجهني بوجهه وقال: سكوتي لكم كلام، وقال: كتب إلَيَّ عبد الله بن أبي الحسين الجبائي، ونقلته من خطه قال: كنت أسمع كتاب حلية الأولياء على شيخنا أبي الفضل بن ناصر فرقَّ قلبي، وقلت في نفسي: اشتهيت أن أنقطع عن الخلق وأشتغل بالعبادة، ومضيتُ وصليتُ خلف الشيخ عبد القادر، فلما صلَّى جلسنا بين يديه فنظر إلَيَّ وقال: إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم، فحينئذٍ يصلح لك الانقطاع، وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه وأنت فرخ ما ريشت، فإن أشكل عليك شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك وتسأل الناس عن أمر دينك، ما أحسن صاحب الزاوية أن تخرج من زاويته ويسأل الناس عن أمر دينه، ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يُستضاء بنوره.

قال: وكان الشيخ يومًا يتكلم في الإخلاص والرياء والعجب، وأنا حاضرٌ في المجلس، فخطر في نفسي: كيف الخلاص من العُجب؟ فالتفت إلَيَّ الشيخ وقال: إذا رأيت الأشياء من الله تعالى وأنه وفَّقك لعمل الخير، وأخرجت نفسك من البين سلمت من العجب.

وقال: أخبرني أبو عبد الله العدل عن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الجيلي قال: سمعت أبا عبد الله الحسين بن على بن الحسين الزينبي يقول: سمعتُ أخي أقضى القضاة أبا نصر القاسم يقول: عزمت على أن أقصد الشيخ عبد القادر وأسأله أن يسأل الله تعالى أن يكفيني شر جماعة يؤذوني، فاتفق أني لقيته في باب جامع القصر، فأردتُ أن أقول له، فنظر إلَيَّ وتبسَّم وقال: سيكفيكهم الله، فأغناني عن القول وعلمتُ أنه رجلٌ مُكاشفٌ.

وقال: كتب إلَيَّ عبد الله الجبائي ونقلته من خطه، قال: لقيتُ بهمدان رجلاً من أهل دمشق يُقال له: ظريف، قال: لقيت بشر العُرضي في طريق نيسابور- وقال: خوارزم- ومعه أربعة عشر حملاً سكرًا، فقال لي: نزلنا برية مخوفة لا يقف فيها الأخ على أخيه من الخوف، فلما حملنا الأحمال من أول الليل فقدت أربعة أجمال محملة، وطلبتها

فلم أجدها، ورحلت القافلة وانقطعت عنها أطلبُ الجمال، فتعصبت لي الجمال ووقفَ مَعي فطلبناها فلم نجدها، فلما انشقَّ الفجر ذكرت قول الشيخ عبد القادر: إن وقعت في شدةٍ فنادني، فإنها تنكشف عنك، فقلت: يا شيخ عبد القادر، جمالي مرت، يا شيخ عبد القادر، جمالي مرت، ثم التفتُّ إلى مطلع الفجر فرأيتُ في ضوء الفجر أول ما انشق رجلاً على رابية عليه ثيابٌ شديدة البياض، وهو يشير إِلَيَّ بكُمِهِ، أي تعالَ، قال: فلما صعدنا على الرابية لم نرَ أحدًا، ثم رأيت الأربعة أجمال تحت الرابية باركة في الوادي، فأخذناها ولحقنا القافلة.

وقال: أخبرني محمد بن أبي المعالي بن الطيبي عن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الجيلي قال: سمعت عمر بن حسين بن خليل الطيبي يقول: جئت مجلس والدك، وكنتُ قاعدًا محاذي وجهه فرأيت شيئًا على هيئة القنديل البلور نزل من السماء إلى أن قارب فمه، ثم عاد وصعد سريعًا، هكذا ثلاث مرات، فأردت أن أقوم وأقول ذلك للناس، فقال: المجالس بالأمانة، فسكَتُّ ولم أتكلم بهذا إلا بعد موته.

وقال: كتب إِلَيَّ عبد الله بن أبي الحسين الجبائي ونقلته من خطه، قال: قال من أهل جيلان اسمه سل قاضي في جامع همدان، وكان قبل ذلك مقيمًا في مدرسة الشيخ عبد القادر، وتفقَّه عليه، قال: كان الفقهاء إذا أذن الظهر يتسابقون في القراءة عليه، ويضع كل واحدٍ منهم كتابه عند سجاده يأخذ السبق، فإذا صلَّى الظهر يقرؤون عليه، قال: وكنت قد نمت قبل الظهر فاحتلمت، فلما أذن المؤذن انتبهت فقلت: أيش أعمل؟ إن مشيت واغتسلت فاتتني القراءة عليه، فأخذت كتابي ووضعته عند سجادة الشيخ، فلما صلَّى الظهر جلست بين يديه، وأخذت الكتاب لأقرأ عليه، صاح عليَّ وقال لي: قم مُر واغتسل، تقرأ عليَّ وأنت جنبٌ؟! فمضيت واغتسلت.

وقال: أخبرني أبو عبد الله الشاهد عند عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الجيلي قال: سَمعتُ أبا الثناء بن أبي البركات النهرمكي يقول: قال لي رجلٌ من أصدقائي: قد سمعتُ أن الشيخ عبد القادر لا يقع ثيابه ذبابة، فقلت: ما لي علم بهذا، ثم بكرنا يوم الجمعة وحضرنا مجلس الشيخ عبد القادر فالتفت إِلَيَّ وإليه وقال: إيش تعمل الذبابة عندي، لا دبس[1] الدنيا عليَّ ولا عسل الآخرة.

---

(١) الدبس: هو خلاصة الشيء، وسائله المستخلص منه كالزيت، ويقال: دبس الرطب، والرمان، وغير =

وقال: أنبأنا أبو البقاء عبد الله بن الحسين الحنبلي قال: سمعتُ يحيى بن نجاح الأديب يقول: قلت في نفسي: أريد أن أحصي كم يقص شعر من التواب الشيخ عبد القادر الجيلي في مجلس وعظه، فحضرت المجلس ومعي خيطٌ، كلما قص شعرًا عقدت عقدة تحت ثيابي من الخيط، وأنا في آخر الناس، فإذا به يقول: أنا أحل وأنت تعقد؟.

وقال: سمعت عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي يقول: كنتُ أتفقه في صباي بالمدرسة النظامية، فخطر لي أن أقرأ شيئًا من علم الكلام، وعزمتُ على ذلك في نفسي، من غير أن أتكلم به، واتفق أن صليت يوم الجمعة مع عمي أبي النجيب في الجامع، فحضر عنده الشيخ عبد القادر مُسَلِّمًا، فسأله عمي لي الدعاء، وذكر له أني مشتغلٌ بالفقه، قال: وقمت قبّلت يده، فأخذ بيدي وقال لي: تب مما عزمتَ على الاشتغال به، فإنك تفلح، ثم سكت وترك يدي، قال: ولم يتغيَّر عزمي عن الاشتغال به، حتى شوشت عليَّ جميع أحوالي، وتكدَّر وقتي عليَّ، فعلمت أن ذلك بمخالفة الشيخ، قال: فتبت إلى الله تعالى من ذلك العزم، ورجعتُ عنه، فصلح حالي وطاب قلبي.

وقال: سمعت أبا محمد بن الأخضر الحافظ يقول: كنتُ أدخل على الشيخ عبد القادر في وسط الشتاء وقوة برده وعليه قميصٌ واحدٌ، وعلى رأسه طاقية والعرق يخرج من جسده، وحوله من يروحه بمروحة، كما يكون في شدة الحر.

وقال: سمعتُ عبد العزيز بن عبد الملك بن تميم الشيباني يقول: سمعتُ عبد الغني بن عبد الواحد يقول: سمعتُ أبا محمد بن الخشاب النحوي يقول: كنتُ وأنا شابٌّ أقرأ النحو، أسمع الناس يصفون الشيخ عبد القادر، ويذكرون حسن كلامه في مجالس وعظه، فكنت أريدُ أن أسمعه ولا يتسع وقتي لذلك، واتفق أن يومًا حضرتُ مجلسه مع الناس، فلما تكلم لم أستحسن كلامه، ولم أفهمه، وقلت في نفسي: ضاع اليوم مِنِّي، قال: فالتفت الشيخ إلى الجهة التي كنتُ فيها وقال: ويلك، تفضل الاشتغال بالنحو على مجالس الذكر! وتختار ذلك، أصحبنا نصيرك سيبويه.

وقال: حدثني أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ملاعب القواسي، وكان صَدُوقًا،

=

ذلك، وهو أسود اللون.

قال: حضرت مع جماعة كثيرة نزور الشيخ عبد القادر، وكانوا قد قصَدُوه في مهم يسألونه الدعاء، وتبعهم خلقٌ كثيرٌ من العوام، وفيهم صبيٌّ أمرد أعرفه، سيء الطريقة، لا يزال جنبًا، ولا يتطهَّر من بولٍ ولا غيره، واتفق أن لقينا الشيخ عبد القادر، وذكر له الجماعة ما أرادوه وسَألوه الدعاء، ودعا لهم، ثم تقدمنا إليه وقبَّلنا يدَه، وانهرع الجماعة إلى تقبيل يده بأجمعهم، فلما وصل ذلك الصبي الأمرد إليه وأراد أخذ يده ليقبلها جعلها الشيخ في كمه ثم صافحه وقبل يده، وجاء بعده رجلٌ فمد الشيخ إليه يده وأخرجها من كمه صافحه، ولم يزل الشيخ على ذلك إلى أن دخل داره وخرجنا.

وقال: قرأتُ في كتاب أبي بكر التيمي قال: حدَّثني أبو بكر العمري الدقاق قال: كنتُ في أول أمري جمَّالا بطريق مكة، فاتفق أن حج معي في رباعتي رَجُل جيلاني، فلما كان ببعض الطرق مرض، فلما أحس بالموت قال لي: يا جمَّال، خذ هذه الخرقة فيها عشرة دنانير، وهذا الكساء، وسلمهما إلى الشيخ عبد القادر الجيلي، وقل له يترحَّمُ عليَّ، ومات بعد ذلك، قال: فلما وصَلت إلى بغداد طمعتُ في ذلك القدر؛ لكون الحالة التي جرت بيني وبين الجيلاني لم يطَّلع عليها سوى الله تعالى، فبينا أنا في بعض الأيام أمشي وإذا الشيخ عبد القادر قد أقبل من تلقاء وجهي، فبادرت إلى السلام عليه وصافحته، فقبض على يدي قبضًا شديدًا قال: أي مسكين، لأجل عشرة دنانير وكساء خنت الله وأمانة ذلك العجمي وقاطعتني؟ قال: فوقعتُ مغشيًا عليَّ، ومضَىَ الشيخ، فلما أفقت مضيت إلى البيت وأخذتُ الذهب والكساء وحملتهما إليه.

وقال: أخبرني علي بن عبد الرحمن الوراق عن أحمد بن المبارك المرقعاتي، قال: كان من جملة من يتفقَّه على الشيخ عبد القادر رجل أعجمي اسمه أُبي، وكان رجلاً بليد الخاطر، بعيد الذهن، لا يكاد يفهم الشيء إلا بعد تعبٍ ومشقةٍ، فبينا هو بعض الأيام يقرأ على الشيخ إذ دخل ابن الشمحل لزيارة الشيخ، فتعجب من صبر الشيخ عليه، فلما قام أبي قال ابن الشمحل للشيخ: لقد عجبت من صبرك على هذا المتفقه، فقال الشيخ: قد بقى من تعبي معه دون الأسبوع ويمضي إلى الله تعالى، قال: فتعجبنا لذلك، وأخذنا نعد يومًا بعد يومٍ حتى مات أُبى في آخر يوم منه، وحضر ابن الشمحل ذلك اليوم للصلاة عليه.

وقال: حدَّثني شيخنا أبو الفتح أحمد بن ظفر بن الوزير أبي المظفر يحيى بن

محمد بن هبيرة قال: سألت جدي الوزير المظفر أن يأذن لي في المضي إلى مجلس الشيخ عبد القادر، فأذن لي وأعطاني مبلغًا من الذهب وأمرني أن أدفعه إليه، وتقدَّم إلَيَّ بالسلام عليه، قال: فحَضَرتُ مجلسه، فلما انقضى المجلس ونزل عن المنبر سلمت عليه وتحرجت من دفع الذهب إليه في ذلك الجمع، وقلت في نفسي: إذا دخل الشيخ إلى زاويته دخلت عليه وسلمت الذهب إليه خلوة، فبادرني الشيخ سابقًا لفكرتي، وقال: هات ما معك ولا عليك من الناس، ولا حاجة بك إلى قصد الزاوية، وسَلِّم على الوزير عني، قال: فانصرفت مدهُوشًا.

انتهى كلام الحافظ ابن النجار في تاريخه، رحمه الله تعالى ورضى عنه.. آمين.

فائدة: قول يحيى بن نجاح الأديب: قلتُ في نفسي: أريد أن أحصي كم يقص شعرًا من التواب الشيخ عبد القادر، شَعر بفتح الشين المعجمة، وهو ما ينبت على الجسد، والمراد به هنا شعر الرأس، والذي يظهر أنه ما كان معتاده أهل الشطارة والعيارة في تلك البلاد من اتخاذ القزع في الرأس، وهو مما يُتاب منه لورود الشرع بالنهي عنه، ولذلك كان يزال في مجلس الوعظ لخوف التبرم؛ لأنه كَان شعارًا لهم في تلك الحالة التي كانوا عليها، فتكون إزالته شعارًا لما دخلوا فيه من الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة، وأما إزالته بالقص فهو أسرع من إزالته بالحلق لضيق المجلس؛ لأن الحلق يحتاج في وضع الموسى إلى تأمل، وربما احتاج إلى بل الشعر بالماء، والقص بخلاف ذلك، ولا يدخل في هذا ما اعتاده بعض مشايخ الزمان من قص شعور الأطفال؛ لقوله: من التواب: أي ممن يتوُب، ولا يُقال ذلك في الأطفال، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

وقال شيخ الصوفية شهاب الدين عمر السهروردي، في كتابه: «عوارف المعارف» في الباب العشرين:

سمعت أن الشيخ عبد القادر رحمه الله بعث إلى شخصٍ، وقال لفلان: عندك طعام وذهب، ائتني من ذلك بكذا ذهب وكذا طعام، فقال الرجل: كيف أتصرف في وديعةٍ عندي، ولو استفتيتك ما أفتيتني في التصرف، فألزمه الشيخ بذلك، فأحسن الظن بالشيخ وجاء إليه بالذي طلب، فلما وقع التصرف منه جاءه مكتوب من صاحب الوديعة، وهو غائبٌ في بعض نواحي العراق: أن احمل إلى العراقي عبد القادر كذا وكذا، وهو القدر

الذي عيّنه الشيخ عبد القادر، فعاتبه الشيخ بعد ذلك على توقفه وقال: ظننت بالفقراء أن إشاراتهم تكون على غير صحةٍ وعلمٍ.

وقال في الباب الحادي والخمسين منها: سمعت أن الشيخ عبد القادر كان إذا جاء إليه فقيرٌ زائرٌ يُخبر بالفقير فيخرج إليه ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه، ولا يجلس معه، ثم يَرجع إلى خلوته، وإذا جاء أحدٌ ممن ليس من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه، فخطر لبعض الفقراء نوع من إنكارٍ؛ لتركه الخروج إلى الفقير وخروجه إلى غير الفقير، فانتهى خاطر الفقير إلى الشيخ فقال الشيخ: الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية، وهو أهل وليس عنده أجنبية، فنكتفي معه بموافقة القلوب ويقنع من ملاقاة الظاهر هذا القدر، وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقفٌ مع العادات والظاهر، فمتى ما لم يوف حقه من الظاهر استوحش انتهى.

وقال الإمام شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزعلي بن عبد الله التركي العوني البغدادي الحنفي، سبط الحافظ أبي الفرج بن الجوزي في تاريخه: مرآة الزمان:

حكى لي خالي لأمي، وكان اسمه: خاصبك، قال: كان الشيخ عبد القادر يجلس [عندنا للدرس]، فبت مهمومًا بحضور مجلسه، فاتفق أنني احتلمت، وكانت ليلة باردة، فقلت: ما أفوت مجلسه، وإذا انقضى المجلس اغتسلت، فجئت إلى المدرسة والشيخ على المنبر، فساعة وقعت عينه عليَّ قال: يا هذا، تحضر مجلسنا وأنت جنبٌ وتحتج بالبرد؟.

قال: وحكى لي ظفر الحربي وكان رجلاً صالحًا قال: كنت أنام في مدرسة الشيخ عبد القادر لأجل المجلس، فمضيت ليلة وصعدت على سطوح المدرسة، وكان الحر شديدًا، فاشتهيتُ الرطب وقلت: يا إلهي وسيدي، ولو أنها خمس رطبات، قال: وكان للشيخ باب صغير إلى السطح، ففتح الباب وخرج وبيده خمس رطبات وصاح: يا مظفر- وما يعرفني قبلها- تعالَ خذ ما طلبت.

قال أبو المظفر: ومن هذا شيء كثير- يعني من جنس هاتين الحكايتين- والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال: وكان ابن يونس وزير الإمام الناصر قد قصد أولاد الشيخ عبد القادر، وبدّد شملهم، وفعل في حقهم كل قبيحٍ، ونفاهم إلى واسط، فبدّد الله شمل ابن يونس ومزقه

كل ممزقٍ، ومات أقبح موتة انتهى.

وقال الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي: قرأت بخط السيف بن المجد الحافظ، سمعت أبا عبد الله محمد بن محمد المرايتي يقولُ: سمعتُ الشيخ أبا بكر العماد رحمه الله قال: كنت قد قرأت في أُصول الدين فأوقع عندي شكًّا، فقلت: حتى أمضي إلى مجلس الشيخ عبد القادر، فقد ذكر أنه يتكلم على الخواطر، فمضيت إلى مجلسه وهو يتكلم فقال: اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة، فقلت في نفسي: هذا قاله اتفاقًا، فتكلم ثم التفت إلى الناحية التي أنا فيها فأعاد القول، فقلتُ: الواعظ يلتفت مرة هكذا ومرة هكذا، فالتفت إلَيَّ ثالثة وقال: أبا بكر، فأعاد القول، قم فقد جاء أبوك، فقمت مُبَادِرًا إلى بيتنا وإذا أبي قد جاء.

قال: قلت: ونظير هذه الحكاية ما حدَّثنا الفقيه أبو القاسم بن محمد بن خالد قال: حدَّثني شيخنا جمال الدين يحيى بن الصيرفي، سمعت أبا البقاء النحوي قال: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر فقروا بين يديه بالألحان، فقلت في نفسي: ترى لأي شيءٍ ما ينكر الشيخ هذا؟ فقال الشيخ: يجئ واحدٌ قد قرأ أبوابًا من الفقه يُنكر، فقلت في نفسي: لعل أنه قصد غيري، فقال: إياك نعني بالقول، فتبت في نفسي من اعتراضي على الشيخ، فقال: قد قبل الله توبتك.

قال: وسمعت شيخنا ابن تيمية يقول: سمعت الشيخ عز الدين أحمد الفاروقي يقول: سمعت شيخنا شهاب الدين السهروردي يقول: عزمت على الاشتغال بالكلام وأصول الدين، فقلت في نفسي: أستشير الشيخ عبد القادر فأتيته، فقال قبل أن أنطق: يا عمر، ما هو من عدة القبر، يا عمر ما هو من عدة القبر، قال: فتركته انتهى.

وقد تقدَّمت هذه الحكاية عند ابن النجار بلفظٍ آخرٍ، وقد حكاها الحافظ زين الدين ابن رجب في طبقاته فقال: قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى: حدَّثني الشيخ عز الدين أحمد بن إبراهيم الفاروقي أنه سمع الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي صاحب العوارف قال:

كنت قد عزمت على أن أقرأ شيئًا من علم الكلام، وأنا متردِّدٌ، هل أقرأ الإرشاد لإمام الحرمين، أو نهاية الإقدام للشهرستاني، أو كتابًا آخر ذكره، فذهبت مع خالي أبي

النجيب، وكان يُصَلي بجنب الشيخ عبد القادر، قال: فالتفت الشيخ عبد القادر وقال لي: ما هو من زاد القبر، وما هو من زاد القبر، فرجعت عن ذلك، قال الشيخ تقي الدين: ورأيت هذه الحكاية معلقة بخط الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى انتهى.

قال الحافظ الذهبي: قال أبو عبد الله محمد بن محمود المراتبي: قلت للشيخ الموفق: هل رأيت من الشيخ عبد القادر كرامة لما أقمتم عنده؟ فقال: لا أظنه، لكن كان يجلس يوم الجمعة، فكنا نتركه ونمضي لسماع الحديث عند ابن شافع، فكلما سمعناه لم ننتفع به، قال السيف- يعني لنزول ذلك - وذلك لأنهم سمعوا منهم المسند والبخاري، وقال أعني الذهبي في جزء جمعه يتعلق بمعرفة رجال مسند حنبل بن عبد الله الرضافي لمسند الإمام أحمد عند ذكره: وقد بلغنا أن والد حنبل حين وُلد له هذا الولد بادر إلى شيخ الوقت الشيخ عبد القادر الجيلي فقال له: سمِّ ابنك حنبلاً، وأسمعه المسند، فإنه يعمر ويحتاج إليه، فكانت هذه من كرامات الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى انتهى كلام الذهبي رحمه الله تعالى.

وقال الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، نزيل دمشق في طبقاته: وكان الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى في عصره معظمًا يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهَّاد، وله مناقب وكرمات كثيرة، قرأت بخط الإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي الدمشقي قال: حكى شيخنا الفقيه أبو الحسن ابن غريبة أن الوزير بن هبيرة رحمه الله تعالى قال له الخليفة- يريد المقتفي- قد شكا من الشيخ عبد القادر وقال: إنه يستخف بي ويذكرني، وله نخلة في رباطه يتكلم ويقول: يا نخلة لا تتعدي أقطع رأسك، وإنما يشير إِلَيَّ، تمضي إليه وتقول له في خلوة: ما يحسن لك أن يتعرض للإمام أصلاً، وأنت تعرف حرمة الخلافة، قال الشيخ أبو الحسن: فذهبت إليه فوجدت عنده جماعة، فجلست أنتظر منه خلوة، فسمعته يحدث ويقول في أثناء كلامه: نعم أقطع رأسها، فعرفت أن الإشارة إِلَيَّ فقمت وذهبت، فقال لي الوزير: بلغت فأعدت عليه ما جرى، فبكى الوزير وقال: لا شك في صلاح الشيخ عبد القادر.

قال: وقرأت بخط ابن الحنبلي أيضًا أن خاله أبا الحسن بن نجا الواعظ اجتمع

بالشيخ عبد القادر، وكان يحكي عنه قال: سبقت يوم العيد إلى المصلى، إلى المكان الذي يصلي فيه الشيخ عبد القادر، قال: فجاء الشيخ عبد القادر ومعه خلقٌ كثيرٌ، والناس يقبّلون يده، فصلَّى ركعتين قبل الصلاة فقلت في نفسي: ما هذه الصلاة، ومن السُّنة ألا يتنفل قبلها؟ قال: فلما سلم التفت إلَيَّ وقال: لها سببٌ. انتهى كلام ابن رجب رحمه الله تعالى، وسيأتي من هذا النوع حكاية في ترجمة ولده يحيى، وأخرى في ترجمة أبي الفضل الحراني، إن شاء الله تعالى.

ذكر شيء من ثناء الناس عليه:

وفيه ما يدل على سعة علمه وعظم قدره ﷺ:

قال الحافظ أبو سعد بن السمعاني في تاريخه: أبو محمد عبد القادر، من أهل جيلان، إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح ديِّن خيِّر، كثير الذِّكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، كتبت عنه.

وقال ابن النجار في تاريخه: عبد القادر بن أبي صالح بن جنكادوست، الزاهد، من أهل جيلان أحد أئمة المسلمين العاملين بعلمهم، صاحب الكرامات الظاهرة، ذكر أنه دخل بغداد في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وله ثمان عشرة سنة فقرأ الفقه وأحكم الأصول والفروع والخلاف، وسمع الحديث واشتغل بالوعظ إلى أن برز فيه، ثم لازم الانقطاع والخلوة والرياضة والسياحة والمجاهدة الشديدة، وتحمل الأحوال المشقة، والدخول في الأمور الصعبة من مخالفة النفس، وملازمة السهر والجوع والمقام في الخراب والصحاري، وصحب الشيخ حماد الدباس[1] وأخذ عنه علم الطريقة.

---

(١) قال الشطنوفي: هذا الشيخ من أجلاَّء مشايخ بغداد، ورؤساء زهادهم، وأعلام عارفيهم، صاحب الكشف الخارق، والأحوال النفيسة، والكرامات الظاهرة، والوجاهة السنية، والقبول التام عند الخلق، له الطور الرفيع من المقامات، والمكان المكين في القرب من الله رب العالمين.

وقال الذهبي: الشيخ حماد بن مسلم الدباس أبو عبد الله الرحبي الزاهد القدوة نشأ ببغداد وكان له معمل للدبس. وكان أميًّا لا يكتب. له أصحاب وأتباع وأحوال وكرامات. دوّنوا كلامه في مجلدات. وكان شيخ العارفين في زمانه.

وقال صاحب المعزى: وممن شهد للشيخ سيدي عبد القادر أنه قطع المقامات وأنه حاز قصب السبق على التمام الشيخ أبو الخير شمس الدين حماد الدباس، وكان من أشياخه ومن أئمة هذا الشأن، رفيع الهمة والقدر، عالي المقام.

قال صاحب حرز الأتقياء مع الرواة المتقدمين: هو من أعيان أرباب الحقائق الراسخين فى علوم =

ثم إن الله تعالى أظهره للخلق، وأوقع له القبول العظيم عند الخاص والعام.

وقال: كتب إلَيَّ الجبائي ونقلته من خطه قال:

كان للشيخ عبد القادر تلميذ يُقال له: عمر الحلاوي، فخرج من بغداد وغاب سنتين، فلما رجع إلى بغداد قلت له: أين كنت؟ فقال: طفت بلاد الشام ومصر والمغرب، وأظن أنه قال: وبلاد العجم، ولقيت ثلاثمائة وستين شيخًا من الأولياء، فما منهم أحد إلا يقول: الشيخ عبد القادر شيخنا وطريقنا إلى الله تعالى.

وقال في أوائل تاريخه: قرأت في تاريخ أبي شجاع بن الدهان بخطه أنه في سنة ست وعشرين وخمسمائة بدؤوا في بناء سور بغداد، ولم يبقَ عالمٌ ولا واعظٌ إلا خرج بجماعته وعمل في السور، ورأيت يوم نوبة أهل باب الأزج صحبة الشيخ عبد القادر

=

القوم، وانعقد عليه الإجماع فى الصداقة، وما والاها أنه إمام العصر فى وقته، وكان أبو الوفاء قبل أن يسكن بغداد إذا قدم بغداد ينزل عليه، وكان مشايخ بغداد يتأدبون معه وينصتون لقوله.

قال الشيخ أبو النجيب السهروردي: وهو أول شيخ فتح الله عليّ ببركاته، وخرج يومًا لزيارة قبر سيدي معروفًا الكرخى فسمع فى طريقه صوت جارية تغني فى دار سيدها فرجع فسأل أهل منزله أى ذنب أذنبت اليوم حتى عوقبت؟ فتذكروا فلم يجدوا شيئًا إلا أنهم اشتروا إناء وجدوا فيه صورة فقال من هنا أوتى عليّ وهي الصورة من الإناء.

قلَّت ذنوبهم فعرفوها، وهكذا شأن الصديقين إذا قعدوا فى أمر رجعوا لأنفسهم فاتهموها إذ ليس لهم عدو غيرها والشيطان.

وكانت له أحوال وكرامات ومما اشتهر عنه أنه كان له صاحب من أرباب الدولة ووزراء الخليفة وأنه أخذ عنه ولازمه بالزيارة وهو على رتبته فقال له: يا هذا إني أرى لك سابقة خير وخصوصية وأردت أن أجذبك إلى حضرته فأمره بالخروج عن المملكة والتردد إليها فأبى.

قال: إن الله ﷻ قد حكَّمني فى أمرك، وقد أمرت البرص أن يغشاك، وأصبح وإذا البرص شاع فيه وعم جسده كله فأجمع الخليفة الأطباء لعلاجه، فأجمعوا كلهم على أن البرص إذا عم الجسد لا دواء له، فأشاروا للوزراء على إخراجه من القصر، فرجع إلى الشيخ وتضرَّع إليه، والتزم موافقته فأعطاه قميصه وقال: يا أيها البرص ارجع بقدرة العزيز العليم من حيث جِئت، فإذا بالبرص كأنه ثوب نزعه وصار جسده أبيض كالفضة أحسن مما كان فخطر بباله أنه من الغد يرجع إلى الخليفة، فإذا بالشيخ خط له فى جبهته خطًّا فإذا هو خط برص فقال له: ماذا يمنعك من الدخول على الملك ومع هذا يقول في الشيخ سيدي عبد القادر هو الجبل الذى لا يتحرك ولا يتزلزل.

وروي أنه دخل عليه يومًا فقام إليه إجلالاً فقال: مرحبًا بالجبل الراسخ الذى لا يتخلخل ولا يتحرك أنت سيد العارفين.توفي في رمضان. وانظر: المعزى للتادلي، وبهجة الأسرار للشطنوفي (ص٢٧٣) بتحقيقنا، والعبر (١/٢٤٨).

رجلاً على بهيمة وعلى رأسه لبنتان انتهى.

وفي هذا إشارة إلى أنه لم يكن إذا ذاك ببغداد أعظم منه ممن يُشار إليه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان: قلتُ: وصحب الشيخ حماد الدباس ومنه اكتسب علم المعاملات والحقائق، وكان سكوته أكثر من كلامه، وكان يتكلم على الخواطر، فظهر له صيت عظيم بالزهد، وكان ذا صمتٍ وسمتٍ وقبولٍ تام، وما كان يخرج من مدرسته إلا يوم الجمعة إلى الجامع أو إلى الرباط، وتاب على يده معظم أهل بغداد، وأسلم معظم اليهود، وما كان أحد يراه إلا في أوقات الصلاة، وكان يصدع بالحق على المنبر، وينكر على من يولي الظلمة على الناس، ولما ولي المقتفي القاضي أبي الوفاء يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر بن المرخم الظالم قال على المنبر: وليت على المسلمين أظلم الظالمين، ما جوابك غدًا عند رب العاملين؟.

وكان له كرامات ظاهرة، لقد أدركته جماعة من مشايخنا يحكون منها جملة.

وقال في ترجمة الشيخ حماد الدباس من مرآته: ولم يكن لحماد من الفضائل التي اتَّصف بها في زهادته وطريقته ومكاشفته إلا أن الشيخ عبد القادر أحد تلامذته انتهى.

وقال الحافظ عز الدين عمر بن الحاجب في معجمه: شيخ الإسلام أبو محمد عبد القادر، صاحب كرامات ومقامات، وكان له قدمٌ راسخٌ في العلم، حسن التربية للمريدين، انتفع به وبصحبته خلقٌ كثيرٌ انتهى.

وقال الإمام الحافظ أبو عبيد الله محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الإشبيلي رحمه الله تعالى في المشيخة البغدادية للرشيد بن مسلمة: فقيهُ الحنابلة ببغداد وشيخ جماعتهم، وله القبول التام عند الفقهاء والعوام، وهو أحد أركان الإسلام، تخرَّج به جماعة، وله أتباع ومحبون، وتتلمذ له جماعة من أهل الطريق، وكان مُجاب الدعوة، كثير الدمعة، دائم الذِّكر، كثير الفكر، مع قدم راسخ في العبادة والاجتهاد انتهى.

وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام: الشيخ أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست الجيلي الحنبلي الزاهد، صاحب الكرامات والمقامات وشيخ الحنابلة، وكان إمام زمانه، وقطب عصره، وشيخ شيوخ الوقت بلا مدافعةٍ.

وقال في آخر ترجمته: قلت: كان الشيخ ﷺ عديم النظير، بعيد الصيت، رأسًا في

العلم والعمل، وفي الجملة فكراماته متواترة جمة، ولم يخلف بعده مثله.

وقال: أنبأنا أبو بكر بن طرخان أن الشيخ الموفق أخبرهم قال وقد سُئل عن الشيخ عبد القادر ﷺ: أدركته في آخر عمره فأسكننا في مدرسته، وكان يُعني بنا، وربما أرسل إلينا ابنه يحيى فيسرج لنا السراج، وربما يرسل إلينا طعامًا من منزله، وكان يصلي الفريضة بنا إمامًا، وكنت أقرأ عليه من حفظي من كتاب الخرقي، ويقرأ عليه الحافظ عبد الغني من كتاب الهداية في الكتاب، وما كان أحد يقرأ عليه ذلك الوقت سوانا، فأقمنا عنده شهرًا وتسعة أيام، ثم مات وصلينا عليه ليلاً في مدرسته، ولم أسمع عن أحدٍ يُحكى عنه من الكرامات أكثر مما يُحكى عنه، ولا رأيت أحدًا يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه، وسمعنا عليه أجزاء يسيرة.

وقال في سير النبلاء: الشيخ الإمام العلم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء، محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد، وقال في العبر: الشيخ عبد القادر بن صالح عبد الله بن جنكادوست الجيلي الزاهد، شيخ العصر، وقدوة العارفين، صاحب المقامات والكرامات، ومدرس الحنابلة محيي الدين، انتهى إليه التقدم في الوعظ والكلام على الخواطر. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في تاريخه: الشيخ عبد القادر بن أبي صالح، أبو محمد الجيلي، دخل بغداد فسمع الحديث وتفقَّه على أبي سعد المخرمي الحنبلي، وكان قد بنى مدرسة ففوضها إلى الشيخ عبد القادر، وكان يتكلم على الناس بها ويعظهم، وينتفع الناس بوعظه، وكان به سَمت حسَن وصمت عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه زهد كثير، وله أحوال ومكاشفات، وبالجملة كان من سادات المشايخ الكبار، قدَّس الله روحه، ونوَّر ضريحه انتهى.

وقال الحافظ زين الدين ابن رجب في طبقاته:

عبد القادر بن أبي صالح، عبد الله بن جنكادوست بن أبي عبد الله الجيلي ثم البغدادي، الزاهد، شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهل الطريقة في وقته، محيي الدين أبو محمد، صاحب المقامات والكرمات والعلوم والمعارف والأحوال المشهورة، وقال في أثناء ترجمته: قلت: ظهر الشيخ عبد القادر للناس،

وجلس للوعظ بعد العشرين وخمسمائة، وحصل له القبول التام من الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه، وانتفعوا بكلامه ووعظه، وانتصر أهل السنة بظهوره، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وهابه الملوك فمن دونهم.

قال: ونقلت من خط الإمام صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي قال: قرأت بخط الإمام أبي أحمد بن عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش قال: حدثني أحمد بن مطيع الباجسراي قال: كنت أجيء من مدرسة الوزير ابن هبيرة من باب البصرة إلى الشيخ عبد القادر، فجئت بعض الأيام وهو كأنه ضجران فانتهرني وقال: قم، فمضيت، فبينا أنا في بعض الطريق أنفذ خلفي فجئت فقال: لما حررت عليك ومشيت نمت فرأيت النبي ﷺ فقال: «**أنت معلم الخير، لا تضجر، أنت معلم الخير، لا تضجر**[1]» ثلاث مراتٍ، قال: ثم أخذ عليَّ وأقرأني، وقال بعد أن قال في كتاب البهجة ما سيأتي إن شاء الله تعالى، ومن أحسن ما في هذا الكتاب- يعني البهجة- ما ذكره المصنف- يعني الشطنوفي رحمه الله تعالى، عن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد ابن الشيخ العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي قال: سمعت شيخنا موفق الدين بن قدامة يقول: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة، فإذا الشيخ عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علمًا وعملاً وحالاً واستفتاءً، كان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم، والصبر على المشتغلين، وسعة الصدر، كان ملء العين، وجمع الله فيه أوصافًا جميلةً وأحوالاً عزيزةً، وما رأيت بعده مثله.

قال: وذكر في هذا الكتاب من طريق نصر بن عبد الرازق من الشيخ عبد القادر عن أبيه قال: جاءت فتياه من بلاد العجم إلى بغداد بعد أن عرضت على علماء العراقين، فلم يتضح لأحدٍ فيها جواب شافٍ، وصورتها: ما تقول السادة العلماء في رجلٍ حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بدَّ أن يعبد الله تعالى عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها، فما يفعل من العبادات؟ قال: فأتى بها إلى والدي فكتب عليها على الفور: يأتي مكة ويخلى له المطاف، ويطوف أسبوعًا وحده، وتحل يمينه، قال: فما بات المستفتي ببغداد.

قال: وذكر فيه أيضًا بإسناده عن موسى ابن الشيخ عبد القادر قال: سمعت والدي

(١) هذا حديثٌ كشفيٌّ صحيحٌ.

يقول: خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ومكثت أيامًا لا أجد ماء، فاشتدَّ بي العطش، فأظلتني سحابة ونزل منها شيء يشبه الندى فرويت منه، ثم رأيت نورًا أضاء منه الأفق، وبدت لي صورة ونُوديت منها: يا عبد القادر، أنا ربك، قد أحللت لك المحرمات - أو قال: ما حرمتُ على غيرك - فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اخرج يا لعين، فأُبدل ذلك النور ظلامًا، وتلك الصورة دخانًا، ثم قال: يا عبد القادر، نجوت مني بعلمك، لقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلت: لوليي الفضل والمنَّة، فقيل: كيف علمت أنه شيطان؟ قال: بقوله: قد أحللت لك المحرمات.

انتهى منه شيخ الإسلام شهاب الدين بن حجر العسقلاني، سقا الله ثراه بوابل رحمته، وأسكنه فسيح جنته بمنِّه وكرمه آمين، عما قاله الإمام الحافظ زيد الدين بن رجب في طبقاته، وهو قد جمع أبو الحسن المقدسي الشطنوفي المصري في أخباره ومناقبه - يعني الشيخ عبد القادر- ثلاث مجلدات، وقد رأيت بعض هذا الكتاب، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيءٍ مما فيه فأنقل منه إلا ما كان مشهورًا معروفًا من غير هذا الكتاب، وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه من الشطح والطامات والدعاوى والكلام الباطل ما لا يُحصى، ولا يجوز نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبد القادر.

قال: ثم وجدت الكمال جعفر الأدفوي ذكر أن الشطنوفي نفسه كان متهمًا فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه[١] انتهى.

وعن معنى قول الشيخ عبد القادر: «قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله»، فأجاب رحمه الله تعالى ورضي عنه بما نصه من خطه:

أما ما يتعلق بالبهجة فقد طالعت أكثرها فما رأيت الأمر كما نقله الشيخ الحافظ زين الدين بن رجب على إطلاقه، بل هي مشتملةٌ على أقسامٍ:

القسم الأول: ما لا منابذة لقاعدة الشريعة فيه بحسب الظاهر، بل هو جائزٌ شرعًا وعقلاً، وهذا معظم الكتاب، فإن ظهور الخوارق على البشر واقعة في الوجود لا ينكرها إلا معاندٌ.

---

(١) يعني: بهجة الأسرار ومعدن الأنوار (مطبوع بتحقيقنا) دار الكتب العلمية بيروت.

والقسم الثاني: منابذ لقوانين الشريعة في الظاهر، فإن أمكن حمله بالتأويل على أمرٍ سائغٍ فذاك، وإلا فينبغي اجتنابه وتحسين الظن بقائله ويحتاج إلى أن يدعي أن ذلك صدر في حال غيبة له عن غير اختيارٍ.

والقسم الثالث: ما تردَّد بين الأمرين، فهذا ينبغي الجزم بحمله على المحمل الصحيح، ولو بالتأويل، بخلاف الذي قبله، فإنه يجوز أن يكون غير ثابتٍ، ولا شك أنه من ليست له بصيرة بنقد الرواة ثم قصد الإكثار فإنه يصير حاطب ليل، يجمع الغث والسمين وهو لا يدري، هذا حال جامع البهجة.

وقد ذكر أئمتنا لما يظهر من الخوارق ضابطًا يتميز به المقبول من المردود فقالوا: إن كان الواقع ذلك له أو منه على المنهاج المستقيم فهي كرامةٌ، كالشيخ عبد القادر.

فقد قال شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام: ما وصلت إلينا كرامات أحد بطريق التواتر مثل ما وصلت إلينا كرامات الشيخ عبد القادر، روينا هذا الكلام عنه بمعناه بسندٍ صحيحٍ عن الحافظ شرف الدين علي بن محمد اليونيني أنه سمع ابن عبد السلام يقوله، ثم قال: وإن كانت الواقعة منه أو له لما على الوجه المباين للشريعة المطهَّرة فليست فيها دلالتها على الولاية.. إلى آخره.

ثم ذكر من صدر عنه شيئًا من الخوارق في حال غيبه، وذكر المقبول من المردود في ذلك، ثم قال:

وإذا عرف ذلك فالشيخ عبد القادر لم يكن من هؤلاء، بل حاضر الحس يتمسك بقوانين الشرع ويدعو إليها، وينفر من مخالفتها، ويشغل الناس فيها مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة، ومزج ذلك بمخالطة الشاغل غالبًا عنها كالأزواج والأولاد، ومن كان هذا سبيله كان أكمل من غيره؛ لأنها صفة صاحب الشريعة، ومن هنا قال تلك الكلمة المشهورة، يعني: «قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله»، قال: كأنه لا يعرف في عصره من كان يساويه في الجمع بين هذه الكمالات.

وإذا تقرَّر هذا فلا يضر ما وقع في هذه البهجة مما نُسِب إليه؛ لأنه إن كان على قانون الشريعة فنسبته إليه جائزة، وما عدا ذلك إن كان ثابتًا عنه حُمل على أنه صدر عنه في حال غيبة ما، وإن كانت أحواله العالية لم يكن له فيها غيبة، وإن لم يكن ثابتًا فالعهدة على ناقله، والغرض تعظيم شأنه، وهو بلا شكٍّ يستحق التعظيم، والله يهدي

من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ.

وسُئل أيضًا رحمه الله تعالى: هل ورد عن الشيخ عبد القادر أنه حضر السماع الذي اتخذه الفقراء بالدفوف والمواصيل وغير ذلك من الآلات؟ أو أمر بحضوره؟ أو قال فيه شيئًا بإباحة أو تحريم؟

فأجاب بما نصه من خطِّه:

أما الشيخ عبد القادر فالذي وصل إلينا من أخباره الصحيحة أنه كان فقيهًا زاهدًا عابدًا، يتكلم على الناس ويرغبهم في الزهد والتوبة، ويحذرهم من العقوبة على المعصية، فكان يتوب على يديه من الخلق من لا يُحصى كثرة، وله كرامات مستفيضة لم يُنقل لنا عن أحدٍ من أهل عصره ولا من بعده أكثر مما نُقل عنه، ولا أعرف عنه في مسألة السماع بهذه الآلات شيئًا.

وقال الإمام العالم الفاضل البارع النبيل أبو العباس أحمد الشهير بابن فضل الله في كتابه «مسالك الأبصار»:

الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست الجيلي الحنبلي علم الأولياء، محيي الدين أبو محمد، سيد طائفة كانوا بالنهار لا يفترون، وبالأسحار هم يستغفرون، طلع من هاشم بن عبد مناف في الذوائب، وكرع منه في غدير لم يرفق بالشوائب، وكان من الشرف في مشايخ قلاله، وراسخ النسب العلوي في كرم خلاله، وكان له مجلس يوالي فيه الانتحاب ويحرك فيه الأصحاب: ﴿**وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾ [النمل:٨٨]، فما برح اجتهاده مخدودًا وجهاده يقول: ﴿**عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾ [الإسراء:٧٩].

وكان مخلصًا دون أشكاله، ومخلصًا توكل على الله حق اتكاله، على أنه من بقية قوم يرجعون، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وصلوا الليالي بالأسحار، وركبوا ثبج الفيافي، وقفار البحار، فحمدوا ما كانوا يعملون، وعلى ربهم يتوكلون.

وقال الشيخ الإمام العلاَّمة القدوة الزاهد الورع العارف بالله عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي اليمني، ثم المكي الشافعي في تاريخه الموسوم بمرآة الجنان، وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، وتقلب أحوال الإنسان، وتاريخ موت بعض المشهورين الأعيان:

قطب الأولياء الكرام، وشيخ المسلمين والإسلام، ركن الشريعة وعلم الطريقة، وموضح أسرار الحقيقة، حامل راية علماء المعارف والمفاخرة، شيخ الشيوخ، وقدوة الأولياء العارفين الأكابر، أستاذ الوجود: أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، قدَّس الله روحَه، ونوَّر ضريحه، تحلَّى ﷺ بحلي العلوم الشرعية، ونال لطائفها، وتجمَّل بتيجان الفنون الدينية، وحاز شرائعها، وهَجَر في مهاجرته إلى الحق كل الخلائق، وتزوَّد في سفره إلى ربه أحسن الآداب وأشرف الخلائق، وعقد له ألوية ولاية فوق العُلا ذوائبها، ورفع له منازل جلاله في سماء القرب كواكبها، ونظر قلبه إلى قوم الفتح في ذيول الكشف عن الأسرار، وشخص سره إلى شموس المعارف من مطالع الأنوار، وأشهدت بصيرته عرائس الحقائق في مقاصير الغيوب، وأسكنت سريرته حضرة القدس في خلو وصل المحب بالمحبوب، ورفعت أسراره إلى شاهد المجد والكمال، ودام إحضاره في معالم العز والجلال، هنالك انكشف له علم السر المصون، واتَّضح له حقيقة حق اليقين، واطَّلع على معاني خفايا مكامن المكنونات، وشاهد مجاري القدر في تصريف المشيئات، واخترع الحكم من معادنها، وأظهر التخوف من مكامنها، فأتاه الأمر النقي من تدنيس التلبيس بالجلوس للوعظ في الحلبة النورانية في شوال سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، فجلس مجلسًا، لله دره من مجلسٍ تجلله الهيبة والبهاء، وتحف به الملائكة والأولياء، فقام بنصر الكتاب والسُّنة خطيبًا على الأشهاد، ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد، يا له من داعٍ أجابته أرواح المشتاقين، ومن منادٍ لبَّته قلوب العارفين، ومن حادٍ هيم ركائب النفوس في فلوات الشوق إلى رؤية الجمال، ومن هادٍ ساق نجائب القلوب إلى حمى الوصال، ومن ساقٍ روى عطاش العقول من شراب الأنس، وشوقها إلى منادمة الحبيب على بساط الأنس، وكشف براقع الملبس عن وجوه المعارف، ورفع أغطية العين عن عين شرائف اللطائف، وهز أعطاف القلوب بوصف جمال القدم، وأرقص أشباح الأرواح بسماع نعت كمال الكرم، وناغى أطيار الأسرار في جوامع قدسها بألحان لذيذ أنسها، فطارت من أركان أطوارها في حينها إلى أوكارها، وجلى عرائس المواعظ فدهش ببهجة حسنها العشاق، وزف مخدرات المواهب فصبا لمعنى جمالها كل مشتاقٍ، ونطق بنفائس الحكم من رياض أنس أينعت مروجها، وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم

تلاطمت أمواجها، يرى مُعاينها من مَعانيها دُرًّا وياقوتًا، ويؤخذ من درها درًّا، ومن ياقوتها قوتًا، وذبح روض الحقائق بحدائق ذات بهجةٍ، فيها للسالكين إلى الله سبحانه وتعالى محجة وحجة، وبثَّ لآلئ الفتح على بساط الإلهام، فسابق لالتقاطها أولوا الألباب والأقلام، فتنضدت منها فوائد هدى في أعناق ذوي الهمم العلية، يصل المتحلي بها بإذن الله إلى المقامات السنية، فجال في النفوس مجال الأنفاس في الصدور، وعبق القلوب عبق الروض الممطور، وأبر النفوس من أسقامها، وشقى الخواطر من أوهامها، فما سمعه إلا من أوضح للتوبة جنونه، أو من نحل بالبكاء جفونه، وكم رد إلى الله عاصيًا، وكم ثبت الله به وأحيا، وكم أصحى من خمر الهوى سكارى، وكم فكَّ من قيود النفوس من أسارى، وكم اصطفى الله به أوتادًا وأبدالاً، وكم وهب الله به مقامًا رجالاً، وما زالت نجائب المواهب ترحل إليه، رحمة الله تبارك وتعالى عليه.

شعر:

عَـبْدٌ لَـهُ فَـوْقَ المعَالِـي رُتْـبَةٌ ... وَلَـهُ المحَاسِـنُ والفخـارُ الأفخـرُ

ولَـهُ الحقائِـقُ وَالطَّـرِيقُ فِـي الهُـدَى ... ولَـهُ المعَـارِف كَالكَـواكب تزهـرُ

وَلَـهُ الفَـضَائِلُ وَالمَكَـارِم والـندَى ... وَلَـهُ المـنَاقِب فِـي المحافـلِ تُنْـشَرُ

وَلَـهُ الـتَّقدم وَالتَّعَالِـي فِـي العُـلاَ ... وَلَـهُ المـرَاتِب فِـي الـنِّهَايةِ تكبـرُ

غَوْثُ الورَى غيثُ الندَى نُورُ الهُدَى ... بَدْرُ الدجَى شَمْسُ الضُّحَى بَلْ أَنْوَرُ

قطـع العلـوم مَـع العقـول فأصْـ ... ـبحت أطـوارها مِـن دونِـهِ تتحيَّـرُ

مَـا فِـي عـلاه مَقَالَـة لمخَالـفٍ ... فمـسائلُ الإجمـاعِ فِـيْهِ تـسطرُ

قال: قلت: هذا ما ترجمه فيه بعضهم، وهو كذلك، بل فوق ذلك، إلى أن قال:

أضحى الزمان متشرفة به مناكبه، والدين مشرقة به مناصبه، والعلم عالية به مراتبه، والشرع منصورة به كتائبه، فانتمى إليه جمعٌ عظيمٌ من العلماء، وتلمَّذ له خلقٌ كثيرٌ من الفقهاء، ولبس منه الخرقة خلقٌ لا يُحصون من الفقراء والمشايخ الكبراء والعلماء الخيراء، وقد ذكرت في كتاب «خلاصة المفاخر في اختصار مناقب الشيخ عبد القادر»، وفي كتاب «نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ أصحاب المقامات العالية» وغيرها أن جمهور شيوخ اليمن يرجعون في لبس الخرقة إليه، بعضهم لبسها من يده لما قدمت

أعلام فضائله عليهم، والأكثرون من رسولٍ له أرسله إليهم، وفيه وفي إلباس الخرقة وانتساب معظم شيوخ اليمن في لبسها إليه قلت:

وَفِي مَنْهجِ الأشْيَاخِ إِلبَاس خرقة لهم ... سد أصل رَوى ذَاكَ عَن أصلِ

وَلبس اليَمَانيين يرجع غالبًا ... إلى سيل سَامي فخَارًا عَلَى الكلِّ

إمام الورى قطب الملأ قائل: «على رقاب جميع الأولياء قدمي»، أعلى فظاظًا له كل مشرق ومغربٍ، رقابًا سوى فرد، فعُوقب بالعزل، مليك له التصريف في الكون نافذ، بشرق وغرب الأرض والوعر والسهل، سراة الهدى، شمس على فلك العُلا، جيلان مبدؤها طلوعًا بلا أقل طراز جمال مذهب فوق حله غدا الكون فيها الدهر تختال ذار فل يتيمة در زان عقد ولاية بهيج على حيد الوجود به مجلى لجدواك، يا بحر الندى عبد القادر أتى يافعي، ذو افتقارٍ، وذو محل قفا هاهنا في رأس نهر عيونهم ملاها، ومن بحر النبوة مستملى، وسبحانك اللهم ربًا مقدسًا وأوسع فضل للورى فضله مولى.

ثم قال: وأما كراماته فخارجة عن الحصر، وقد أخبرني من أدركت من أعلام الأئمة الأكابر أن كراماته تواترت، أو قربت من التواتر، ومعلوم بالاتفاق أنه لم يظهر ظهور كراماته لغيره من شيوخ الآفاق، وقد أشرت في هذه الأبيات المختصرة إلى محاسن كلامه المشتهرة، المنسوجة في الأسلوب الغريب الذي لم ينسج غيره على منواله العجيب: شعر:

أيا مادحا نسجا وشاه بن جو ... زي حلاه بأسلوب بعينك فاخر

كأنك لم تنظر لشيخ معارف ... وأسرار زاهي حكمه وسرائر

بأظرف أسلوب وأظرف حلةٍ ... وأشرف نسج باهج الحسن زاهر

لدى حضرة أنشأة صانع ... وأعرف استأدب عبد قادر

به شرف الكوان قطب زمانه ... ددابحده فيه طرز المفاخر

له قدمٌ يسمو بعليا فخارها لها ... طجوعاً رقاب الأكابر

وما نسج فتح من نفيس مواهبه ... كنسج طباع من قريحة خاطره

وأين الثريا في علاها من الثرى وويل ... الندى في الفضل من وابل ماطر

كذا ابن من بازى العلا وعكف ... يرى على جيفه أو لاقط المتناثر

فمـا طائـر تلقـاه البـاز صـائد ... وللبـاز يلفـى صـائداً كـل طائـر
وأيـن بعيد الدار من ساكن الحمـا ... نديم هوى في حضرة القدس حاضر
يسقى من الراح التي لم كريحها يرح ... ذاك فضلاً عن شراب بدائر
شـريف معاً بـل مولى على الورى ... وتصريفه قد عمتهم غير قاصر
له في الوجود الجاه والحكم نافذ ... خفير الورى في عصره خير خافر
لقد خطر الأكوار شرقاً ومغرباً ... وما في ضياء أخفرت أو دياجر
له الجن والأملاك والإنس كلهم ... يخافون لا شخص يُرَى غير حادر
به اسأل فإن ألفيت قولي صادقاً ... وإلا أكذبن اليافعي في المحاضر
على روحه رضوان ربي مقدساً ... مدى الدَّهر زكى النشر من غير آخر
وختمي لها حمدي لربي مصلياً ... على المصطفى من قبل خلق العناصر
محمد السامي على ذروة العُلا ... غياث الورى عند الدواهي الذواعر

انتهى كلام اليافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين.

تنبيه:

قوله: الحلية النورانية هي الحلية البرانية، وكأنه عدل بها إلى النورانية لتنورها بوجود الشيخ عبد القادر فيها، أو هو تغيير من بعض الكتبة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ذكر اجتماع الخضر عليه ﷺ:

شاهدت بخط الحافظ الشهير أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ما صورته: رأيت بخط الحافظ ضياء الدين المقدسي، سمعت الإمام الحافظ أبا بكر عبد الرزاق ابن الشيخ الإمام الزاهد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ببغداد يقول: سمعتُ والدي يقول:

كان الخضر عليه السلام يأتي إلَيَّ بعض الأوقات، وربما دعا لي وأنا مريضٌ فأجد العافية أو نحو هذا انتهى.

ذكر ما قاله في الحلاج:

وقال الحافظ محمد بن رافع في تاريخه: إبراهيم بن سعد بن أبي محمد غانم بن عبد الله الثعلبي، أو عبد الله الرومي الحنبلي، ذكره شيخنا أبو محمد الحلبي في تاريخه

وقال: كتب عنه الرشيد أبو بكر محمد ابن الحافظ عبد العظيم المنذري، ونقلته من خطه، قال: وسمعته يعني إبراهيم هذا في ثامن عشر ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة، بدار الحديث بالقاهرة يقول:

سمعتُ الشيخ عبد القادر الجيلي يقول وقد سُئل عن الحلاج، فقال: بجناحٍ طار دعواه فسُلط عليه مقراض الشريعة فقصه انتهى.

غريبة: ذكر الإمام العلاَّمة شهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسي الشافعي في كتابه: نظم الدرر في هجرة خير البشر في فصل إسلام الجن عند سماعهم القرآن منه ﷺ:

الشيخ عبد القادر الجيلاني أدرك منهم واحدًا فرداني: يعني من الجن الذين أسلموا لسماعهم منه ﷺ، فالله سبحانه وتعالى أعلم.

ذكر شيء من مواعظه رضي الله عنه:

قال الحافظ ابن النجار في تاريخه: كتب إلَيَّ عبد الله الجبائي ونقلته من خطه قال: كان شيخنا عبد القادر الجيلي يقول:

الخلق يحجبك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك، ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك.

وكان يقول: الدُّنيا أشغال والآخرة أهوال، والعبد فيما بين الأشغال والأهوال حتى يستقر قراره، وإما إلى جنةٍ وإما إلى نارٍ.

وقال: قرأت في كتاب أبي بكر التيمي قال: سمعت الشيخ عبد القادر الجيلي يقول في بعض مجالسه:

ما ثَمَّ إلا خلق وخالق، فإن اخترت الخالق فقل كما قال تعالى: ﴿**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ**﴾ [الشعراء:٧٧]، ثم دق برجله وقال: من ذاقه فقد عرفه، فاعترضه سائلٌ فقال: يا سيدي، من غلبت عليه مرارة الصفراء كيف يجد حلاوة الشوق؟ قال: يتعمَّد قيء الشهوات من قلبه.

قال: وقال في بعض مجالسه: أول يطلع في قلب المؤمن نجم الحكم، ثم قمر العلم، ثم شمس المعرفة، فيصير بنجم الحكم ينظر إلى الدنيا، وبضوء قمر العلم ينظر إلى الأخرى، وبضوء شمس المعرفة ينظر إلى المولى.

قال: ومن كلامه: الأولياء عرائس الله تعالى لا يطَّلع عليهم إلا ذا محرمٍ.

وقال في ترجمة أكمل بن مسعود بن عمر بن عمار، أبو هاشم الهاشمي: سمعت

الشريف الأكمل بن مسعود الهاشمي يقول: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر يومًا، وجيء بجنازةٍ، فقام الشيخ فصلَّى عليها، ثم صعد المنبر فقال وأنا أسمع:

ألا ترون إلى هذا الميت لما غلبت عَليه سكراتُ الموت أدهشته وغيبته إلى حيث لم يعرف أحدًا من أقاربه، فكذا المعرفة بالله تعالى إذا وردت على قلب المؤمن أدهشته وغيبته إلى حيث لا يعرف أحدًا سوى الله تعالى.

وقال في ترجمة منصور بن المبارك بن أبي نعيم بن أحمد بن معبد أبو المظفر الواعظ المعروف بجرادة: قرأت في كتاب أبي بكر عبيد الله بن علي التميمي المارستاني قال: قال- يعني الشيخ عبد القادر الجيلي في بعض مجالسه:

كل الطيور تقول ولا تفعل، والباز يفعل ولا يقول، فلأجل هذا صار كف الملك سدته، فقام الشيخ أبو المظفر منصور، المعروف بجرادة فأنشده هذه الأبيات، وسمعتها من لفظه[1]:

بِـكَ الـشهور تهـنا والمواقـيت ... يَـا مَـنْ بفيـضه تعلُـو اليواقـيت

البَازُ أَنْتَ وإِنْ تفعل تفخر فَلاَ عَجَبٍ ... وسـائر الـنَّاس فِـي عينـي فواخـيت

أشـمُّ مِـنْ قَدَمـيكَ الـصِّدْق مجـتهدا ... لأنَّـه قـدم فـي فعلـه الـصيت

وقال في ترجمة أبي البركات بن أبي الحسن بن أبي غالب الشهرزوري: أنشدني أبو البركات بن الشهرزوري من حفظه، قال: سمعت الشيخ عبد القادر الجيلي ينشد على كرسي وعظه بباب الأزج[2]:

أَلَيسَ مِن الخُسْرَانِ أن ليَاليا تمرُّ ... بِـلاَ نَفْـعٍ وتُحـسب مِـن عُمْـرِي

وقال في ترجمة عبد الله بن عبد الصمد بن عبد الرزاق بن أحمد أبو محمد بن أبي المقسم السلمي، وكان شيخًا صالحًا، فقيرًا، صبورًا، ملازمًا لمجالس الذِّكر، على كبر السن كان يمشي حافيًا من البدرية إلى مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي بباب الأزج لسماع وعظه محتسبًا لخطاه.

ذكر وفاته رضي الله عنه:

قال ابن النجار في تاريخه: سمعت أبا الفتوح نصر بن الفرج الحصري الحافظ بمكة يقول:

---

(١) انظر: خلاصة المفاخر (٢٤٧).

(٢) انظر: بهجة الأسرار (٥٤)، الخلاصة (ص٢٢٧).

تُوفي الشيخ عبد القادر بعد عتمة في ليلة صبيحتها السبت عاشر ربيع الآخر من سنة إحدى وستين وخمسمائة.

قال ابن النجار: قلت: فرغ من تجهيزه ليلاً، وصلَّى عليه ولده عبد الوهاب في جماعة من حضر من أولاده وأصحابه وتلامذته، ثم دُفن في رواق مدرسته، ولم يفتح باب المدرسة حتى علا النهار وانهرع الناس إلى الصلاة على قبره وزيارته، وكان يومًا مشهودًا.

وقال سبط ابن الجوزي في مرآته: تُوفي في ليلة السبت ثامن ربيع الآخر، ودُفن ليلاً من كثرة الزحام، فإنه لم يبقَ ببغداد أحدٌ إلا وجاء إلى باب الأزج، وامتلأت الحلبة والشوارع والأسواق والدور فلم يتمكن من دفنه في النهار.

وقال الحافظ زين الدين بن رجب في طبقاته: ورثاه نصر النمري غداة دفنه بقصيدة أولها:

مشكل الأمر ذَا الصَّباحِ الجديد مَـا لَـهُ ذلـك الـسنا المعهـود

قال: وله فيه مرثية أخرى، وهو ﷺ منسوب إلى جيل- بكسر الجيم وسكون الياء آخر الحروف وبعدها لام - وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويُقال لها أيضًا: جيلان، ويُنسب إليها جيلاني، ويُقال فيها: كيل وكيلاني فعربت، وفي الرواة جيلاني أيضًا منسوب إلى جده جيلان، والجيل أيضًا قرية تحت المدائن نُسب إليها أيضًا.

ذكر من له ترجمة من أولاده وأحفاده على ترتيب وفياتهم:

تغمدهم الله برحمته آمين آمين آمين:

منهم: أبو عبد الرحمن عيسى بن أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست الجيلي.

قال ابن النجار في تاريخه: عيسى ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، أبو عبد الرحمن، خرج من بغداد بعد وفاة والده ودخل الشام، وسمع بدمشق من علي بن مهدي المفرج الهلالي في سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وحدث عن والده، ثم إنه دخل ديار مصر وأقام بها إلى حين وفاته، وكان يعظ على المنابر، وله قبول من الناس، وحدث هناك عن والده، روى عنه حمد بن ميسرة بن حمد الجلال الحنبلي، أنشدني أبو الحسن يحيى بن عقل بن شريف بن رفاعة السعدي المصري من حفظه بمدينة

النبي ﷺ: أنشدنا عيسى ابن الشيخ عبد القادر الجيلي على كرسي وعظه:

وَإِنِّـي أَصُـومُ الدَّهـر إِذْ لَـمْ أَرَكـم ... وَيَـوم أَرَاكُـم لاَ يحـل صِـيَامِي

إِلاَّ أن قَلْبِي قَدْ تَـذَمَّم فِي الهَوَى ... إِلَـيكم فجـد لِـي مـنعمًا بِذمَامِـي

قرأت في كتاب رفيقنا أبي نصر أحمد بن علي بن النفيس بن بورندان بخطه لعيسى ابن الشيخ عبد القادر الجيلي:

تحمل سَلاَمِي نحوَ أَرْض أحبتي ... وَقُـلْ لَهُـم أنَّ الغـريبَ مُـشَوَّقُ

فَإِنْ سَاءلوكم كَيْفَ حَالِي بَعْدَهم ... فَقُولُـوا بِنِيـرَانِ الفـراقِ حَـرِيقُ

فَلَـيْسَ لَـهُ إِلْـف يـسرّ بقـربهم ... وَلَـيْسَ لَـهُ نحـوَ الـرجوع طَـرِيقُ

غَرِيْبٌ يُقَاسِي الهم فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... ومـن لغـريبٍ فِـي الـبِلادِ صَـدِيقُ

وقال المنذري في وفيات النقلة:

أبو عبد الرحمن عيسى، قدم مصر وحدث ووعظ بها، وتُوفي بها.

وقال ابن النجار:

قرأت على بلاطة قبر عيسى ابن الشيخ عبد القادر الجيلي بقرافة مصر:

تُوفي في الثاني عشر من رمضان سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وقد ألبس الخرقة.

قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام: مسافر بن يعمر بن مسافر، أبو الغنايم المصري الجيزي الحنبلي، المؤدب الصوفي، الرجل الصالح، سمع من عشير بن علي وغيره، وصحب الصالحين، ولبس الخرقة من عيسى ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، وكان خيّرًا متعبدًا عمالاً مبالغًا في الإيثار مع الإقتار، سمع منه المنذري.

وقال المنذري في وفياته:

تُوفي في الحادي عشر من ربيع الأول سنة عشرين وستمائة، ودُفن بسفح المقطم على سفير الخندق بالتربة المعروفة به، وهو في سن الكهولة، وُلد بالمنزلقة: قرية من قرى جيزة الفسطاط، سمعت منه حكايات وسمع مني شيئًا من مجموعاتي، وكان كثير العمل ويبالغ في الإيثار مع الإقتار.

ومنهم: أبو عبد الرحمن عبد الجبار.

قال ابن النجار في تاريخه: عبد الجبار ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، أبو عبد الرحمن، أسمعه والده في صباه من أبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد

الواحد القزاز، وأبوي الفضل: محمد بن عمر بن يوسف الأدموي، ومحمد بن ناصر الحافظ، وجماعة غيرهم، ومات شابًّا.

ذكر أخوه عبد الرزاق أنه سمع منه شيئًا، وكان متصوفًا مخالطًا للفقراء وأرباب القلوب، وكان يكتب خطًّا عجيبًا.

سمعت أبا الحسن عمر القطيعي يقول: مات عبد الجبار ابن الشيخ عبد القادر الجيلي في يوم السبت تاسع عشر من ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة، ودُفن برباط أبيه بالحلبة.

ومنهم: أبو عبد الرحمن عبد الله.

قال ابن النجار في تاريخه: عبد الله ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، أبو عبد الرحمن، من أهل باب الأزج، كان أكبر أولاد أبيه، ولم يكن مشتغلاً بالعلم، أسمعه والده في صباه من أبي القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين، وأبي غالب أحمد بن الحسن بن البنا، وأبي السعود أحمد بن علي بن المحلى، وغيرهم، وحدَّث باليسير.

روى لنا عنه ابن الأخضر: أخبرني أبو الحسن بن القطيفي قال: سمعت عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر يقول: مولد أخي عبد الله في ربيع الأول سنة ثمان وخمسمائة.

أنبأنا القارئ أبو العباس أحمد بن محمد بن الفراء ونقلته من خطه، قال: مات عبد الله ابن الشيخ عبد القادر الجيلي ليلة الثلاثاء ثامن عشر صفر من سنة سبع وثمانين وخمسمائة، وصلَّى عليه بمدرسة أبيه أخوه عبد الوهاب، ودُفن بتربتهم بباب الحلبة قريبًا من السور.

ولداه: أبو محمد عبد الرحمن.

قال ابن النجار: عبد الرحمن بن عبد الله ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، من أهلي باب الأزج، سمع أبا القاسم نصر بن نصر بن علي العكبري، وأبا المظفر هبة الله بن أحمد بن محمد بن الشبلي وغيرهما، سمعت منه أربعة أحاديث، وكان محضرًا بباب القاضي لا يفهم شيئًا، سألت شيخنا عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي عن مولد ابن أخيه عبد الرحمن فقال: في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وتُوفي يوم الجمعة السادس والعشرين من المحرم سنة أربع عشرة وستمائة، ودُفن من الغد بباب حرب.

قال المنذري: ولم يكن له إقبال على الحديث، ولا على أهله، من أنه من بيت الحديث.

وأبو محمد عبد القادر.

قال الذهبي: عبد القادر بن عبد الله ابن الفقيه القدوة عبد القادر الجيلي، أبو محمد، سمع من أبي الحسين عبد الحق، وحدَّث، ومات بسواد بغداد في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة.

ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم.

قال المنذري في وفياته: تُوفي الشيخ أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الفقيه أبي محمد عبد القادر، الجيلي الأصل، البغدادي المولد، بواسط ودُفن بها، سمع من أبي القاسم سعيد بن أبي غالب أحمد بن الحسن بن البنا، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى وطبقتهما.

قال الذهبي: قال الدبيثي: ما أظنه حدَّث لاشتغاله بالمعاش، تُوفي في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.

ومنهم: أبو عبد الله عبد الوهاب.

قال ابن النجار في تاريخه: عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، أبو عبد الله، ابن أبي محمد، الفقيه الحنبلي، من أهل باب الأزج، قرأ الفقه على والده حتى برع فيه، ودرس بمدرسة والده وهو حيٌّ، نيابةً عنه، في مستهل سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وقد نيف على العشرين من عمره، ثم بعد وفاته استقل بالتدريس، ولم يكن في أولاد أبيه أميز منه، كان فقيهًا فاضلاً، حسن الكلام في مسائل الخلاف، له لسان فصيح في الوعظ، وإيراد بليغ مع عذوبة ألفاظ وحدة خاطر، وكان ظريفًا لطيفًا مليح النادرة، ذا مزاحٍ ودعابةٍ وكياسةٍ، وكانت له مروءة وسخاوة، وجعله الناصر لدين الله على المظالم، فكان يوصل إليه حوائج الناس، أسمعه والده الحديث في صباه من أبي غالب أحمد بن الحسن بن البنا، وأبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز، وأبي الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم الصايغ، وأبي الفضل محمد بن عمر الأرموي، وغيرهم، سمع منه أصحابنا، ورأيته غير مرة ولم يتفق لي أن أسمع منه شيئًا، سألت أبا بكر عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي عن مولد أخيه

عبد الوهاب فقال: في ثاني شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة.

قلت: وتُوفي ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وصلَّى عليه من الغد بمدرسة والده، وحضر خلقٌ كثيرٌ، ودُفن بمقبرة الحلبة عند عبد الدائم انتهى.

وقال الذهبي: وحدَّث ووعظ وأفتى وناظر وروسل من الديوان العزيز، وكان أديبًا ظريفًا ماجنًا خفيفًا على القلوب، روى عنه الدبيثي وابن خليل وجماعة.

وقال الحافظ زين الدين بن رجب في طبقاته: ذكر ابن القادسي أنه سمع من ابن الحسين وابن الزاغوني وأبي غالب بن البنا وغيرهم، وكان فقيهًا مجودًا، زاهدًا واعظًا، وله قبولٌ حسنٌ، وتولى المظالم للناظر سنة ثلاث وثمانين، وكان كسيًّا ظريفًا من ظرفاء أهل بغداد، متماجنًا، ولم يكن في أولاد أبيه أفقه منه.

وقال: قال ناصح الدين بن الحنبلي: قال الشيخ طلحة يعني العلثي: قلمه شديد في الفتوى، وحدَّث وسمع منه جماعة، منهم: ابن القطيعي، وروى عنه ابن الدبيثي وعبد الرحمن بن الغزال الواعظ، وابن خليل، وأجاز لمحمد بن يعقوب بن أبي الدنيا انتهى.

ولداه: أبو الفتح سليمان.

قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي الواسطي في تاريخه:

سليمان بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، أبو الفتح بن أبي محمد، الجيلي الأصل، البغدادي المولد، من أولاد الشيوخ والرواة، إلا أنه كان مشتغلاً بغير العلم، سمع شيئًا من الحديث بإفادة عمه عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر بن أبي الحسن محمد بن إسحاق بن الصابي الكاتب وغيره، وما أعلم أنه حدَّث بشيءٍ، والله أعلم.

قرأت مولده بخط أبيه في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وتُوفي يوم الأربعاء تاسع جمادى الآخر سنة إحدى عشرة وستمائة، قبل أخيه عبد السلام بنحو عشرين يومًا، ودُفن بمقبرة الحلبة عند أبيه، رحمهما الله وإيَّانا.

وأبو منصور عبد السلام.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه: عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح، الجيلي الأصل، البغدادي المولد والدار، أبو منصور بن أبي

عبد الله بن أبي محمد، من أهل باب الأزج، من البيت المشهور بالصلاح والرواية، تفقَّه عبد السلام هذا على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وسمع جده وأبا الحسن محمد بن إسحاق بن الصابي، وأبا الفتح، المعروف بابن البطي ومن بعدهم، وقرأ بنفسه وكتب بخطه، ودرس بعد وفاة أبيه بمدرسة جده بباب الأزج، وبالمدرسة الشاطية التي وقفها بنفشا بدار الشعير، ونظر في علم النجوم والهيئة، فاتُّهم بتبحير الكواكب، وأُحرقت له كتب في ذلك برحبة جامع القصر الشريف في صفر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، بمحضر من الفقهاء والعلماء والقضاة، وذلك قبل تدريسه، وتولى النظر بوقف المارستان العضدي والديوان المفرد، ثم وكالة الملك المعظم ولد سيدنا ومولانا الإمام المفترض للطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله، أمير المؤمنين، إلى أن تُوفي - أعني عبد السلام- وحجَّ مرارًا متوليًا كسوة البيت الشريف، ورسوم أهل الحرمين الشريفين، وما أعلم أنه حدَّث بشيءٍ، والله أعلم.

قرأت بخط شيخنا عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر: وُلد ابني عبد السلام في ليلة الثلاث من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

قلت: وتُوفي يوم الجمعة ثالث رجب من سنة إحدى عشرة وستمائة.

ولد ولده أبو سليمان داود.

قال الحافظ محمد بن رافع في تاريخه: داود بن سليمان بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح بن جنكادوست القرشي الهاشمي، أبو سليمان بن أبي داود بن أبي عبد الله بن أبي محمد، الجيلي الأصل، البغدادي المولد، سمع من جده عبد الوهاب، وحدَّث وسمع منه الحافظ الدمياطي ببغداد.

وقال: تُوفي عشية يوم السبت الثامن عشر من ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وستمائة ببغداد، ودُفن من يوم الأحد بمقبرة الحلبة عند أبيه وجده، قال: وذكر لي أنه قدم دمياط، قال: الشريف عز الدين: وهو من بيت الصلاح والزهد والحديث.

ومنهم: أبو زكريا يحيى[1].

قال الحافظ ابن النجار في تاريخه: يحيى ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، أبو زكريا الزاهد، كان أصغر أولاد أبيه، سلك طريق الزهد والعبادة ولبس

---

(١) انظر: قلائد الجواهر للتاذفي (ص ٣٥٧) بتحقيقنا.

الصوف، وأحب الخلوة والانقطاع عن الناس، وسافر إلى مصر وأقام بها مدة، ورُزق هناك ابنًا سمَّاه عبد القادر، وجاء به معه إلى بغداد وهو كبيرٌ، وسمع يحيى من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن البطي وغيره، وحدَّث باليسير، سمع منه أصحابنا، ورأيته مرارًا، ولم يتفق لي أن أكتب عنه شيئًا، وكان عبدًا صالحًا، لا يخرج من بيته إلا من جمعةٍ إلى جمعةٍ.

سمعت أبا بكر عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي يقول: مرض والدي مرضًا أشفى منه على الموت، فقعدنا حوله نبكي، وكان مغشيًا عليه، فأفاق من غشيته ثم قال: لا تبكوا عليَّ، فإني لا أموت، إن يحيى في ظهري، ولا بدَّ أن يخرج إلى الدنيا، فلم نعلم ما قال، وظنناه في غلبة مرضه، ثم إنه أفاق من مرضه ذلك، واجتمع بجاريةٍ له حبشية، وجاءت بولد ذكر فسمَّاه يحيى، وكان آخر أولاده، ثم مات الشيخ بعد ذلك بمدةٍ طويلةٍ.

وسمعت عبد الرزاق يقول: وُلد أخي يحيى في يوم الثلاثاء سادس ربيع الأول من سنة خمسين وخمسمائة.

تُوفي الشيخ عبد القادر في سحرة يوم الأحد النصف من شعبان من سنة ستمائة، ونُودي بالصلاة عليه، فحضر خلقٌ كثيرٌ وصلُّوا عليه في مدرسة والده بباب الأزج، ودُفن من يومه بتربةٍ لهم بالحلبة انتهى.

وقال الحافظ المنذري في وفياته: وقدم مصر وما علمته حدَّث بها.

ومنهم: أبو الفضل محمد.

قال المنذري في التكملة لوفيات النقلة: وفي الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ستمائة تُوفي الشيخ أبو الفضل محمد ابن الشيخ الفقيه أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح، الجيلي الأصل، البغدادي المولد ببغداد ودُفن من يومه بمقبرة الحلبة.

سمع من والده ومن أبي القاسم سعيد بن أحمد بن البنا، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى وغيرهم، وحدَّث انتهى.

قال الذهبي: عاش ثمانيا وخمسين سنة.

ومنهم: أبو القاسم، ويكني أيضًا: أبو بكر عبد العزيز[1].

قال الحافظ محيي الدين بن النجار في تاريخه: عبد العزيز ابن الشيخ عبد القادر بن

---

(١) انظر: القلائد للتاذفي (ص ٢٥٥).

أبي صالح، أبو القاسم بن أبي محمد الحنبلي، من أهل باب الأزج، أسمعه والده في صباه من أبي الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم الصائغ، وأبوي الفضل: محمد بن عمر الأرموي، محمد بن ناصر، وأبي القاسم سعيد بن أحمد بن الحسين بن البنا، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي، وغيرهم، وحدَّث باليسير، وخرج من بغداد وسكن في بعض قرى سنجار، وأولد هناك أولادًا وحدَّث، وتُوفي هناك.

سمعت أبا بكر عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي يقول: وُلد أخي عبد العزيز لثلاث بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة.

أنبأنا عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر، ونقلته من خطه، قال: تُوفي أخي عبد العزيز بقرية من سواد سخار، تُعرف بالجبال، في يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول من سنة اثنتين وستمائة.

أولاده:

قال الذهبي في تاريخه: **زهرة بنت عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر الجيلي.**

قال أبو محمد المنذري: تُوفيت في جمادى الآخر سنة ستة واثنين وثلاثين وستمائة، وروت بالإجازة عن أبي الحسين عبد الحق.

وأبو الكرم محمد: قال الحافظ الذهبي فيما ذيله على تاريخه بعد السبعمائة:

الشيخ الإمام الزاهد الكبير، بقية المشايخ، شمس الدين أبو الكرم محمد ابن الشيخ سرشيق بن محمد بن عبد العزيز ابن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، ثم السنجاري الجبالي الحنبلي، وُلد في رمضان سنة إحدى وخمسين وستمائة بقرية الجبال، وبها قبر آبائه، نزل بها الشيخ عبد العزيز من حدود سنة ثمانين وخمسمائة وإلى الآن، سمع من الفخر علي بن البخاري، وأحمد بن محمد بن الصيي، وبمكة من عبد الرحيم ابن الزجاج، وبالمدينة من العفيف بن مزروع، وحدَّث ببغداد وبدمشق، وحجَّ غير مرةٍ، سمع منه بنوه: الحسام عبد العزيز، والبدر حسن، والعز حسين، والظهير أحمد، وشمس الدين بن سعد، وآخرون، وكان ذا زهدٍ وصلاحٍ، واتِّباع وصورة كبيرة في تلك البلاد، ووجاهة، وكان مقصودًا بالزيارة لفضله ولبيته، ولهم مغل وافر، وفيه تواضع وخير، عمَّر دهرًا، وتُوفي في أول ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، ودُفن عند آبائه رحمه الله تعالى، وكان جدهم أبا بكر عبد العزيز قد غزا عسقلان، وزار القدس الشريف، واتفق سكناه بالجبال، وقارب الثمانين، وصار ابنه

محمد صالحًا عابدًا، عاش نحو ثمانين سنة أيضًا.

وأما الشيخ سرشيق فمات سنة اثنتين وخمسين وستمائة، وولده محمد يرضع، مات شابًّا عن أربع وعشرين سنة انتهى.

وقال في ذيل العبر: شيخ بلاد الجزيرة، الإمام القدوة شمس الدين محمد بن سرشيق، وكان عالمًا صالحًا، وقورًا وافر الجلالة، حج مرتين.

وقال الإمام العلاَّمة تاج الدين الفزاري في تاريخه: واجتمعت بالشيخ شمس الدين محمد، من أولاد الشيخ عبد القادر، المقيم بسنجار، ووصل إلى الشام بقصد الحج، فحج ورجع عازمًا على العود إلى وطنه، وهو شاب، حسن الشكل وحسن العبارة، عنده تواضع وظرف من علم الشريعة، وسمعت الجماعة يثنون عليه، وحدثني هو أن التتار يحترمون جماعتهم في البلاد، ويرعون جانبهم، ويقبلون شفاعتهم، قال: وكان اجتماعي به في سنة خمس وثمانين وستمائة لما رجع إلى دمشق من الحج انتهى.

نقلته من تاريخ الإمام العالم تقي الدين ابن قاضي شبهة، رحمه الله تعالى.

وقال الشيخ الإمام المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري في تاريخه: وفي يوم السبت الثاني عشر من شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة، ورد إلى دمشق الشيخ الصالح شمس الدين محمد ابن الشيخ حسام الدين سرشيق، ابن الشيخ السيد الصالح محمد، ابن الشيخ أبي بكر عبد العزيز، ابن الشيخ الإمام القدوة أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، ونزل بالزاوية السلاوية قاصدًا الحج.

مولده ليلة الجمعة نصف رمضان سنة إحدى وخمسين وستمائة بالحال، بلد من أعمال سنجار، وذكر أن قبر والده هناك وجده وجد والده، وأنه حجَّ مرة أخرى في سنة أربع وثمانين وستمائة، وذكر أن والده سرشيق ما تسمَّى بهذا الاسم إلا برواياته[1]، وفي القرية المذكورة شيخ متقدم مدفون بها اسمه هكذا، وذكر أنه أدرك من حياة والده أربعة أشهر، وهو مشهورٌ بتلك الديار، وله سماط ممدود ولأولاده، وأصحاب البلاد والرعايا يعظمونهم ويكرمونهم ويقصدون زيارتهم، ويلبس الناس الخرقة منهم، فلما قدم أكرم بحلب ودمشق وغيرهما من البلاد، وتلقاه الفقراء والمشايخ، وحضر عنده أعيان الناس، واجتمع بنائب السلطنة، ولبس خلقٌ كثيرٌ منهم الخرقة القادرية، وحضر جامع دمشق يوم

---

(١) انظر: الدرر الكامنة (٢/٤١)، (٣/٤٥٢)، والذرات (٦/١٢٤).

تكملة قراءة البخاري، بقراءة ابن البرزالي علي الحجار، وسمع منه الناس انتهى ملخصًا.

وقال الحافظ محمد بن رافع في تاريخه: سمع من الفخر علي بن أحمد بن البخاري، وبحلب من أحمد بن عبد القاهر بن النصيبي الشمائل للترمذي، وحدَّث هو والشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية، والشيخ علم الدين القاسم بن البرزالي بالأحاديث التي خرَّجها الحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد بسماعهم من الفخر، وذلك بدمشق المحروسة، وحدَّث ببغداد، سمع منه ابن البرقوقي وابن السيرجي انتهى.

وقال الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في تاريخه: الدرر الكامنة:

وكان أبو الكرم حفظ القرآن وتفقَّه، وسمع بدمشق من الفخر علي بن النجار وغيره، وحدَّث بدمشق وبغداد والجبال، وكان مشهورًا بالصلاح والعبادة والسماح، ولم يمس بكفه ذهبًا ولا فضةً في طول عمر، مع الجود المفرط والحشمة والإحسان للناس والتودُّد، وكان هو وأهل بيته معروفين بمناصحة الإسلام والمسلمين.

وقال ابن رافع: كان حسن الخَلق والخُلق، فاضلاً، زاهدًا، عابدًا، من أهل السُنة، له وقعٌ في القلوب وجلالة، وفيه إيثار وله وجاهة، وللناس فيه اعتقاد زائد انتهى.

وأبو علي الحسن: قال الحافظ محمد بن رافع في معجمه:

الحسن بن محمد بن سرشيق بن محمد بن أبي بكر عبد العزيز ابن الشيخ أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست.. فذكر نسبه إلى علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي.

سمع من والده، ودخل بغداد وقدم علينا دمشق قاصدًا الحج في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ونزل بزاوية المسلاوية بظاهر البلد وحج، فلما رجع نزل بالمكان المذكور، فاجتمعت به فيه، وكان مهيبًا وقورًا، حسن الخَلق والخُلق، كريم النفس، جميل الهيبة، أجاز لي ما يرويه من الحديث انتهى.

وقال الإمام الحجة ابن حجر في كتابه: «أنباء الغمر بأبناء العمر»:

كانت له حرمة ووجاهة بتلك البلاد، مات في سنة خمس وسبعين وسبعمائة عن سن عالية، وأبو الحسن علي، شيخنا الشيخ علاء الدين علي بن شمس الدين محمد بن محيي الدين عبد القادر بن نور الدين علي بن شمس الدين محمد الأكحل بن حسام

الدين سرشق ابن شمس الدين محمد بن أبي بكر عبد العزيز ابن شيخ الإسلام محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، كان رحمه الله تعالى حسن الخَلق والخُلق، ذو هيبةٍ ووقارٍ وسكينةٍ وحلمٍ، قلّ أن يوعده أحد موعدًا أو يسأل أحدًا حاجة فيخطئ فيأتي ويعتذر إليه إلا ويقول له: سامحه، سامحه الله وإيانا آمين.

وكان عين القادرية في زمانه بالديار المصرية، مولده تقريبًا على ما أخبرتني أمه الست الشريفة فاطمة بنت الشيخ حيدر في سنة أربع وثمانين أو خمس وثمانين وسبعمائة، والله سبحانه أعلم.

وكانت وفاته رحمه الله تعالى شهيدًا بالطاعون في نهار الخميس، والشمس في قائم الظهيرة يوم عاشر صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، وصلَّى عليه بباب القرافة من القاهرة المحروسة، ودُفن من يومه بالتربة المعروفة بسيدي عدي بن مسافر، ودُفن له في هذا المكان المذكور جملة من أولاده، ودُفن فيه أيضًا ابن عمه الشيخ شمس الدين محمد بن نور الدين علي بن عز الدين الحسين بن شمس الدين الأكحل بن سرشق، وولده الشيخ شرف الدين موسى، والشيخ بدر الدين، وكانت وفاة الشيخ محمد في رابع صفر سنة أربعين وثمانمائة، ووفاة ولديه في التي تليها شهيدان بالطاعون، مات الشيخ شرف الدين رحمه الله تعالى عن ذكرين، والشيخ بدر الدين رحمه الله تعالى عن بنتٍ، وهم موجودون إلى يوم تاريخه، أبقاهم الله في خيرٍ وعافيةٍ وسلامةٍ.. آمين.

وكان قد بقي لشيخنا علاء الدين المذكور في عقب هذا الطاعون ولد فأخذه وسافر إلى الحجاز في البحر، فطعن في الطريق قبل وصوله إلى القرية التي على جانب المسمَّاة بالطور، فتُوفي قبل دخولها ودُفن في جامعها، وهو يُزار وينذر له هناك، رحمه الله تعالى، وكان عمره دون العشرين، وأولد بعد ذلك أولادًا، تُوفي منهم، ومات رحمه الله تعالى عن ذكرين وبنتين، تُوفي الذكر الواحد بعد وفاته، والباقون موجودون إلى يوم تاريخه، أبقاهم الله تعالى في خيرٍ وعافيةٍ وسلامةٍ.

وتُوفي في هذا الطاعون- أعني سنة إحدى وأربعين- شيخنا الشيخ عبد القادر بدمشق المحروسة، ودُفن بمقابر الصوفية بها، وهو أخو شيخنا الشيخ علاء الدين لأبويه، وكان أصغر من الشيخ علاء الدين بسنتين تقريبًا، على ما أخبرتني الست فاطمة بنت الشيخ حيدر، والدتهما، ولم يخلف ولدًا ذكرًا ولا أنثى، رحمهم الله تعالى

أجمعين.. آمين.

وكان دخولهم البلاد الشامية والمصرية من بلدهم الجبال بعد عود السلطان الملك الأشرف برسباي، رحمه الله تعالى، من سفره إلى آمد، وكان دخول الأشرف القاهرة بعد عوده من آمد في يوم السبت تاسع عشر المحرم افتتاح سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، والله أعلم، لا إله غيره.

ومنهم: أبو بكر عبد الرزاق.

قال الحافظ ابن النجار في تاريخه:

عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح أبو بكر بن أبي محمد الجيلي، من أهل باب الأزج، أسمعه والده في صباه من أبي الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم الصايغ، والقاضي أبي الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، وأبي القاسم سعيد بن أحمد بن البنا، وأبي الفرج عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وأبي الفضل بن محمد بن ناصر، الحافظ، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن سعيد السجزي، وأبي بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني، وأبي المظفر محمد بن أحمد بن علي الهاشمي، وأبي القاسم صدقة بن محمد بن الحسين بن المحلبان، وأبي محمد دعوان بن علي الجبائي، وأبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الشمال، وأبي المعالي أحمد بن علي بن السمين، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن العباس الحربي، وأبي محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن المادح، وأبي المظفر هبة الله بن أحمد بن محمد بن الشبراوي العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي، وأبي الكريم والمقام بن الحسين بن أحمد بن الشهرزوري، وأبي البركات سعد الله بن محمد بن علي بن حمدي، وأبي عبد الله محمد بن عبيد الله بن سلامة الكرخي، وأبي الفتح محمد بن علي بن عبد السلام، وأبي القاسم أحمد بن المبارك بن عبد الباقي بن فرجل، وأبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان، وطلب بنفسه، وقرأ الكثير على أصحاب أبي الخطاب بن عبد الله بن طلحة، ومن دونهم يحيى، سمع من مشايخنا ومن أمثالهم، وكتب بخطه كثيرًا لنفسه وللناس، وكان حافظًا متقنًا ثقةً صدوقًا، حسن المعرفة بالحديث، فقيهًا على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ورعًا حزينًا، كثير العبادة، منقطعًا عن الناس، لا يخرج إلا في الجماعات، محبًّا للرواية، مكرمًا لطلاب العلم، سخيًّا بالفائدة، ذا

مروءةٍ مع قلة ذات يسرة وأخلاق حسنة، وتواضع وكيس، وكان خشن العيش، صابرًا، عزيز النفس، عفيفًا على منهاج السَّلَفِ انتهى.

قال الحافظ أبو شامة في كتابه المذيل على الروضتين: كان زاهدًا عابدًا وَرِعًا، لم يكن في أولاد الشيخ مثله انتهى.

وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام: أبو بكر عبد الرزاق الحنبلي، ثم البغدادي الحنبلي، المحدث الحافظ، الثقة الزاهد، سمع الكثير، وعنى بالطلب والأجزاء والسماعات..

ثم ذكر بعضًا من شيوخه وقال: ويُقال له: الحلبي، نسبة إلى الحلبة، والحلبة بشرق بغداد.

وقال: قال الحافظ محمد بن عبد الواحد: لم أرَ في تيقظه وتحريه مثله.

وقال أبو شامة في تاريخه: كان زاهدًا عابدًا ثقة متقنعًا باليسير.

قلت: روى عنه الدبيثي، وابن النجار، والنجيب عبد اللطيف، والتقي البلداني، وطائفة، وأجاز الشيخ تقي الدين عبد الرحمن، والكمال عبد الرحيم، وأحمد بن شيبان، وخديج بن الشهاب بن راجح، وإسماعيل العسقلاني، والفخر علي انتهى.

وقال الحافظ ابن رجب في طبقاته: وكانت له معرفة بالمذهب، ولكن معرفته بالحديث غطَّت على معرفته بالفقه.

قال ابن نقطة: كان حافظًا ثقةً مأمونًا، وأثنى عليه الدبيثي وغيره انتهى.

قال ابن النجار: سألته عن مولده فقال: يوم الإثنين ثامن عشر ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وتُوفي ليلة السبت أول حلول من شوال سنة ثلاث وستمائة، ونُودي بالصلاة عليه من الغد في محال بغداد، فاجتمع لَهُ خلقٌ كثيرٌ، وأُخرجت جنازته إلى المصلى بظاهر البلد فصُلي عليه هناك، وحُمل على رؤوس الناس إلى جامع الرصافة فصُلي عليه بها، ثم صُلي عليه بباب تُرب الخلفاء، ثم على شاطئ دجلة عند الحصريين، ثم عبر به إلى الجانب الغربي فصُلي عليه بباب الحريم، ثم أُدخل الحربية فصُلي عليه بها، ثم حُمل إلى مقبرة أحمد فصُلي عليه هناك، ودُفن، وكان يومًا مشهودًا[1].

---

(١) انظر: القلائد (ص ٢٤٦)، والدرر الكامنة (ص ١٨١/٣)، ومرآة الجنان (٣/٥٠٠).

أولاده[1]:

أبو محمد إسماعيل.

قال المنذري في الوفيات: وفي ليلة الثالث عشر من المحرم سنة ستمائة تُوفي أبو محمد إسماعيل بن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق ابن الشيخ الفقيه أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح، الجيلي الأصل، البغدادي المولد والدار والوفاة، ودُفن بمقبرة الإمام أحمد ﷺ، وهو من بيت فقه وحديث، وأبو القاسم عبد الرحيم.

قال ابن النجار في تاريخه: عبد الرحمن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الحنبلي، أبو القاسم ابن شيخنا أبي بكر، من أهل باب الأزج، أسمعه والده الكثير في صباه من أبي المكارم المبارك بن محمد بن المعمر الباذاري، وأبي الحسين عبد الحق بن أحمد بن أحمد بن يوسف، وشهدة بنت أبي نصر أحمد بن عمر الأبزي، وجماعة غيرهم، وحدَّث باليسير، كتبت عنه، وكان يتصوف ويصحب الفقراء وأرباب القلوب، وله فهم ومعرفة وأخلاق حسنة.

سألت عبد الرحيم بن عبد الرزاق عن مولده فقال: يوم الأربعاء رابع عشر ذي القعدة سنة ستين وخمسمائة، وتُوفي يوم الخميس لسبع خلون من شهر ربيع الأول من سنة ست وستمائة، وصُلي عليه بعد صلاة الظهر بمدرسة جده، وحُمل على رؤوس الناس إلى باب حرب فدُفن عند والده.

ابنه: **أبو عبد الله أحمد**: قال الحافظ الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي:

أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الرزاق أبو عبد الله، سمع من أبي ظاهر خليل بن أحمد بن علي الجوسقي في سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال المنذري: وفي السابع عشر من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وستمائة تُوفيت سعادة أبيه الحافظ أبي بكر عبد الرزاق ابن الفقيه أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلية الأصل، البغدادية المولد والدار ببغداد، وصلَّى عليها أخوها قاضي القضاة أبو صالح نصر، سمعت من أبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وأبي علي الحسن بن علي بن الحسن الخباز، المعروف بابن شيرويه وغيرهما، وحدَّثت.

وأم محمد عائشة: قال الذهبي: عائشة بنت الإمام الحافظ عبد الرزاق ابن الشيخ

(١) انظر: القلائد (ص ٢٠٢).

عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، أم محمد، روت عن أبي الحسن عبد الحق، وماتت في ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وستمائة.

وأبو صالح نصر: قال الحافظ ابن النجار في تاريخه: نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، أبو صالح، من أهل باب الأزج، تفقَّه في صباه، ثم صحب محمد بن علي التوقاني الفقيه الشافعي، وقرأ عليه الخلاف والأصول حتى برع في ذلك، ثم تولى التدريس بمدرسة جده بباب الأزج، وبالمدرسة الشاطبة، عند باب المراتب، وبُنيت له دكة بجامع القصر للمناظرة، وعقد مجلس الوعظ في مدرسته، وكان له قبول عظيم، ويحضر عنده خلقٌ كثيرٌ، وكان قد شهد عند قاضي القضاة أبي القاسم بن الدامغاني في سنة ثلاث وستمائة فقبل شهادته، وولي التدريس في سنة أربع وستمائة، وألبس طرحة على عمامته، وأذن له في الدخول على الأمير الكبير أبي نصر محمد ابن الإمام الناصر لدين الله في كل جمعةٍ؛ لسماع مسند أبي عبد الله أحمد بن حنبل منه بإجازته من أبيه، فحصل له به أنس، فلما بُويع له بالخلافة ولُقِّب بالإمام الظاهر بأمر الله قلده قضاء القضاة في يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة من سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وخلع عليه السواد، وقُرئ عهده في جوامع مدينة السلام الثلاثة، فسار السيرة الحسنة، وسلك الطريقة المستقيمة، وأقام ناموس الشرع، ولم يحارب أحدًا في دين الله، وكان يملي الحديث في مجلس حكمه ويكتب الناس عنه، وإذا ركب لم يمكن أحدًا من الصياح بين يديه، وكان يخرج يوم الجمعة إلى الجامع ماشيًا، وفي مجلس إثباته للأحكام يأذن للشهود في الكتابة في مجلسه من دواته، ولم تغيره الولاية عن أخلاقه وتواضعه وسيرته التي عُرفت منه قبل الولاية، فأقام على قضاء القضاة مدة حياة الإمام الظاهر، فلما أفضت الخلافة إلى ولده الإمام المستنصر بالله أيَّده الله، أقره على قضاء القضاة أربعة أشهر وأيامًا، ثم عزله في الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين.

وكان قد أسمعه والده الكثير في صباه من أبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف، وأبي شاكر يحيى بن يوسف السقلاطوني، وشهدة بنت أحمد الأبري، ومن جماعة من هذه الطبقة، وحدَّث بالكثير، وكتب عنه، وكان ثقةً نبيلاً، متحريًا في الرواية، محققًا لما يرويه، ذا معرفةٍ بالحديث حسنة، وله في المذهب اليد الطولى، وكان مليح

الكلام في مسائل الخلاف، حلو العبارة، حسن الإيراد، وكان متواضعًا، لطيف الطبع، ظريف المعاشرة، مزاحًا كيسًا، وكان مقدامًا رجلاً من الرجال، لا يهاب امرءًا.

سمعته يقول: كنت في دار الوزير القمي أكتب خطي على الإجازات الناصرية بالمعارضة كما تقدم إلى بعد وفاة ابن الأخضر، فبينا أنا يومًا في الدار وهناك محمد بن منجب الرزاز المحدث، وابن زهير العدل، وابن المروذي بسبب شيخ الشيوخ إذ دخل رجلٌ عليه ثياب حسنة وله هيئة، فلما سلم وثب الجماعة وخدموه فوافقتهم، وظننت أنه بعض الفقهاء، فسألت عنه فقالوا: هذا ابن كرم اليهودي، عامل دار الضرب، وكانت له منزلة وحرمة، وكان قد مضى وقعد في صفة مقابلنا، فقلت له: قم إلى هنا، فجاء ووقف بين يدي، فقلت له: ويلك، حين دخلت توهمت أنك فقيهٌ من فقهاء الإسلام، فقمتُ لك إكرامًا لذلك، ولست – ويلك - عندي بهذه الصفة، ثم كرَّرت ذلك عليه مرارًا، وهو قائمٌ يقول: الله يحفظك، الله يبقيك، ثم قلت له بعد ذلك: اخسأ هناك بعيدًا عنا، فذهب.

وحدَّثني أيضًا غير مرةٍ أنه كان له رسمٌ في رجب من الصدقة الناصرية يأخذه من البدرية، فاتفق في بعض السنين في يوم الأربعاء، وكنت قد مضيت إلى زيارة قبر الإمام أحمد، فلما عدت من الزيارة وجدت الناس أخذوا رسومهم وانفصلوا، وقيل لي: إن رسمك قد دفع إلى الحكيم ابن توما النصراني، فامضِ إليه وخذه منه، فقلت: والله لا أمضي إليه، ولا أطلب رزقي من كافرٍ، وعدت إلى بيتي متكلاً على الله سبحانه.

وأنشدني لنفسه أبياتًا عملها في ذلك:

نفس مَا عَنْ دِيْنِنَا مِن بدلِ ... فَدَعْ الدُّنْيَا وخلي جذلي

مَا يسَاوِي أننا نمضِي إِلَى مُشْرِكٍ ... إِذْ ذَاكَ عين الزللِ

إِنْ يَكُنْ دَيْن عَلَيْنَا فَلَنَا ... خَالِقٌ يَقْضِيه، هَذَا أَمَلِي

قال: ولم يزل ذلك الذهب عند النصراني لا أتعرض لطلبه ولا ينفذه، إلى أن قُتل النصراني، لعنه الله، في جمادى الأول من السنة الأخرى، وأُخذ الذهب من داره فنفذ إلَيَّ.

سألت أبا صالح عن مولده فقال: في سحرة السبت رابع عشر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة انتهى.

وقال عمر بن الحاجب الحافظ في معجمه:

وكان محمود الولاية في قضاءٍ، قصير اليد عن أموال الناس، مشفقًا عليهم، متواضعًا، متوددًا إلى الناس، نزهًا، عفيفًا، من بيت العلم والحفظ والصلاح والدين والزُّهد، وكان محبًّا للفقراء وأهل الدين، وكان يعظ في بعض الأوقات، وكان له كلامٌ حسنٌ في الحقيقة والطريقة، صحب الصالحين وتزهَّد في بدايته وانتفع بصحبتهم، وعادت بركتهم عليه، تفقَّه على والده وغيره بمذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وتكلَّم في مسائل الخلاف وأجاد، ودرَّس في مدرسة جده بباب الأزج، والمدرسة الشاطبة بباب الشعير، وجمع له أربعين حديثًا، سمع والده وذكر جماعة منهم:

أبا بكر أحمد بن علي بن الحسين الناعم، وبشير بن عبد الله، وأم الحسن فاطمة بنت علي بن عبد الله بن الحسين الوقياتي، وأبا الفضل، وابن أسعد بن البهيّ التركي انتهى.

وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام: وأجاز له وهو ابن شهر أبو الفتح بن البطي، وأحمد محمد بن الخشاب، والمبارك بن محمد الباذراي، وسمع من أبيه، وعلي بن عساكر البطالحي، وخديجة بنت أحمد النهرواني، ومسلم بن ثابت النحاس، وأحمد بن المرقعاتي، وسعيد بن صافي الجمالي، وعيسى الدوشابي، ومحمد بن بدر الشيحي، وفاطمة بنت أبي غالب محمد بن الحسن الماوردي، وجماعة، وتفقَّه على والده، وأبي الفتح بن المني، ودرس وأفتى وناظر وبرع في المذهب، روى عنه الدبيثي، وابن النجار، والشرف النابلسي، والشمس محمد بن هامل، والعز الفاروقي، والتاج العراقي، والجمال محمد بن الدباب، والجمال محمد البكري، والعلاء بن بلبان الناصري، والشهاب الأبرقوهي، وآخرون.

وجمع لنفسه أربعين حديثًا سمعناها من الأبرقوهي، ودرَّس بمدرسة جده، وبالمدرسة الشاطبة، وتكلم في الوعظ، وألَّف في التصوف، ووُلي القضاء للظاهر بأمر الله وأوائل دولة المستنصر بالله، ثم صرف، وأجاز لإبراهيم بن حاتم البعلبكي، وإسماعيل بن عساكر، وفاطمة بنت سليمان، والبدر حسن بن الجلال، والقاضي الحنبلي، وعيسى المطعم، وأحمد بن الشجنة، وسعد بن محمد بن سعد، وأبي بكر بن

عبد الدائم، وأبي نصر بن تميل، وغيرهم.

سُئل الضياء عنه فقال: فقيهٌ خيِّرٌ، كريم النفس.

انتهى ما أردته من كلام الذهبي.

وقال الحافظ زين الدين بن رجب في طبقاته:

الفقيه المناظر المحدث الزاهد الواعظ، قاضي القضاة، شيخ الوقت، عماد الدين أبو صالح، قرأ القرآن في صباه، وسمع الحديث من والده، وعمه عبد الوهاب، والأسعد بن بلدرك، وعبد المحسن بن تريك.. وذكر جماعة ممن ذكر ثم قال:

وأجاز له أبو العلاء الهمداني، والسلفي، وأبو موسى المديني، وغيرهم، واشتغل بالفقه على والده.. إلى أن قال:

وكان ذا لَسَنٍ وفصاحةٍ وجودة عبارة، وأفتى وتولَّى مدرسة جده فكان يدرِّس ويعظ بها، وعقد مجالس الإملاء للحديث، وكان يملي من حفظه والناس يكتبون، وأملى في مجلس حكمه، وكان عظيم القدر، بعيد الصيت، معظمًا عند الخاصة والعامة، ملازمًا لطريق النسك والعبادة مع حسن سمت وكيس وتواضع وبشر وطيب ملتقى، وكان محبًّا للعلم، مكرمًا لأهله، ولم يزل على طريقةٍ حسنةٍ وسيرةٍ مرضيةٍ، وكان أثريًّا سنيًّا، متمسكًا بالحديث عارفًا به.. إلى أن قال:

وتُوفي الخليفة الناصر وولى ابنه الظاهر، وكان من خيار الخلفاء وأحسنهم سيرة، وأظهرهم ديانةً وصلاحًا وعدلاً، أزال المكوس ورد المظالم، واجتهد في تنفيذ الأحكام الشرعية على وجهها، حتى قال ابن الأثير: لو قيل: ما ولي بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقًا.

وكان رحمه الله تعالى يختار لكل ولايةٍ أصلح من يجده لها، فقلد أبا صالح هذا قضاء القضاة بجميع مملكته، ويُقال: إنه لم يقبل إلا بشرط يورث ذوي الأرحام، فقال له: أعطِ لكل ذي حقٍّ حقه واتقِ الله ولا تتقي أحدًا سواه، وأمره أن يوصل إلى كل من ثبت له حق بطريقٍ شرعيٍّ حقه من غير مراجعةٍ، وأرسل إليه بعشرة آلاف دينار يوفي بها ديون من في سجنه من المتدينين الذين لا يجدون وفاءً، ثم رد إليه النظر في جميع الوقوف العامة ووقوف المدارس الشافعية والحنفية، وجامعي السلطان وابن المطلب، فكان يولي ويعزل في جميع المدارس حتى النظامية، ولما تُوفي الظاهر أقره ابنه

المستنصر مديدة، واستدعاه عند المبايعة ليثبت له وكالة وكَّلها لشخصٍ فلم يحكم فيها حتى قال له: وليتني ما ولاني والدك، فصرَّح بالتولية.

وكان رحمه الله تعالى في أيام ولايته يؤذن ببابه في مجلس الحكم، ويصلي جماعة، ويخرج إلى الجامع راجلاً، ويلبس القطن، وكان متحريًا في القضاء، قوي النفس في الحق، وسار سيرة السلف، ولما عزله المستنصر أنشد عند عزله:

حَمَدت اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا ... قَضَا لِي بِالخَلاَصِ مِن القَضَاءِ
وَلِلمستَنصر المنصُور أَشْكُر ... وَأَدْعُو فوق معتاد الدُّعَاءِ

ولا أعلم أحدًا من أصحابنا دُعي بقاضي القضاة قبله، ولا استقل منهم بولاية قضاء في مصر غيره، وأقام بعد عزله بمدرستهم يدرِّس ويفتي ويحضر المجالس الكبار والمحافل، ثم فوَّض إليه المستنصر رباطًا بناه بدير الروم وجعله شيخًا به، وكان يعظمه ويبجله، ويبعث إليه أموالاً جزيلةً ليفرقها، وقد صنَّف في الفقه كتابًا سمَّاه إرشاد المبتدين، تفقَّه عليه جماعة وانتفعوا به.

وفيه يقول الصرصري في قصيدته اللامية التي مدح فيها الإمام أحمد وأصحابه:

وَفِي عَصْرِنَا قَدْ كَانَ فِي الفقه قدوة ... أَبُو صالح نصر لكل مؤملٍ

وسمع منه الحديث خلقٌ كثيرٌ، وروى عنه جماعة، منهم: عبد الصمد بن أبي الجيش، والنجيب الحراني، والكمال البزاز.

قرأت على أبي المعالي محمد بن عبد الرزاق الشيباني ببغداد: أخبركم أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف البزاز قراءة عليه، وأنت تسمع، قال: أنشدنا القاضي أبو صالح في عقب مجلس أملاه علينا لنفسه:

اعبُدْ اللهَ رَاجِيًا رَحمة مِنْهُ ... وَلاَ تخشَ غَير رَب السَّمَاءِ
مَا أَتَاكَ الرَّسُول خُذْهُ وَدَعْ ... مَا قَدْ نهَى عَنْهُ تحظَ بِالعَليَاءِ
وَاتَّقِ اللهَ مُخْلِصًا دَائِمًا ... تَصْبَح فِي الأغنياءِ والعلماءِ

انتهى كلام ابن رجب ملخصًا(١).

وممن سمع منه أحمد بن محمد بن علي بن أبي بكر بن عرفة بن المحفدار أبو

---

(١) انظر: القلائد (ص ٢٥٠).

العباس الهاشمي البغدادي، المنعوت بالنجم، المعروف بابن الكندران، وإسماعيل بن علي بن أحمد ابن إسماعيل، أبو البركات، المنعوت بالعماد، المعروف بابن الطالب، وعبد الله بن محمود ابن مودود بن محمود بن بلدجي الموصلي، أبو الفضل الحنفي، الملقب مجد الدين، وعبد الجبار بن عبد الخالق بن محمد بن أبي نصر بن عبد الباقي بن عكبر البغدادي، أبو محمد، وأبو نصر الحنبلي الملقب جلال الدين، وعبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس بن راضي العلثي البغدادي، وأبو محمد الحنبلي، المنعوت بالعفيف، المحدث المعروف بابن الزجاج، وعبد الغني بن عبد المؤمن بن أبي بكر القطيعي، أبو محمد الحنبلي، المنعوت بالأمين المعروف بابن الخافي، وعبد القادر بن خلف بن سلاش، أبو محمد المقري البغدادي، وعبد المحمود بن إلياس بن عبد الله، أبو محمد المقري البغدادي، عتيق الأسعد بن زياد الباذعني، ويُقال فيه: محمود البزاز، ومحمد بن هبة الله بن سالم الأزجي، أبو عبد الله المقري، سمع منه فضائل القرآن، لابن الضريس بسماعه من أحمد بن علي بن الناعم، ومحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان البكري الوائلي، أبو بكر بن أبي العباس الشريشي المالكي، الملقب جمال الدين، سمع عليه كتاب الصمت لابن أبي الدنيا، والنصف الأول من تاريخ البخاري، ومحمد بن يحيى بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني، أبو عبد الله، الملقب شمس الدين البغدادي الحنبلي، وأحمد بن عبد الواحد بن أحمد البصري، أبو العباس الحنبلي المنعوت بالمحب، وعبد الرحمن بن أحمد بن أبي الفرج القطيعي، وأبو الفرج، وأبو القاسم الحنبلي البغدادي الدقاق المنعوت بالنجم، وبالتاج المعروف بابن القصار، ومحمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقة الأنصاري الشاطبي، قرأ عليه صحيح مسلم، والرابع من أمالي المحاملي، وسنن أبي داود انتهى.

التقطت هذه الأسماء من ابن رافع، وقد ألبس الخرقة.

قال الحافظ محمد بن رافع في تاريخه: أحمد بن علي بن عبد الكريم بن علي بن أبي القاسم الموصلي، أبو العباس القادري المعروف بالأثري، ذكره شيخنا أبو عبد الله الدباهي في تاريخه فقال: الشيخ الزاهد المعمر، شيخ كان بدرب المقلى، فيه خير وصلاح، لبس الخرقة من شيوخ بغداد، فلبسها من القاضي أبي صالح نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، وألبسها عنه البرذالي، مولده في سنة أربع

وتسعين وخمسمائة، وتُوفي في السادس والعشرين من شعبان سنة خمس وتسعين وستمائة.

قال ابن النجار: تُوفي أبو صالح نصر سحرة يوم الأحد السادس عشر من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وحضرت الصلاة عليه من الغد بجامع القصر، وكان الجميع متوافرًا جدًّا، وحُمل إلى باب الحرب فدُفن إلى جانب قبر الإمام أحمد بن حنبل في الدكة، وقيل: بل دُفن معه في قبره، تُوفي في ذلك الرعاع والعوام فقبض على من فعل ذلك وعُوقب وحُبس، ونبش ليلاً ونُقل من موضعه بعد أيامٍ وعفا موضع قبره، ولم يُعلم أين دُفن.

وأبو المحاسن فضل الله: قال ابن النجار في تاريخه: فضل الله بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، أبو المحاسن، ابن شيخنا أبي بكر، من أهل باب الأزج، أسمعه والده في صباه من أبي الفتح عبيد الله بن شاتيل، وجماعة غيره، وخرج له جزءًا انتقاه من مسموعاته، قرأته عليه، وسألته عن مولده فقال: في يوم الخميس التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة أربع وسبعين وخمسمائة.

وقال الحافظ الدمياطي في معجمه: أبو المحاسن ابن أبي بكر ابن أبي محمد ابن أبي صالح ابن أبي عبد الله الجيلي، المجيد، البغدادي المولد والدار والوفاة، المنعوت بالموفق، سمع من عبد الله بن شايل، ونصر الله القزاز، وابن بوش، وابن كليب، وهبة الله بن رمضان، وعبد الله بن حمديه، ويوسف العاقولي، وغيرهم، وأجاز له عبد الحق بن يوسف، ومحمد بن جعفر بن عقيل، وأبو موسى الأصبهاني، وغيرهم.

قرأت عليه عدة أجزاء عن ابن شاتيل، وجزء ابن عرفة بسماعه من القزاز، وابن كليب عن ابن نبهان، وفارقته حيًّا ببغداد سنة خمسين وستمائة انتهى.

وسمع منه أيوب بن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق بن سالم الأسدي الحلبي، أبو صابر، وأبو الصابر الحنفي، الملقَّب بهاء الدين، المعروف بابن النحاس، وعبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عزاز المضري - بالضاد المعجمة - البصري، أبو محمد المحدث، عفيف الدين الحنبلي، نزيل مدينة رسول الله ﷺ، سمع منه أحاديث أبي الأحوص محمد بن الهيثم، وعلي بن بليان بن عبد الله الناصري، أبو القاسم الكركي، ثم المقدسي، الملقب علاء الدين، الحنفي المحدث، المعروف

بالمشرف - بضم الميم وسكون الشين المعجمة - ومحمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن الميمون بن راشد القيسي، التوزري الأصل، المصري المولد والمنشأ، أبو بكر الشافعي، الملقب قطب الدين، المعروف بابن القسطلاني، ومحمد بن حسين بن عبدك الكنجي، أبو عبد الله، الصوفي المحدث شمس الدين انتهى.

التقطته من الرافع.

وأجاز لمحمد بن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي، شمس الدين بن الفخر البخاري، من الدرة لابن حجر، ولعبد الله بن الحسن بن أبي موسى بن عبد الله ابن الحافظ الكبير تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي الحنبلي، الفقيه المحدث، القاضي شرف الدين أبو محمد، من الأعلام للإمام تقي الدين ابن قاضي شهبة أولاد أبي صالح نصر أبو نصر محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح، الجيلي الأصل، البغدادي المولد.

الإمام محيي الدين: قال الحافظ ابن رجب في طبقاته: سمع من والده، ومن الحسن بن علي بن المرتضى العلوي، وأبي إسحاق يوسف بن أبي حامد محمد بن أبي الفضل الأرموي، وعبد العظيم بن عبد اللطيف بن أبي نصر الأصبهاني، وابن المشتري، وغيرهم، وطلب بنفسه وقرأ وتفقَّه، وكان عالمًا ورعًا زاهدًا، يدرس بمدرسة جده، ويلازم الاشتغال بالعلم، إلى أن تُوفي، ولما وُلي أبوه قضاء القضاة ولاه القضاء والحكم بدار الخلافة، فجلس في مجلس الحكم مجلسًا واحدًا وحكم ثم عزل نفسه، ونهض إلى مدرستهم بباب الأزج، ولم يعد إلى ذلك تنزهًا عن القضاء وتورعًا، وحدَّث، سمع منه الحافظ الدمياطي، وذكره في معجمه، وذكر ابن الدواليبي أنه سمع عليه.

تُوفي ليلة الإثنين ثاني عشر شوال سنة ست وخمسين وستمائة ببغداد، ودُفن إلى جنب جده الشيخ عبد القادر بمدرسته، وكانت وفاته بعد انقضاء الوقعة.

وأبو موسى يحيى: قال الحافظ الدمياطي في معجمه: يحيى بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح، أبي موسى ابن أبي صالح ابن أبي بكر ابن أبي محمد الجيلي، المحتد البغدادي المولد والدار، الحنبلي الفقيه الواعظ، وروى عنه عن

أحمد بن صرفا، ولم يذكر وفاته.

وأمة الإله زينب بنت أبي صالح نصر ابن أبي بكر عبد الرزاق ابن أبي محمد عبد القادر ابن أبي صالح الجيلي، سمعت على زيد بن يحيى بن هبة الله، أجازت شيخ القراء بحرم الخليل برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري، وأبو السعود أحمد.

قال الحافظ محمد بن رافع في تاريخه: أحمد بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، المحتد البغدادي الجد والوالد والمولد.

أبو السعود بن أبي نصر بن أبي صالح، المنعوت بالظهير بن المحيي، قال الشريف عز الدين الحسيني في عبر وفياته: سمع أباه وأبا العباس أحمد بن عمر بن معالي الحصري التاجي المقري، وكان إمامًا فاضلاً واعظًا انتهى.

وقال غيره: كان فصيحًا صبيحًا يعظ بالمدرسة التي لجده، ويخطب بها في أيام الجد.

وقال ابن الفوطي: وحصل لي به اجتماع لما ورد من مراغة، وكتب لي أوراقًا من شعره، سألته عن مولده فقال: [.....[1]]، وفقد في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وستمائة.

وقال الشريف عز الدين: وظهر مقتولاً في بئرٍ انتهى.

وأبو زكريا يحيى: قال الإمام العالم العلاَّمة الحجة أبو الصدق تقي الدين ابن قاضي شهبة، رحمه الله تعالى في تاريخه: الإعلام بتاريخ الإسلام:

يحيى سيف الدين، أبو زكريا بن أحمد بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، الشيخ الصالح العابد، كان صالحًا عابدًا وجيهًا، استوطن حماة، وكانت وفاته بها سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، ومن نظم جده:

بَـدَا فحسبنَا الليل أَطَلع فجـره ... ومَـا ذَاكَ إِلاَّ نـوره حِـين أَسْـفَرَا

ودَاخِلنا مِـن ذَلِـك الحسن هيبة ... وغيبـنا عـنَّا فَمَـا نَـدْرِي مَـا جَـرَى

وقال الإمام العلاّمة زين الدين الوردي في تاريخه: وكان شهمًا سخيًّا رحمه الله تعالى.

---

(١) بياضٌ بالأصل.

وقال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر عبد الله بن محمد، الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى: حدَّث عن أبيه أبي السعود أحمد انتهى.

وأبو عبد الله محمد: قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي: أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، كان شيخًا عالما، سمع منه جماعة ببيت المقدس، روى عن أبيه أبي زكريا يحيى الزاهد.

وأبو محمد عبد القادر[1]: قال العلاّمة أبو الصدق ابن قاضي شهبة رحمه الله تعالى في تاريخه الذي ذيل به على سنة أربعين وسبعمائة:

الأصيل محيي الدين أبو محمد، عبد القادر بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي الأصل الحموي، توجَّه للحج في هذه السنة- يعني سنة سبع وثمانين وسبعمائة- تُوفي بها عن نيف وعشرين سنة في السنة المذكورة.

وقال الحافظ ابن ناصر الدين سمع من الحافظ أبي بكر محمد بن المحب المقدسي جزءًا من لفظه في المحرم من سنة أربع وثمانين وسبعمائة.

وقال الإمام المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في كتابه: «درر العقول الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة»، تُوفي بعد عوده من الحجاز عن نيف وعشرين سنة في سنة سبع وثمانين وسبعمائة، وكان من أهل الدين والعبادة، متقللاً من الدنيا، متخليًا عن طلبها، على أجمل طريقة.

وعلاء الدين علي: قال العالم العلاَّمة أبو الصدق ابن قاضي شهبة في ذيله:

الشيخ علاء الدين علي بن شمس الدين محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، تُوفي في يوم الثلاثاء رابع العشرين شهر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة بالقاهرة.

وأبو سعد عبد الله: قال ابن رافع في تاريخه: عبد الله بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي البغدادي، أبو السعد بن أبي نصر الحنبلي الفقيه الصوفي، جمال الدين بن الإمام يحيى الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين أبي صالح ابن الحافظ تاج الدين، أبي بكر ابن شيخ الإسلام محيي الدين ابن قاضي القضاة أبي محمد، سمع من ظافر بن إبراهيم بن راشد التكريتي، وعبد الله بن محمود بن بلدجي،

---

(١) انظر: القلائد (ص ٢٥١).

وعلي بن الأنجب بن عثمان بن الساعي، ومحمد بن علي بن السائح، ومحمد بن علي بن الدباب، ويحيى بن أبي نصر بن طالب الوزان، ويحيى بن محمد بن علي بن الأجل البغدادي، وعبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش، ومحمد بن يعقوب بن أبي الفرج بن عمر بن الخطاب بن أبي المديني، ويُقال: ابن أبي المدينة، وأجاز له يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصري، وأبي الفضائل الحسن بن محمد الصاغاني، وعم والده، فضل الله بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر، وخرج له الحافظ أبو محمد القاسم بن البرزالي جزءًا من حديثه، وقرأه عليه، وسمع منه ابن المهندس، وعلي بن محمد المثنى، وذكره البرزالي في معجمه فقال: شيخ حسن، من أولاد المشايخ، له سلفٌ صالحٌ، وهو كبير بيته في وقته، قدم علينا حاجًّا في سنة ست وسبعمائة، وإنه سمع على جماعة من الشيوخ قبل الواقعة حضورًا، وطلب الحديث بعد سنة ستين وستمائة، وسمع كثيرًا وله إثبات وإجازات، ثم وجدنا سماعه بعد موته للأجزاء الثلاثة من حديث أبي الأخوص على عم والده فضل الله بسماعه من ابن شاتيل، وحدَّث وحجَّ على طريق دمشق سنة ست وسبعمائة، وأكرموا مورده واحترمه السلاوية.

مولده سنة خمسين، أو إحدى وخمسين وستمائة ببغداد.

أنشدنا الحافظ الذهبي بدمشق سنة ثلاثين وسبعمائة، قال: أنشدنا أبو سعد بن أبي نصر قال: أنشدنا أبي أن أباه أبا صالح أنشده لنفسه:

أَنَا فِي القَبْرِ منفردٌ ورَهِينٌ ... غارم مفلس عليَّ ديونُ

قَدْ أنخت الركاب بباب كريم ... عتق مثلي على الكريمِ يهونُ

تُوفي ليلة السبت السابع عشر من ذي الحجة سنة سبع وسبعمائة ببغداد، ودُفن من الغد بالرباط الذي كان يسكنه بالحلبة.

وأبو بكر عبد الرزاق: قال الحافظ محمد بن رافع في تاريخه:

عبد الرزاق بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي البغدادي، أبو بكر ابن أبي نصر ابن أبي صالح ابن أبي بكر ابن أبي محمد، وهذا شيخ رباط عمه سيف الدين بغداد.

سمع من عم والده عن ابن شليل، وأجاز لشيخنا أبي محمد القاسم بن البرزالي، وقال: ذكر لي ابن أخيه ركن الدين عبد السلام أنه تُوفي في أوائل سنة تسع وعشرين

وسبعمائة.

وأبو محمد عبد السلام: قال ابن رافع في تاريخه:

عبد السلام بن عبد القادر بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي البغدادي، أبو محمد ابن أبي محمد ابن أبي نصر ابن أبي صالح ابن أبي بكر ابن أبي محمد الصوفي، الملقب ركن الدين، ابن قطب الدين ابن محيي الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين ابن الحافظ تاج الدين ابن شيخ الإسلام محيي الدين الحنبلي، سمع من عمه جمال الدين عبد الله.

قال البرزالي: كان رجلاً مباركًا، حسن الهيئة، كثير المكارم، من بيت المشيخة والجلال، وله همة ومخالطة للأمراء، تردَّد إلى الديار المصرية، اجتمعت به في المدينة الشريفة النبوية، وسمع بقراءتي، وقبل ذلك سمع على عمه، وكان له مرتبات وافرة، وإطلاقات من الأبواب السلطانية.

تُوفي بكرة الاثنين وقت الصبح السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاثين وسبعمائة بسفح قاسيون، وصلَّى عليه ظهر الإثنين بالجامع المظفري، ودُفن بتربة الشيخ إبراهيم الأرموي بقاسيون.

ومنهم: أبو نصر موسى.

قال الحافظ المنذري في كتابه: التكملة وفيات النقلة:

وفي ليلة مستهل جمادى الآخر سنة ثمان عشرة وستمائة تُوفي الشيخ الأجل الأصيل أبو نصر موسى ابن الشيخ الفقيه أبي محمد عبد القادر ابن أبي صالح ابن جنكادوست، الجيلي الأصل، البغدادي المولد، الدمشقي الدار بالعقيبة ظاهر دمشق، ودُفن بسفح جبل قاسيون، ومولده في سلخ ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، ويُقال: سنة سبع وثلاثين، سمع من والده، ومن أبي القاسم سعيد بن أحمد بن البنا، وأبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى، وأبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد، وغيرهم، وحدَّث بدمشق، لقيته بها وسمعت منه، ودخل مصر، وما علمته حدَّث بها، وهو آخر من مات من أولاد الشيخ عبد القادر انتهى.

وقال الحافظ الذهبي: روى عنه البرزالي والضياء وابن الخليل، والسيف بن المجد،

وعمر ابن الحاجب، والشهاب القوصي، والذكي المنذري، والفخر علي، والتقي بن الواسطي الشمس محمد بن الكمال، وأبو بكر بن الأنماطي، وأحمد بن علي، سبط عبد الحق، وإسماعيل بن نور الهيتي، والصفي إسحاق الشقراوي، ويوسف الغسولي، وهو آخر من رُوعي عنه في الدنيا، قاله في العبر.

والعز أحمد بن العماد، والعماد عبد الحافظ بن بدران، وغيرهم سواهم، وقرأ عليه الأئمة والحفاظ انتهى.

وقال ابن النجار: كتبت عنه بدمشق، وكان شيخًا حسن الأخلاق، كيسًا مطبوعًا لا بأس به، إلا أنه كان خاليًا من العلم انتهى.

وقال عمر بن الحاجب في معجمه: كان حنبلي المذهب، شيخًا مسندًا من بيت حديث وزهد وورع، وممن يُشار إلى بيته، ورد شيخنا هذا إلى دمشق واستوطنها، وتُوفي بها رحمه الله تعالى، وكان شيخًا ظريفًا مطبوع الحركات، رق حاله واستولى عليه المرض في آخر عمره إلى أن تُوفي ليلة الجمعة ثاني، وقيل: مستهل جمادى الآخرة، وهو آخر أولاد أبيه وفاةً، ودُفن بجبل قاسيون، وصُلي عليه بالمدرسة المجاهدية، وكنت قد سألته عن مولده فقال: سنة سبع أو تسع وثلاثين وخمسمائة ببغداد بباب الأزج انتهى.

وسمع منه أيضًا البارزي، قاضي حماة وابن قاضيها وأبو قاضيها، الإمام نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله الجهني الشافعي، وأحمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن قدامة بن مقدام بن نصر أبو العباس المقدسي الفرضي، وبردويل بن إسماعيل بن بردويل بن يعيش بن زغبل، أبو إسماعيل الدمشقي الفراء الحنفي، وعبد الرحيم بن عبد الحميد بن محمد بن أبي بكر، أبو أحمد المقدسي وعبد الواحد بن علي بن أحمد بن محمد القرشي المكاري، أبو محمد الزاهد، وعيسى بن عبد الحميد بن ماضي بن سعد بن قدامة، أبو الروح، وأبو محمد، الملقب مجد الدين، الأديب المقدسي، سمع منه المتبقي من سبعة أجزاء من حديث المخلص.

وعثمان بن محمد بن منصور بن عبد الله بن سرور الأميني الدمشقي، أبو عمرو بن الحاجب، أخو عمر المتقدم ذكره، وأحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر، المقدسي الأصل، الصالحي، أبو العباس الحنبلي، المنعوت بالعماد، وعبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك بن عثمان بن عبد الله بن

سعد بن مفلح بن هبة الله بن نمير السعدي، أبو الفرج، ابن أبي العباس المقدسي ثم الدمشقي الصالحي، المنعوت بالشمس الحنبلي، المعروف بابن الزين، وأبو بكر بن محمد بن طرخان بن أبي الحسن الدمشقي ثم الصالحي حضورًا، ومحمد بن علي بن أحمد بن فضل المعمر المسند المبارك، شمس الدين، أبو عبد الله الواسطي الصالحي الحنبلي حضورًا في الثالثة، وعلي بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار، سيف الدين بن الرضي المقدسي حضورًا. انتهى من العبر للذهبي والمعجم له، ومعجم ابن بركة، وتاريخ ابن رافع، والله سبحانه وتعالى أعلم[1].

ذكر جماعة ممن صحبه على ترتيب وفياتهم

رضي الله عنه وعنهم أجمعين آمين آمين آمين:

منهم: الشيخ عدي بن مسافر.

قال الإمام الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه:

الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري، شيخ الطائفة العدوية، أصله من البقاع، غربي دمشق، من قريةٍ يُقال لها: بيت فار، ثم رحل إلى بغداد فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر، والشيخ حماد الدباس، والشيخ عقيل المنيحي، وأبي الوفا بن الحلواني، وأبي النجيب السهروردي، وغيرهم، ثم انفرد بجبل هكار، وبنى له هناك زاوية، واعتقد فيه أهل تلك الناحية اعتقادًا بليغًا حتى إن منهم من يغلو فيه غلوًّا منكرًا.

وقال الإمام العلاَّمة المؤرخ شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار:

وكان قد صحب عدة من المشايخ كعقيل المنبجي، وحماد الدباس، وعبد القاهر السهروردي، وعبد القادر الجيلي، ثم انقطع في جبل الهكارية- من أعمال الموصل- وبنى له زاوية فمال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يُسمع لأرباب الزوايا مثله.

وقال الحافظ الذهبي في تاريخه: وذكره الحافظ عبد القادر فسمَّاه عدي بن صخر الشامي، وقال: ساح سنين كثيرة، وصحب المشايخ، وجاهد أنواعًا من المجاهدات، ثم إنه سكن بعض جبال الموصل في موضع ليس به أنيس، ثم آنس الله تلك المواضع به

(١) انظر: الشيخ عبد القادر وأعلام القادرية لدرنيقة، والقلائد (ص ١٤٦).

وعمَّرها ببركاته، حتى صار لا يخاف أحد بها، بعد قطع السبل وارتدع جماعة من مفسدي الأكراد ببركاته، وعمَّره الله تعالى حتى انتفع به خلقٌ كثيرٌ وانتشر ذكره، وكان معلمًا للخير، ناصحًا متشرعًا شديدًا في الله تعالى، لا تأخذه في الله لومة لائم، عاش قريبًا من ثمانين سنة، ما بلغنا أنه باع شيئًا قط ولا اشترى، ولا تلبَّس بشيءٍ من أمر الدنيا، كانت له غليلة يزرعها بالقدوم في الجبل ويحصدها، ويتقوَّت منها، وكان يزرع القطن ويكتسي منه، ولا يأكل من مال أحد شيئًا، ولا يدخل منزل أحد، وكان يجيء إلى الموصل فلا يدخلها، وكانت له أوقات لا يُرى فيها محافظة على أوراده.

وقد طفت معه أيامًا في سواد الموصل فكان يصلي معنا العشاء ثم لا نراه إلا الصبح، ورأيته إذا أقبل إلى القرية تتلقاه أهلها من قبل أن يسمعوا كلامه تائبين، رجالهم ونساؤهم، إلا من شاء الله منهم.

ولقد أتينا معه على دير فيه رهبان فتلقانا منهم راهبان، فلما وصلا إلى الشيخ كشفا رأسهما وقبلا رجليه وقالا: ادعُ لنا، فما نحن إلا في بركاتك، فأخرجا طبقًا فيه خبزٌ وعسلٌ فأكل الجماعة.

وكان يواصل الأيام الكثيرة، على ما اشتهر عنه، حتى إن بعض الناس كان يعتقد أنه لا يأكل شيئًا قط، فلما بلغه ذلك أخذ شيئًا وأكله بحضرة الناس، واشتهر عنه من الرياضات والكرامات والسير والانتفاع به ما لو كان في الزمان القديم لكان أحدوثة.

ورأيته قد جاء إلي الموصل في السنة التي مات فيها فنزل في مشهد خارج الموصل، فخرج إليه السلطان وأصحاب الولايات والمشايخ والعوام حتى آذوه مما يقبلون يده، فأجلس في موضع بينه وبين الناس شباك، بحيث لا يصل إليه أحد إلا رؤية، فكانوا يسلمون عليه وينصرفون، ثم رجع إلى زاويته فمات على أحسن حالاته.

وقال القاضي ابن خلكان: وقبر بزاويته وقبره من كبار المزارات عندهم، وعاش تسعين سنة، وتُوفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وقيل: سنة خمس وخمسين.

قلت: قرأت بخط الحافظ الضياء: سمعت الشيخ نصر يقول: قدم الشيخ عدي الموصل سنة ست وخمسين انتهى.

وقال الإمام القدوة علاء الدين علي بن الأرموي فيما جمعه من ترجمة جده الشيخ القطب عبد الله الأرموي رحمة الله عليه:

وكان الشيخ عبد الله البطائحي إمام الشيخ عبد القادر فصلَّى به ثلاث عشرة سنة،

وأن الشيخ عدي بن مسافر كان سير إلى الشيخ عبد القادر يطلب منه من يصلي به، فسير الشيخ عبد القادر الشيخ عبد الله البطائحي، فصلَّى بالشيخ عدي إحدى عشرة سنة، والله أعلم.

ومنهم: الشيخ أبو الحسن علي الهيتي(١).

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: وعلي ابن أبي نصر الشيخ أبو الحسن الهيتي من سادة مشايخ العراق، صاحب أحوال وكرامات وأخلاق وفقر، صحب الشيخ عبد القادر وغيره.

قال ابن النجار: كان يسكن وزيران بقرب المدائن، وله بها رباط يقيم به، وعنده جماعة من المنقطعين إلى الله تعالى، وكان يتكلم على الخواطر، وله قبولٌ عظيمٌ بين العوام، ناهز المائة، مات في جمادى الأولى سنة أربع وستين وخمسمائة.

ومنهم: الشيخ أبو الفضل الحراني(٢).

قال الحافظ زين الدين بن رجب في طبقاته:

أبو الفضل حامد بن محمود بن حامد بن محمد ابن أبي عمرو الحراني، الخطيب الفقيه الزاهد، المعروف بابن أبي الحجر، ويُلقب تقي الدين، شيخ حران وخطيبها ومفتيها ومدرسها، وُلد سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بحران، رحل إلى بغداد وسمع بها من عبد الوهاب الأنماطي الحافظ، ويحيى بن حبيش الفاروقي، وعمر بن عبد الله بن

---

(١) قال الكردي الموصلي: هو من أكابر مشايخ العراق وأعيان العارفين، وهو أحد من نُسب إلى القطبيّة العظمى، وكانت عنده الخرقتان اللتان ألبسهما أبو بكر الصدِّيق ﷺ لأبي بكر بن هوار البطائحي في النوم، فاستيقظ فوجدهما عليه ، وهما ثوب وطاقية، وكان أعطاهما أبو بكر لأبي محمد الشنبكي، وأعطاهما الشنبكي لتاج العارفين أبي الوفاء، وأعطاهما أبو الوفاء للشيخ علي بن الهيتي، وأعطاهما الشيخ عليّ للشيخ ابن إدريس ، ثم فُقدتا، ومكث ﷺ ثمانين سنة ليس له خلوة ولا معزل، بل ينام بين الفراء، وذلك لأن فتحه أتاه من طريق الوهب.

وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني يقول لما دخل بغداد: كل من دخل من الأولياء بغداد فهو في ضيافتنا، ونحن في ضيافة الشيخ عليّ بن الهيتي.

وكان الشيخ عبد القادر يقول: تفتق رتق قلب الشيخ علي الهيتي وهو ابن سبع سنين، وكان ﷺ يخبر عن المغيبات، وتظهر على يديه الكرامات، وأجمعت العلماء على جلالته وعلوّ منصبه.

سكن وزيران بلدة من أعمال نهر الملك، إلى أن مات بها سنة أربع وستين وخمسمائة ، وقد غلب سنُّه على مائة وعشرين سنة، وبها دُفن وقبره بها ظاهر يُزار.

انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/١٢٥)، والنبهاني (٢/١٦٠ ، ١٦١).

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (١/٣٣٢)، والشذرات (٤/٣٣٧).

علي الحربي، وغيرهم.

وتفقَّه بها وبرع وناظر، ولقي بها الشيخ عبد القادر ولازمه، فرآه يومًا يمشي على سجادته على بساطٍ للشيخ، فقال له الشيخ عبد القادر: كأني بك وقد دست على بساط السلطان. كذا ذكره أبو عبد الله بن حمدان الفقيه.

وقال ناصح الدين بن الحنبلي: حدَّثني ولده وإلياس- يعني ولد أبي الفضل حامد- قال:

خرج والدي مع الشيخ عبد القادر في زيارةٍ، وكان معه جماعة، وانفرد والدي عنه ورفع ثوبه على قصته، فقال الشيخ عبد القادر: من هذا؟ فقالوا: الفقيه حامد الحراني، فقال: هذا يكون له تعلق بالملوك، وكان كما قال ﷺ.

وقال الشيخ ناصح الدين الحنبلي: كان شيخ حران في وقته، بنى نور الدين محمود المدرسة في حران لأجله، ودفعها إليه ودرس بها، وتولى عمارة جامع حران فما قصر فيه، قيل: إنه راح إلى الروم وتولى شراء الخشب بنفسه، وكان نور الدين يقبل عليه، وله فيه حسن ظن، وكان عنده وسواس في الطهارة، رحل إلى بغداد ونزل مدرسة الشيخ عبد القادر، وسمع درس الشيخ، وكان من أصحابه.

وقال ابن حمدان: كان شيخ حران وخطيبها ومدرسها، ولأجله بُنيت المدرسة النورية بحران، وله ديوان خطب، وقيل: إن أكثرها كان يرتجلها إذا صعد إلى المنبر، فلما ولاه السلطان نور الدين الشهيد قال: بشرط أن تترك المظالم والضمانات، وتورث ذوي الأرحام، فأجابه إلى ذلك، وكان ولده الفقيه إلياس إذا غاب من المدرسة يومًا لا يعطيه خبزه ويقول: هو كالمستأجر.

وقال: ولم يأخذ على نظره في الجامع وأوقافه شيئًا، حتى إن غلامه اشترى نجارة خشب الجامع، فلم يأكل ما خبز في بيته.

وسيرته في الورع والزهد مشهورة بحران بين أهلها.

أخذ عنه العلم جماعة من أهل حران منهم:

الخطيب فخر الدين بن تيمية، وأبو الفتح نصر الله بن عبدوس، وغيرهما.

وسمع منه الحديث بحران جماعة من الطلبة والرحالين منهم:

أبو المحاسن عمر بن علي القرشي الدمشقي، وأبو الحسن القطيعي، وروى عنه في

تاريخه، وقال: تُوفي رحمه الله لسبع خلون من شوال سنة سبعين وخمسمائة بحران انتهى ملخصًا.

ومنهم: الشيخ أبو بكر عبد الله الصمصام.

قال ابن النجار في تاريخه: عبد الله بن أحمد بن عتيمة، أبو بكر، المعروف بالصمصام، كان يسكن برباط الحلبة، وكان شيخًا صالحًا، صحب الشيخ عبد القادر الجيلي، وسمع الحديث من أبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين، وأبي الحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن الزاغوني وأبي العباس أحمد ابن أبي غالب بن الطلابة، وأبي الفضل محمد بن عمر الأرموي، وأبي العز ثابت بن منصور الكيلي، وأبي سعيد القاسم بن أحمد بن الحسين بن البنا، وأبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ، وغيرهم.

وحدَّث باليسير، روى عنه أبو الفتح محمد بن محمود بن إسحاق بن الحراني في مشيخته، روى لنا عنه أبو الحسن بن القطيعي، وعثمان بن مقبل الياسري الواعظ: أخبرني أبو الحسن بن القطيعي قال: سألت أبا بكر الصمصام عن مولده فقال: وُلد سنة خمسمائة.

وتُوفي منتصف شعبان سنة ست وسبعين وخمسمائة، ودُفن بمقبرة باب حرب.

ومنهم: الشيخ أبو الخير دلف(١).

قال ابن النجار: دلف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن القبان، أبو الخير، الفقيه، من أهل باب الأزج، صحب الشيخ عبد القادر الجيلي وتفقَّه عليه، وسمع الحديث في سنة أربعين وخمسمائة، وما بعدها من أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ، وأبي الحسن سعد الخير بن محمد الأنصاري، وأبي صابر عبد الصبور بن عبد السلام الهروي، وأبي حفص بن عبد الله بن علي الحربي، وغيرهم.

ثم إنه خرج من بغداد ودخل خراسان، وأقام بنيسابور يقرأ على محمد بن يحيى، وسمع الحديث من أبي البركات، وعبد الله بن محمد الفزاري، ودخل خوارزم، ومضى إلى سمرقند، وسمع بها أبا المعالي محمد بن نصر بن منصور المديني، وأبو القاسم محمود بن علي ابن محمد الفسلقي، وحدَّث هناك، روى لنا عنه المظفر بن السمعاني في مشيخته، وأبو بكر الفرغاني خطيب سمرقند انتهى.

ولم يذكر له تاريخ وفاة، وذكره ابن رجب في طبقاته بين من تُوفي في سنة ثمان

---

(١) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (١/٣٥٠).

وسبعين، وسنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقال: وروى عنه أبو سعد السمعاني في ذيله حكايات، وروى عنه أبو المظفر بن السمعاني في مشيخته، وأبو بكر الفرغاني خطيب سمرقند، وذكر أنه سمع منه في صفر سنة سبع وسبعين وخمسمائة انتهى.

ولم يُؤرخ وفاته أيضًا، فالله سبحانه أعلم.

ومنهم: الشيخ أبو الخير رمضان.

قال ابن النجار: رمضان بن أبي الأزهر عبد الله الواسطي، أبو الخير، ويُسمَّى عبيد الله أيضًا، من أهل واسط، قدم بغداد واستوطنها، وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي ولازمه، وسمع الحديث الكثير من أبوي الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، ومحمد بن ناصر الحافظ، وأبي الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب الشجري، وغيرهم، وحدَّث باليسير، وكان من عباد الله الصالحين، وسمع منه شيخانا عمر بن مسعود البزار، وعلي بن أحمد بن وهب الأزجي انتهى.

ولم يُذكر له تاريخ وفاة.

ومنهم: الشيخ أبو السعود أحمد بن الشبل العطار[1].

قال ابن النجار في تاريخه: أحمد بن أبي بكر بن المبارك، أبو السعود، الزاهد المعروف بابن شبل، من أهل الحريم الظاهري، صحب الشيخ عبد القادر الجيلي وأخذ عنه طريق المعاملة والزهد، وصار ممن يُشار إليه بالمعرفة والولاية، وظهرت له كرامات، وفتح عليه بالكلام في طريقه القوم، وصار له القبول التام عند الخلق، وكان الناس يكثرون زيارته والتبرك به.

سمع شيئًا من الحديث من أبي المعالي محمد بن محمد بن اللحاس، وحدَّث باليسير.

وقال ابن الدبيثي: شيخٌ مشهورٌ بالصلاح والمعرفة، وله حال حسنة، صحب الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي وأخذ عنه طريق المعاملة، وبعده صار المشار إليه في الطريقة، وكان يغلب عليه الرفق وحسن الخلق والبسط، وكان منزله مجتمع الفقراء والصالحين، وله القبول الكثير عند الناس، سمع من شيخه عبد القادر، ومن أبي

---

(١) انظر الكوكب الشاهق للشعراني (ص ١٤٠)، وشرح الحكم الأكبرية للباني (١٤٤) كلاهما بتحقيقنا.

المعالي محمد بن محمد بن اللحاس العطار، وحدَّث بشيءٍ يسيرٍ، على ما قيل.

وقال الذهبي في تاريخه: كان عطارًا فزهد وصحب الشيخ عبد القادر، وصار من كبار الفقراء، له كرامات وأحوال وقبول عظيم، غلب عليه الفناء، فكان لا يأكل ولا يلبس إلا أن يطعموه أو يلبسوه، ولا يكاد يتكلم إلا جوابًا، ولا يزال على طهارةٍ مستقبل القبلة.

حكى لي عنه جماعة، يقول أبو المظفر سبط ابن الجوزي: قالوا: كان جالسًا فوقع السقف، فجاء طرف جذع على أضلاعه فكسرها، فلم يتحرك، فبقى عشرين سنة، فلما مات وجُرد للغسل رأوا أضلاعه مكسرة.

وحكى ابن عطاء الله في كتابه «لطائف المنن» أن أبا الشبل كان يومًا في مدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني يكنس فيها، فوقف الخضر على رأسه فقال: السلام عليكم، فرفع أبو السعود رأسه فقال: وعليكم السلام، ثم عاد إلى شغله، بما هو فيه، فقال له الخضر: ما بالك لم تهتبل بي؟ كأنك لم تعرفني، فقال أبو السعود: بلى عرفتك، أنت الخضر، فقال له الخضر: فما بالك لم تهتبل؟ قال: فقال له أبو السعود- والتفت إلى الشيخ عبد القادر: لم يترك لي هذا الشيخ فضلة لغيره انتهى.

وحكى القطب اليونيني في مختصره مرآة الزمان له، قال:

وقدم عليه الشيخ محمد بن قائد، شيخ أوانا فقال له: يا شيخ أبا السعود قد أعطيت شجنكية العرق، فلي من أوانا إلى بغداد، ولك من بغداد إلى البصرة، وهبته لك، فقال أبو السعود: قد آثرتك بالكل، أنت في حلٍّ.

قال: ولما تُوفي أراد بعض أصحابه أن ينقي بيت الحر الذي كان للشيخ، قال: فأتيت إلى رأس البئر فإذا قد سد عليه العنكبوت وليس فيها شيء انتهى.

وقال ابن النجار: أنبأ القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن الفراء ونقلته من خطه، قال: مات أبو السعود، من ساكني الحريم الظاهري، في ليلة الأربعاء العاشر من شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، ودُفن بباب حرب، وكان ملازمًا لبيته، زاهدًا، وصلَّى عليه بظاهر الحربية، وكان له جمعٌ كثيرٌ انتهى.

قال الذهبي: وبنوا على قبره قبة عالية، وقبره يُزار.

ومنهم: الشيخ عمر الكيماني.

قال الحافظ ابن النجار في تاريخه: عمر بن أبي النعالي الكيماني الزاهد، من ساكني القطيعة بباب الأزج، قرأ شيئًا من الفقه على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل على أبي حكيم النهرواني، وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي، وكان شيخًا صالحًا، مُنقطعًا عن الناس، مشتغلاً بما يعنيه، وكانت له حلقة بجامع القصر بعد الصلاة، يجتمع حوله الناس ويتكلم عليهم بكلامٍ مفيدٍ، وكان له قبول من الناس، وأصحاب وأتباع، وقد رأيته بالجامع مرات.

تُوفي يوم الجمعة التاسع عشر من صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، ودُفن بمقبرة التل بالقطيعة من باب الأزج في قبةٍ هناك، أمرت ببنائها له أم الخليفة الإمام الناصر لدين ﷺ، وكان قد جاوز السبعين من عمره.

منهم: الشيخ أبو علي الحسن بن مسلم الفارسي[1].

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: الحسن بن أبي الحسن بن مسلم بن أبي الجوداء، أبو علي الفارسي الحوري العراقي الزاهد، أحد العباد المشهورين رحمه الله تعالى، قرأ القرآن وتفقَّه في شبيبته، وسمع من أبي البدر إبراهيم بن محمد الكرخي، وغيره، روى عنه يوسف بن خليل، والدبيثي، وابن باسودة وآخرون، والتقي البلداني.

وتُوفي في حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وقد بلغ التسعين أو نحوها، وكان مشتغلاً بالعبادة، منقطع القرين.

ذكره أبو شامة فقال: أحد الأبدال، أقام أربعين سنة لا يكلم أحدًا، وكان صائم الدهر، يقرأ في اليوم والليلة ختمة، وكانت السباع تأوي إلى زاويته.

قال: تُوفي يوم عاشوراء ودُفن برباطه في قرية من قرى دجيل من نهر عيسى، وهو منها، وأما حور المنسوب إليها فقرية من عمل دجيل من سواد بغداد.

وذكره شيخنا ابن البزوري فقال: كان مجدًّا في العبادة، ملازمًا للمحراب والسجادة، ورعًا تقيًّا، ومن الأدناس نقيًّا، ظاهر الخشوع، كثير البكاء والخضوع، صحب الشيخ عبد القادر، والشيخ حماد الدباس، كذا قال، وكان الناس يعتقدونه ويتبركون به، ويغتنمون دعاءه، وتردَّد إليه الإمام الناصر لدين الله وزاره، وكان يعتقد فيه.

---

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٩٥).

قلت: وكان أبو الفرج بن الجوزي يبالغ في وصفه وتعظيمه، رحمه الله تعالى انتهى.

وقال ابن رجب في طبقاته: وُلد سنة أربع وخمسمائة، وقرأ القرآن وتفقَّه في المذهب، وسمع الحديث، وصحب الشيخ عبد القادر، ثم اشتغل بالعبادة والانقطاع إلى الله ﷻ، وكان كثير البكاء، دائم العبادة والانقطاع، على منهاج السلف، ذا كراماتٍ.

قال: وقرأت بخط أبي الفرج بن الحنبلي الدمشقي، قال: سمعت الشيخ طلحة يعني العلثي يقول: للشيخ حسن هذا عشرون سنة ما رُؤى نائمًا أو مضطجعًا، قال: وكان مشهورًا تزوره العامة والخاصة، وزرناه في قريته الفارسية، وبتنا عنده وتحدث معنا وفرح بنا، وقال: وقد خضنا في أخبار الصفات.

قال بعض مشايخنا: أخبار الصفات صناديق مقفلة مفاتيحها بيد الرحمن انتهى.

وقال ابن الدبيثي في تاريخه: سمعت أبا علي الحسن بن مسلم يقول لرجلٍ في ضمن كلامٍ كان يقول له:

إِذَا أَنْتَ جَازَيت المسيء بفعلِهِ ... فَفِعلك مِن فِعْلِ المسيء قريب

وقال العلاّمة تقي الدين ابن قاضي شهبة في تاريخه: قال ابن البزوري: حدَّثني والدي قال: كنت عنده، وعنده شخصٌ، وهما يتحادثان في الزراعة، فقلت في نفسي: هذا زاهدٌ وهو يتكلم في حديث الدنيا! فالتفت إلَيَّ عاجلاً وقال: أي أحمد، ما تصل إلى الآخرة إلا بالدنيا.

ومنهم: الشيخ محمد البشتيلي.

قال الذهبي في تاريخه: محمد البشتيلي الزاهد من فقراء بغداد المذكورين، صحب الشيخ عبد القادر، وتُوفي ببغداد في ثاني عشر شعبان سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وبشتيلة قرية قريبة من الجانب الغربي من بغداد.

ومنهم: الشيخ أبو الخير بشير بن محفوظ.

قال ابن النجار في تاريخه: بشير بن محفوظ بن عتيمة، أبو الخير النساج، من أهل باب الأزج، صحب الشيخ عبد القادر الجيلي، وسلك طريق الفقر والزُّهد، وكان يتكلم على طريقة الفقراء وأرباب القلوب، وله أصحاب ومريدون، وكان حسن العيش في ملبسه ومأكله، وله زاوية يقصده الناس إليها، سمع كثيرًا من الحديث من أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ، وأبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، وأبي الوقت

عبد الأول بن عيسى السجزي، وغيرهم، وحدَّث باليسير، ولم يتفق لي أن أسمع منه شيئًا، وقد أجاز لي جميع مروياته، ورأيته وأنا صبيٌّ وحضرت معه سماعًا مع جماعة من الفقراء، ورأيت له حالاً حسنة في السماع بسكونٍ وخشوعٍ، وتُوفي في ليلة الإثنين الحادي عشر من شهر ربيع الأول من سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ودُفن من الغد بمقبرة عبد الدايم عند باب الحلبة.

ومنهم: الشيخ أبو عبد الله محمد ابن أخت جميل.

قال ابن النجار: محمد بن الحسين بن عباس بن علي بن مظفر بن حمزة، أبو عبد الله الفقير، النهرملكي، من أهل دار القز، كان ابن أخت جميل بن نجيح الخزرجي الزاهد، وسمع بإفادته من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، وأبي القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي، وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي، وكان شيخًا صالحًا، أكثر مقامه بالقرى، سمع منه أصحابنا وطلبته غير مرةٍ فلم أظفر به، ولي منه إجازة.

ذكر محمد بن الحسين الفقير أن مولده تقريبًا في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة.

أنبأنا أحمد بن سليمان بن أحمد الحربي، ونقلته من خطه قال: مات محمد، ابن أخت جميل يوم الجمعة سادس عشر المحرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وذكر غيره أنه دُفن بباب حرب.

ومنهم: الشيخ أبو الحسن علي بن وهب[1].

قال ابن النجار في تاريخه: علي بن أحمد بن وهب بن مناره الصافيوني، أبو الحسين البزاز، من ساكني دار الفساسيري بباب الأزج، تفقَّه على الشيخ عبد القادر وصحبه مدة، حتى حصل طرفًا صالحًا من المذهب، وصار أحد المعيدين لدرسه، وسمع الحديث الكثير، ثم إنه بعد علو سنه ترك ذاك وصار بزازًا بخان السيدة برحبة جامع القصر عند باب العامة، سمع أبوي الفضل محمد بن عمر الأرموي، ومحمد بن ناصر بن محمد السلامي، وأبا الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، وأبا الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي، وجماعة غيرهم، كتبت عنه، وكان شيخًا صالحًا ورعًا عفيفًا فاضلاً عالمًا، ساكنًا على طريقة السلف، حافظًا لكتاب الله، ثقة صدوقًا، حسن

---

(١) انظر : أعلام القادرية (ص ٢٥١).

السمت.

سمعتُ أبا بكر عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي يقول: كان الشيخ أبو الحسن ابن وهب صاحبًا لوالدي وخصيصًا به، وصار معيدًا لدرسه، وأثنى عليه كثيرًا، وقال: عرضت عليه الشهادة عند القضاة فأباها، وكان متورعًا دينًا على طريق حسنة.

قرأت بخط شيخنا عبد الرزاق: أبو الحسن بن وهب صحب والدي أربعين سنة.

وكان مولده في سنة عشرين وخمسمائة، تُوفي شيخنا أبو الحسن بن وهب يوم الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة، ودُفن من الغد بباب حرب.

ومنهم: الشيخ أبو محمد عبد الله الجبائي[1].

قال الحافظ ابن النجار في تاريخه: عبد الله بن الحسن بن أبي الفرج الجبائي، أبو محمد الشامي، من طرابلس، كان أبوه نصرانيًا فأسلم هو في صغره وحسن إسلامه وحفظ القرآن، وقدم بغداد طالبًا للعلم في سنة أربعين وخمسمائة، وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي، وتفقَّه على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وسمع الحديث من القاضي أبي الفضل محمد بن عمر الأرموي، وأبي العباس أحمد بن غالب بن الطلاية، وأبي بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني، وأبي القاسم سعيد بن أحمد بن البنا، وأبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ، ومن جماعة غيرهم، وكتب بخطه وحصل، ثم إنه سافر إلى أصبهان وسمع بها من أبي الخير محمد بن أحمد بن عمر الباغبان، وأبي عبد الله الحسن بن العباس الرسمي، وأبي الفرج مسعود بن الحسن الثقفي، ومن خلق كثير غيرهم، وحصل النسخ والأصول، وعاد إلى بغداد ثانيًا وحدَّث بها، ثم عاد إلى أصبهان فاستوطنها إلى حين وفاته، وحدَّث بها بالكثير، وكان له بها قبول حسن ومنزلة عند الأكابر، وكان شيخًا صالحًا متدينًا صدوقًا، كثير الخير، دائم العبادة، كتب إلَيَّ بالإجازة في جميع مروياته.

أخبرني أبو الحسن بن القطيعي قال: سألت عبد الله الجبائي عن نسبته فقال: نحن من قريةٍ يُقال لها الجبة من ناحية بشرى من أعمال طرابلس في جبل لبنان، وكنا قومًا نصارى فتُوفي أبي ونحن صغار، وكان أبي من علماء النصرانية، فقدَّر الله أن وقعت

---

(١) انظر: القلائد (ص ٣٨٢).

حروب فخرجنا من قريتنا، وكان في قريتنا جماعة من المسلمين يقرؤون القرآن، وإذا سمعتهم أبكي، فلما دخلت أرض الإسلام أسلمت وعمري إحدى عشرة سنة، ثم دخلت بغداد سنة أربعين وخمسمائة.

وسألته عن مولده فقال: في سنة إحدى وعشرين تقريبًا، ثم سافر إلى أصبهان فأقام بها إلى أن مات.

ذكر رفيقنا أبو القاسم المطهر بن سديد الخوارزمي، ونقلته من خطه أن مولد عبد الله الجبائي سنة تسع عشرة وخمسمائة، بلغنا أن عبد الله الجبائي مات ليوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة خمس وستمائة بأصبهان، ودُفن بخان كاه بهاء الدين الحسن بن محمد ابن أبي الهيجاء بمحلة بمافرت الكبرى، وكان مقيمًا بها، وزرت قبره غير مرةٍ انتهى.

وقال ابن الدبيثي في تاريخه: وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي ولازمه واشتغل بالزهد والانقطاع والتعبد، وكان صالحًا ورعًا، سمعت أبا المعالي أحمد بن يحيى بن هبة الله يذكر عبد الله الجبائي فيعظم شأنه، ويذكر زهده وانقطاعه واشتغاله بالخير وكثرة ورعه، وقال لي: سافر عن بغداد بعد موت الشيخ عبد القادر الجيلي ونزل أصبهان انتهى.

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: روى عنه الموفق والضياء وابن خليل وأبو الحسن القطيعي وآخرون، وأجاز للشيخ شمس الدين وللفخر علي ولجماعةٍ انتهى.

وقال ابن رجب في طبقاته: وروى عنه ابن الجوزي عدة منامات في كتبه، وقال: كان من الصالحين.

ومنهم: الشيخ أبو القاسم عمر البزاز.

قال المحب ابن النجار في تاريخه: عمر بن مسعود بن أبي العز الفراش أبو القاسم البزاز، كان من أعيان أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلي، صحبه مدة طويلة وتفقَّه عليه، وسمع معه الحديث من جماعة، وتخلَّق بأخلاقه وتأدَّب بآدابه، وسلك طريقته، وكان له دكان بخان الصفة في سوق الثلاثاء يبيع فيه البز، ويطلب الكسب الحلال، ثم إنه ترك ذلك وانقطع إلى زاويةٍ له إلى جانب مسجد بالجانب الغربي قريبًا من جامع العقبة، وانضاف إليه جماعة من الأصحاب والأتباع فاشتهر اسمه وشاع ذكره، وقصده الناس

لزيارته والتبرك به، وكثر الفقراء حوله، وصار الناس يقصدونه بالنذور والصدقات والهبات والفتوحات، وينفق ذلك على من عنده، وتاب عليه خلقٌ كثيرٌ من مماليك الخليفة الترك الخواص، ولبسوا منه الخرقة، وصلحت طرائقهم وانتفعوا بصحبته، وخرج منهم جماعة إلى مقامات الزهَّاد والعباد، وكان رحمه الله تعالى كثير العبادة والمجاهدة، سليم الباطن والظاهر، وله كلام حسن على طريقة القوم، وعلى وجهه أنوار الطاعة، وكان نظيفًا طيب الريح، إذا تكلم في المحبة خرج النور من بين ثناياه، واشتدَّت حمرة وجنتيه، وإذا تكلَّم في الخوف طار لبه، وتغيَّر لونه، وخنقته العبرة.

سمع الحديث من أبي القاسم سعيد بن أحمد بن البنا، وأبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي، وغيرهم.

كتبت عنه وحضرت عنده غير مرةٍ، وسمعت كلامه، وكان حسن السمت مليح الخَلق والخُلق.

أنشدنا عمر بن مسعود البزاز الزاهد من لفظه وحفظه في مسجده بالجانب الغربي:

إلهي لَكَ الحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أهله عَلَيَّ نِعَم مَا كُنْتُ قَط لهَا أَهلاً
إِذَا زِدت تَقْصِيرًا تَزِدنِي تفضُّلاً كَأَنِّي بالتقصير أستوجبُ الفَضْلا

تُوفي شيخنا عمر البزاز في يوم السبت الرابع عشر من رمضان سنة ثمان وستمائة بزاويته بالجانب الغربي، وكان مولده سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وخمسمائة انتهى.

وقال الذهبي: روى عنه أبو عبد الله الدبيثي.

ومنهم: الشيخ أبو الثناء محمود(١).

قال الحافظ ابن رجب في طبقاته: محمود بن عثمان بن مكارم النعال البغدادي الأزجي الفقيه الواعظ الزاهد، أبو الثناء، ويُقال: أبو الشكر، ويُلقَّب ناصر الدين، وُلد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ببغداد، وقرأ القرآن، وسمع الحديث من أبي الفتح بن البطي، وحدَّث وحفظ مختصر الخرقي، وقرأه على أبي الفتح بن المنى، وصحب الشيخ عبد القادر مدة وتأدَّب به، وكان يطالع الفقه والتفسير، ويجلس في رباط للوعظ، وكان رباطه مجمعًا للفقراء وأهل الدين، للفقهاء الغرباء.

---

(١) انظر: القلائد (ص ٣٦٥).

قال أبو الفرج بن الحنبلي: ولما قدمت بغداد سنة اثنتين وسبعين نزلت الرباط، ولم يكن فيه بيت خالٍ، فعمَّرت فيه بيتاً وسكنته، وكان الشيخ محمود وأصحابه ينكرون المنكر، ويريقون الخمور ويرتكبون الأهوال في ذلك، حتى إنه أنكر على جماعة من الأمراء وبدَّد خمورهم، وجرت بينه وبينهم فتن، وضُرب مرات، وهو سديدٌ في دين الله، له إقدامٌ وجهادٌ، وكان كثير الذِكر، قليل الحظ من الدنيا، وكان يُسمَّى سحنة الحنابلة، وذكر ذلك ابن الحنبلي.

وقال غيره: كان صالحًا خيِّرًا، موصوفًا بالزُّهد والصلاح والظرافة، وكانت له قصص في إنكاره.

وقال أبو شامة: كانت له رياضات ومجاهدات، وساح في بلاد الشام وغيره، وكان يؤثر أصحابه، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ، وكان مهيبًا لطيفًا كيِّسًا باشا متبسمًا، يصوم الدهر، ويختم القرآن كل يومٍ وليلةٍ، ولا يأكل إلا من غزل عمله.

تُوفي ليلة الأربعاء عاشر صفر سنة تسع وستمائة، عن أزيد من ثمانين سنة، ودُفن تلك الليلة برباطه رحمه الله تعالى. انتهى ملخصًا من الطبقات.

ومنهم: الشيخ أبو الفتح محمد البكري.

قال ابن النجار: محمد بن محمد بن محمد بن عمروك بن أبي سعيد بن عبد الله بن الحسن بن القاسم بن علقمة بن النضر بن معاذ بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبي الفتوح بن أبي سعد البكري، الصوفي، من أهل نيسابور، ذكر أنه صحب الشيخ محمد القاني، وعبد الرحمن الأكاف، وحضر درس محمد بن يحيى الفقيه، وسمع الحديث من أبي الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري، ثم إنه صحب الصوفية وسافر معهم البلاد، فدخل بغداد في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وسمع بها أبا عبد الله الحسين بن نصر بن خميس الموصلي، القادم إليها، وصحب بها أبا القاسم عبد الرحمن بن طاهر بن سعيد الميهني، وأبا النجيب السهروردي، وأبا محمد عبد القادر الجيلي، وسافر إلى الشام، وسمع بدمشق أبا القاسم الحافظ ابن عساكر، ودخل ديار مصر وسكنها مدة طويلة، وسمع بالإسكندرية من أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الكثير، ثم جاوز بمكة مدة طويلة، ثم عاد إلى بغداد بعد علو سنِّه فدخلها حاجًّا من مكة في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، ونزل برباط الجهة السلجوقية بالجانب الغربي، وحدث بالأربعين التي

سمعها من أبي الأسعد القشيري، سمع منه جماعة من الصوفية، ولم يعلم بقدومه أصحاب الحديث، ثم إنه سافر إلى دمشق واستوطنها إلى حين وفاته.

ولقيته بها في رحلتي الأولى إلى دمشق، وكتبت عنه، وكان من كبار الصوفية وأعيان مشيختهم، وله القدم الثبت في الرياضات والمجاهدات والأسفار الكثيرة، خدمه الأكابر، وكان زاهدًا صالحًا، كثير العبادة والمجاهدة، مليح المشاهدة، طيب الأخلاق، متواضعًا، محبًّا للحديث وأهله، ملازمًا لمجالس المحدثين، راغبًا في فعل الخير.

سألته عن مولده فقال: في سنة ثمان عشرة وخمسمائة بنيسابور، وتُوفي بدمشق في ليلة الإثنين الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة، ودُفن من الغد بباب الصغير.

ومنهم: الشيخ أبو محمد علي اليعقوبي[1].

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: علي ابن أبي بكر محمد بن عبد الله بن إدريس الروحاني اليعقوبي، الزاهد، صحب الشيخ عبد القادر الجيلي وسمع منه، والشيخ علي بن الهيتي، وكان شيخًا صالحًا زاهدًا عابدًا، كبير القدر، من أعيان شيوخ العراق في زمانه، وصحبه الشيخ الصرصري، ثم روى عنه هو والكمال علي بن وضاح والبدر سنقر شاه الناصري، والشيخ علي الخباز الزاهد، والواعظ أبو الفضل محمد بن أبي الفرج الدباب، وآخرون، وذكر أبو إسحاق الصريفني أنه سمع منه، وأنه قدم دمشق وزار القدس، وكان الشيخ يحيى يبالغ في وصفه وتبجيله، وأنه ما رأى مثله.

وذكره ابن نقطة وكناه أبا محمد، وقال: كان شيخ وقته، صاحب قرآن وأدب وفضل وإيثار، سمعت منه وسماعه صحيح، ثم أرخ موته، تُوفي ﵁ في سلخ ذي القعدة سنة تسع عشرة وستمائة بالروحاء، ودُفن برباطه وقبره يُزار، والروحاء قرية بقرب بعقوبا، على يوم من بغداد، وكنيته أبو محمد، وأبو الحسن.

ومنهم: الشيخ أبو العباس أحمد الباجسراي.

قال المنذري في الوفيات: وفي المحرم سنة إحدى وعشرين وستمائة تُوفي الشيخ

---

(١) هو أبو الحسن علي بن إدريس اليعقوبي، من أجلَّاء وأكابر مشايخ العراق، وأعيان العارفين المشهورين، وأئمة المحققين البارعين، له الطور البديع في الحقائق الزاهرة، والثناء الرفيع في المعارف الباهرة، وله اليد البيضاء في علوم الأحوال، والبدع الرحيب في معاني الموارد.
وهو الذي قال: كشف لي عن الكائنات من البداية إلى النهاية، وحلت لي التراجم ، وكل من لم تحل له التراجم فليس بشيخ.. وانظر: بهجة الأسرار للشطنوفي (ص ٤٢٣) بتحقيقنا.

أبو العباس أحمد بن مطيع الباجسراي بباجسرا، سكن بغداد، وصحب بها الشيخ أبا محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، وسمع منه، وحدَّث عنه، وباجسرا قرية كبيرة من سواد بغداد، قريبة من يعقوبا انتهى.

وقال الذهبي: روى لنا عنه بالإجازة الشهاب الأبرقوهي، وبالسماع أبو الفضل محمد بن محمد بن الدباب.

ومنهم: الشيخ أبو محمد يوسف العاقولي.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: يوسف بن المظفر بن شجاع أبو محمد العاقولي ثم البغدادي، الأزجي الصفار الزاهد، تلميذ الشيخ عبد القادر ومريده، سمع من أحمد بن قفرجل وابن البطي وأحمد بن المقرب، وجماعة، وحدَّث، وله كلامٌ حسنٌ في التصوف والحقيقة، وكان صالحًا زاهدًا عابدًا، يتبرك به، وهو آخر من لبس الخرقة من الشيخ.

وُلد في رجب سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، وتُوفي في المحرم سنة أربع وعشرين وستمائة، وأخذ عنه السقا بن المجد، وسمع منه الجمال محمد بن الدباب، سمع منه الأول والثاني من حديث أبي علي ابن خزيمة البغدادي، وأجاز لفاطمة بنت سليمان.

ومنهم: الشيخ أبو حفص عمر السهروردي[1].

---

(١) هو الشيخ الجليل السيد الحفيل أستاذ زمانه وفريد أوانه، مطلع الأنوار ومنبع الأسرار. دليل الطريقة، وترجمان الحقيقة، أستاذ الشيوخ الأكابر، الجامع بين علمي الباطن والظاهر، قدوة العارفين، وعمدة السالكين، العالم الرباني، المربي أبو حفص عمر ابن محمد البكري الصوفي السهروردي، مصنف كتاب عوارف المعارف، المشتمل على مكنونات المعارف، ومصونات المحاسن، واللطائف، وغير ذلك من التصانيف الحسنة الجامعة بين بداعة الملاحة، وبراعة الفصاحة، وحلاوة العبارة المشتملة على درر المعارف ومواقيت الحكم، وطلاوة الإشارة المحتوية على حياة القلوب، وشفائها من السقم، وعقيدته معروفة مشهورة موصوفة مشكورة، وكان إذا أشكل عليه شيء من أمرها منها، يرجع فيه إلى الله تعالى ويستخيره حول بيته ويتضرع إليه في التوفيق لإصابة الحق والتحقيق، وكان فقيهًا شافعي المذهب، كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة.

تخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة، ولم يكن في آخر عمره مثله.

صحب عمه الشيخ الإمام أبا النجيب، وعنه أخذ التصوف والوعظ.

وصحب أيضًا قطب الأولياء وقدوة الأصفياء الشيخ عبد القادر الجيلي، ثم انحدر إلى البصرة =

قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام: عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عموية، الشيخ شهاب الدين، أبو حفص، وأبو عبد الله القرشي التيمي البكري الصوفي السهروردي الزاهد العارف شيخ العراق ﷺ.

وُلد في رجب سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بسهرورد، وقدم بغداد وهو أمرد، فصحب عمه الشيخ أبا النجيب عبد القاهر، وأخذ عنه التصوف والوعظ، وصحب أيضًا الشيخ عبد القادر، وصحب بالبصرة أبا محمد بن عبد، وسمع من عمه، وأبي المظفر هبة الله ابن الشبلي، وأبي الفتح الطائي، وسلامة بن أحمد بن الصدر، ويحيى بن ثابت، وحريقة بن الماطرا، وغيرهم.

ومشيخته جزء لطيف اتصل لنا، روى عنه ابن الدبيثي، وابن نقطة، والضياء، والبرزالي، وابن النجار، والعوصي، والشرف بن النابلسي، والظهر محمود بن عبيد الله الريحاني، والشمس أبو الغنايم بن علان، والتقي بن الوسطى، والعز أحمد بن إبراهيم الفاروثي الخطيب، والشمس عبد الرحمن بن الزين، والرشيد بن أبي القاسم، والشهاب

=

إلى الشيخ أبي محمد بن عبد، ورأى غيره من المشهورين، وكان شيخ الشيوخ ببغداد، وكان له مجلس وعظ عليه قبول وله نفس مبارك.

قال ابن خلكان رحمه الله: ورأيت جماعة ممن حضروا مجلسه وقعدوا في خلوته فكانوا يحكون غرائب مما يطرأ عليهم فيها من الأحوال الخارقة.

وكان كثير الحج، وكان أرباب الطريق من مشايخ عصره يكتبون إليه من البلاد صور فتاوى يسألونه عن شيء من أحوالهم، وسيأتي آخر الفصل إن شاء الله تعالى.

قال ابن نقطة: كان شيخ العراق في وقته صاحب مجاهدة وإيثار وطريقة حميدة ومروءة تامة، وأوراد على كبر سنه.

وقال ابن النجار: كان شيخ وقته في علم الحقيقة، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ودعا الخلق إلى الله تعالى، قرأ الفقه والخلاف والعربية، وسمع الحديث، ثم انقطع، ولازم بيته، وداوم الصوم والذكر والعبادة إلى أن ظهر له قبول من الخاص والعام، وعلا شأنه، وتكلم على الناس، وعقد مجلس الوعظ في مدرسة عمه على دجلة، فحضر عنده خلق عظيم وظهر، واشتهر اسمه وقصد من الأقطار، وظهرت بركات أنفاسه في توبة العصاة، ورأى من الجاه والحرمة عند الملوك ما لم يره أحد.

وانظر في ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى (١٤٣/٥)، طبقات المفسرين للداودي (٨٩)، وفيات الأعيان (٤٨٠/١)، اللباب (٥٨٠/١)، البداية والنهاية (١٣٨/١٣)، طبقات الأولياء (٥٣)، طبقات الشافعية للإسنوي (١٢٢/٢)، مرآة الجنان (٧٩/٤ ، ٨٢)، وروضة الحبور (ص١٧٦)، بتحقيقنا.

الأبرقوهي، وآخرون، وبالإجازة: البدر حسن بن الجلال، والكمال أحمد بن العطار، والفخر إسماعيل بن عساكر، والشمس محمد بن محمد الشيرازي، والتقي سليمان القاضي، وجماعة.

وكنَّاه بعضهم أبا نصر، وبعضهم أبا القاسم.

قال ابن النجار: كان شيخ وقته في علم الحقيقة، وطريق التصوف، وانتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين، ودعا الخلق إلى الله تعالى، وتسليك طريق العبادة والزُّهد في الدنيا، صحب عمه وغيره من المشايخ، وسلك طريق الرياضات والمجاهدات، وقرأ الفقه والخلاف والعربية، وسمع الحديث، ثم انقطع ولازم الخلوة، وداوم الصوم والذِّكر والعبادة إلى أن خطر له عند علو سنه أن يظهر للناس ويتكلم عليهم، فعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه على دجلة، فكان يتكلم بكلامٍ مفيدٍ من غير تزويقٍ ولا تنميقٍ، وحضر عنده خلقٌ عظيمٌ، وظهر له قبولٌ عظيمٌ من الخاص والعام، واشتهر اسمه، وقُصد من الأقطار، وظهرت بركات أنفاسه على خلقٍ من العصاة فتابوا، ووصل به خلق إلى الله تعالى، وصار له أصحاب كالنجوم، ونفذ رسولاً إلى الشام مرات، وإلى السلطان خوارزم شاه، ورأى من الجاه والحرمة عند الملوك ما لم يرَه أحدٌ، ثم رتب شيخًا بالرباط الناصري، وبرباط البسطامي ورباط المأمونية، ثم أنه أضر في آخر عمره وأقعد، ومع هذا فما أخلَّ بالأوراد ودوام الذِّكر، وحضور الجمع في محفة، والمضي إلى الحج، إلى أن دخل في عشر المائة وضعف فانقطع في منزله.

قال: وكان تام المروءة، كبير النفس، ليس للمال عنده قدر، لقد حصل له ألوف كثيرة فلم يدخر شيئًا، ومات ولم يخلف كفنًا ولا شيئًا من أسباب الدنيا، وكان مليح الخَلق والخُلق، متواضعًا، كامل الأوصاف الجميلة.

قرأت عليه كثيرًا وصحبته مدة، وكان صدوقًا نبيلاً، صنَّف في التصوف كتابًا شرح فيه أحوال القوم، وحدَّث به مرارًا- يعني عوارف المعارف- قال: وأملى في آخر عمره كتابًا في الردِّ على الفلاسفة.

وقال ابن نقطة: كان شيخ العراق في وقته، صاحب مجاهدات وإيثار، وطريقة حميدة، ومروءة تامة وأوراد، على كبر سنه.

تُوفي ﷺ ليلة الأربعاء مستهل المحرم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وأُخرجت

جنازته من الغد إلى جامع القصر فصُلى عليه هناك، وحضر الأعيان وخلقٌ كثيرٌ، وحُمل إلى الوردية فدُفن في تربةٍ له مستجدة.

وعموية - بفتح العين المهملة وتشديد الميم وضمها، وبعدها ياء آخر الحروف مفتوحة وتاء تأنيث.

وسهرورد- بضم السين المهملة وسكون الهاء، وفتح الراء والواو، وسكون الراء الثانية، وفي آخرها دال مهملة- وهي بليدة عمد زنجار، من عراق العجم.

ومنهم: الشيخ أبو أحمد عبد القادر التيمي.

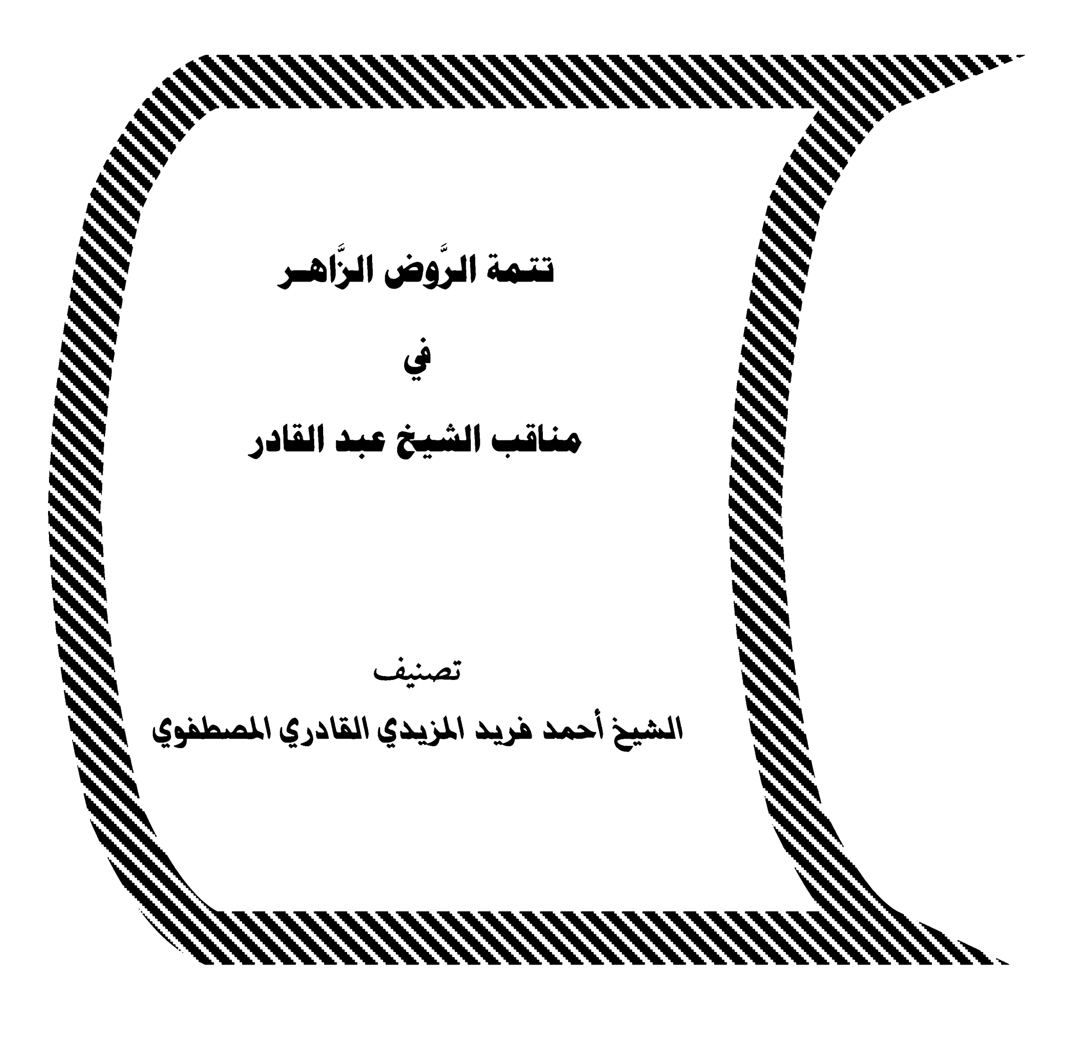
قال الذهبي: عبد القادر بن عثمان بن أبي البركات بن علي بن رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، أبو محمد البغدادي، شيخ صالح معمر من بيت مشيخة وعلم، وُلد في رابع صفر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، ولو سَمَّعَهُ أبوه لصار مسند الدنيا، فإنه أدرك إجازة القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، وأبي القاسم بن السمرقندي، وأدرك السماع من أصحاب أبي جعفر ابن المسلمة، وابن هرار مرد الصرسي، وقد صحب الشيخ عبد القادر، وذكر أنه سمع منه.

ومات رحمه الله تعالى في رمضان سنة ست وثلاثين وستمائة انتهى.

قال الإمام الحافظ زين الدين بن رجب في طبقاته:

عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلام القرشي الفقيه العارف الزاهد، أبو عمرو، نزيل الديار المصرية، كان يعظم الشيخ عبد القادر، ويُقال: إنه اجتمع به هو وأبو مدين بعرفات ولبسا منه الخرقة، وسمعا منه جزءًا من مروياته انتهى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.



تتمة الرَّوض الزَّاهـر

في

مناقب الشيخ عبد القادر

تصنيف

الشيخ أحمد فريد المزيدي القادري المصطفوي



الحكاية الأولى

عن الشيخ الكبير العارف بالله أبي سعيد القَيلوي - بفتح القاف وسكون المثناة من تحت ورفع اللام - ﷺ.

قال: حدَّثنا بعض أهل الحدادية أنه بنى دارًا وشيَّدها، وغصب في بنائها الصنَّاع، وسخَّر لها رجل من أصحاب الشيخ أبي محمد الشنبكي، وكثرت منه الشكاوى، فلما جاز الشيخ أبي محمد يومًا بها فقال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْض وَمَنْ عَلَيْهَا**﴾ [مريم:٤٠]، فسقطت الدار من أعلاها، ودكت قواعدها، فقال الشيخ: لن يعلو أبدًا إلى ما شاء الله، فكانوا كلما أحكموا بنائها وشيدوها سقطت، وما استطاع أحدٌ أن يرفع ثَمَّ جدارًا قط.

وعن الشيخ الكبير العارف بالله الشهير أبي الحسن علي بن الهيتي - بكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحت - ﷺ حكى لي الشيخ الشريف أبو سعيد الحامدي ﷺ قال: ما مررت يومًا بالحدادية إلا وسمعت النوبة بالجو تضربها الملائكة بالولاء للشيخ أبي محمد الشنبكي، والساؤوش - أو قال: الشاؤوش - يصيح له في السماء بالسلطان، وأرى الملائكة يسلمون عليه بالاحترام والتبجيل أفواجًا أفواجًا، وأنا الآن أسمع ذلك من جميع آفاق العراق، وما رأيت بلاءً نازلاً من السماء ومرَّ على الحدادية إلا تفرَّق وارتفع.

وكان ﷺ من أجلاَّء مشايخ العراق المشهورين، وأعيان العارفين المحققين، وأجلاَّء الصفوة المقدمين، عليّ المقامات السامية، وعليّ الكرامات السامية، صاحب الأحوال السَّنية، والهمم العليَّة، والأسرار القدسية، والأنوار الجمالية، والفتح السني، والكشف الجلي، والوصل الهني، والآيات الخارقة، والجلالات والإكرام، والقبول التام عند الخاص والعام، والتصريف النافذ في الوجود والأحكام.

ومن كلامه ﷺ:

ملاك السير إلى المعالي، إصلاح الباطن لمراد الحق، وإسقاط رؤية القرب، والاعتماد على الله ﷻ لرفع الحجب.

وأقرب القلوب إلى الله تعالى قلب رضي بصحبة الفقراء، وآثر الباقي على الفاني، وشهد سوابق القضاء، وأيس من أفعاله.

وإذا عجزت عن شيءٍ فلا تعجز عن رؤية ضعفك.

والعلماء بالله هم الواقفون معه على حدود الآداب، لا يتجاوزونها إلا بإذنٍ.

وأنفع العلوم العلم بالله.

ومن استغنى بشيءٍ دون الله فقد جهل قدر الله تعالى.

ومن زيَّن باطنه بالمراقبة والإخلاص زيَّن الله ظاهره بالمجاهدة واتِّباع السنة.

ومن رأيته يدَّعي مع الله حال يخرجه عن حدِّ الشريعة فلا تقربن منه. ومن رأيته يركن إلى الدنيا جلسة فلا تقربن منه. ومن رأيته يسكن إلى الرئاسة والتعظيم فإيَّاك وإيَّاه. ومن رأيته مستغنيًا بنفسه فاعلمن جهله.

ومن ادَّعى سرًّا مع الله تعالى لا يشهد له حفظ ظاهره فاتهمه في دينه.

ومن رأيته يرضى عن نفسه ويسكن إلى وقته فهو مخدوعٌ.

نسأل الله الكريم السلامة.

الحكاية الثانية

عن الشيخ محمد عبد الله البطائحي ﷺ قال: حضر مجلس شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ أبو المعالي محمد بن أحمد البغدادي التاجر رحمه الله، فأخذته حقنة شديدة منعته من الحركة لشدتها، وبلغت منه الجهد، فنظر إلى الشيخ نظرة المستغيث، فنزل الشيخ مرقاة، فظهر على المرقاة العليا رأس كرأس الآدمي، ثم نزل أخرى فنظر كتفان وصدرًا، وما زال ينزل مرقاة ويظهر من الجسد شيء فشيء حتى تكملت على الكرسي صورة كصورة الشيخ، يتكلم على الناس بصوت مثل صوته، وكلام مثل كلامه، ولا يرى ذلك إلا هو ومن شاء، ثم جاء يشق الناس حتى وقف عليه، وغطى رأسه بكمه، - وفي رواية: بمنديله - فإذا هو في صحراء متَّسعة، فيها نهر عنده شجرة، فعلق فيها مفاتيح كانت في كمه، وأزال حقنته وتوضأ من ذلك النهر وصلَّى ثَمَّ ركعتين، فلما سلم منهما رفع الشيخ كمه أو منديله فإذا هو بالمجلس أعضاؤه مبتلة بالماء، ولا حقنة به، والشيخ على الكرسي كأن لم ينزل فسكت، ولم يذكر ذلك لأحدٍ، وتفقد مفاتيحه فلم يجدها معه.

ثم بعد مدة جهز قافلة له إلى بلاد العجم، وساروا من بغداد أربعة عشر يومًا، ثم نزلوا منزلاً في بريةٍ فيها نهر، فذهب ليزيل حقنته، فقال: ما أشبهه هذه الصحراء وهذا النهر بذلك النهر، وتذكَّر شأنه في ذلك اليوم، فإذا هو بذلك النهر وتلك الشجرة وبحقنته يعني ما خرج منه في ذلك اليوم، فعرف ذلك ولم ينكر منه شيئًا، ووجد مفاتيحه معلَّقة في الشجرة، فلما رجعوا إلى بغداد أتى إلى الشيخ يخبره، فأمسك بأذنه قبل أن يخبره بشيءٍ وقال: يا أبا المعالي لا تذكره لأحدٍ وأنا حيٌّ، ولازم خدمته إلى أن مات رحمه الله تعالى[1].

الحكاية الثالثة

عن الشيخ الجليل أبي المعمر إسماعيل بن بركات الواسطي خادم الشيخ عزاز ﷺ قال: سمعت الشيخ عزاز ﷺ يقول: ورد عليَّ في بدايتي حال استغرقت فيه أربعين يومًا لا آكل، ولا أشرب، ولا أميز بين الأمرين.

ثم رجعت إلى حسِّي فذُهلت عن نفسي سبعة عشر يومًا، ثم عدت إلى حكم العادة، فاشتهت نفسي إلى خبز بر وسمكة مشوية، وماء عذب في إناءٍ جديد أحمر، وكنت إذ ذاك على الشط، فرأيت في وسط اللجة أشباحًا سودًا، فلما قربت مني إذا بثلاث سمكات يسبحن في الماء، على ظهر إحداهنَّ رغيف، وعلى الأخرى إناء فيه سمكة مشوية، وعلى ظهر الأخرى إناء جديد أحمر، والأمواج تضربهنَّ يمينًا وشمالاً، وما زِلن حتى انتهين إلَيَّ فألقت كل منهنَّ ما عليها بين يدي، كأنه إنسانٌ وضع بين يدي إنسان ما يريد، ثم استبقن في الماء، فتناولت الرغيف فإذا هو من خبز البر الأسمر، كالجمار حار ساخن، فأكلت منه بالسمكة المشوية، وشربت من الإناء الجديد ماءً لم أذق في دار الدُّنيا أحلى منه، فأكلت من الطعام وما نقص منه عشره وتركت الباقي.

ومن كلامه ﷺ:

الغفلة غفلتان: غفلة رحمة وغفلة نقمة. فأما التي هي رحمة كشف الغطاء؛ ليشاهد القوم العظمة والجلال، فينقلون من العبودية إلى الستر، وينتقلون من مراعاة الستر إلى المراقبة وإرادات الهيبة.

---

(١) انظر: بهجة الأسرار (١٠٤).

وأما التي هي النقمة فاشتغال العبد عن طاعة الله بمعصيته، أو التفاته إلى رؤية الكرامات غافلاً عن الاستقامة في العبودية.

والعارف يخاف زوال ما أُعطى، والخائف يخاف نزول الوعيد.

والخوف ينشأ من لحظ سطوة العزل.

والرجاء ينشأ من بسط رق الفضل.

والأرواح تلطفت بالأشواق فتعلقت عند لوعات الحقيقة بأذيال المشاهدة. فلم ترَ غير الحق معبودًا، وأيقنت أن الحديث لا يدرك القديم بصفات معلولة، وقلوب العاشقين طائرة إلى الحق بأجنحة المعرفة، سائرة بموالات المحبَّة، مجذوبة بأنوار قدسية إلى أنوار أنسية، ومنه إلى راحة تحويل القلب من الأسباب.

التصوُّف: الجلوس مع الله بلا همٍّ.

والتجريد: بارقة تحرق البقايا، وتمحق الرسوم، وتعصم من رؤية الكون.

والوجد: نورٌ مزهرٌ مقرونٌ بنيران اشتياق تحرق البقايا، وتلوح على الهياكل آثاره.

والمحبَّة: كأس لها وهج في الأسرار.

انتهى مختصرًا من نفائس جواهر معرفته ﷺ.

وكان قدَّس الله روحه من أكابر مشايخ العراق المصطفين، وأعيان أجلَّة العارفين، وأصفياء الصفوة المقرَّبين، صاحب الكرامات الخارقة، والمقامات العليَّة، والأسرار القدسية، والسرائر الموثقة، والبصائر المشرقة، والمعارف الشريفة، والحقائق اللطيفة، والفتح السني، والمشرب الهني، والمقر الأرفع في محاضر القدس، ومنادمة التحقيق في بساط الأنس، والقدم الراسخ في التمكين الواسع، والباع الطويل في التصريف النافذ من غير منازع، وما يطول من الفضائل ذكره ويتعذر منها حصره.

الحكاية الرابعة

عن الشيخ الكبير العارف بالله الشهير أبي النجيب السهروردي ﷺ قال:

كان الشيخ حماد الدباس أول شيخ فتح الله عليَّ ببركته، وكانت دباسته لا يدخلها دبور ولا ذباب، وكان بعض مماليك المسترشد يتردَّد إلى زيارته، فقال الشيخ: إني أرى لك في السابقة نصيبًا من القرب إلى الله ﷻ في الدرجات العُلا، فاترك دنياك وانقطع إلى الله ﷻ.

فلم يفعل، وكان بمنزلة من الخليفة، فدخل عليه يومًا وأنا عنده، وأعاد عليه القول فامتنع من موافقة الشيخ. فقال له: إن الله ﷻ قد حكمني فيك لآخذ بك إليه، شئت أو لم تشأ، وإني أمرت البرص أن يغشاك.

قال: فوالله ما أتم كلامه حتى عم البرص جميع البدن يعني المملوك. وبهت الحاضرون وقام ودخل على الخليفة وأحضر له الأطباء، فأجمعوا أن لا دواء له، فأشار عليه وجوه دولته بإخراجه من القصر، فأُخرج، وأتى إلى الشيخ حماد وقبَّل رجليه، وشكا إليه سوء حالته، والتزم موافقته فيما يأمره.

فقام إليه الشيخ ونزع قميصه الذي كان على جسده، وقال: اذهب أيها البرص من حيث جئت، فإذا جسده كالفضة البيضاء. فخطر له أن يرجع إلى الخليفة من الغد، فضرب الشيخ بإصبعه على جبهته، فخط في غرته خطًّا فإذا هو خط برص، وقال: هذا يمنعك من الدخول على الخلفاء، فلزم خدمة الشيخ إلى أن مات رحمه الله تعالى.

الحكاية الخامسة

حكى بعض الشيوخ الأجلَّة أن الشيخ الكبير يوسف بن أيوب الهمداني ؓ كان يومًا يتكلم على الناس، فقال له فقيهان كانا في مجلسه: اسكت فإنما أنت مبتدعٌ. فقال لهما: اسكتا لا عشتما، فماتا مكانهما.

قال: وأسر الإفرنج ولد امرأة من أهل همدان، فجاءت إلى الشيخ يوسف المذكور باكية فصبَّرها فلم تصبر.

فقال: اللهم فك أسره وعجِّل فرجه، ثم قال لها: اذهبي إلى دارك تجديه بها، فذهبت المرأة فإذا ولدها في الدار، فتعجبت وسألته قال: إني كنت الآن بالقسطنطينية العظمى والقيود في رجلي، والحرس عليَّ، فأتاني شخصٌ ما رأيته قط فاحتملني، وأتى بي إلى هنا كلمحة البصر.

فجاءت إلى الشيخ يوسف متعجبة فقال: أتعجبين من أمر الله؟!.

وكان له القدم الراسخ في العلوم والمعارف، واليد البيضاء في الفتاوى الدينية، والباع الطويل في الأحكام الشرعية، والإيضاح الجلي عن مخفيات الحواصل، والفعل الخارق في التصريف الظاهر.

واجتمع عنده في الخانقاة من العلماء والفقهاء والصلحاء جماعة كثيرة، وانتفعوا

بكلامه وانتهت إليه تربية المريدين بخراسان.

ومن كلامه ﷺ: السماع سفير إلى الحق، ورسول من الحق، وهو لطائف الحق وزوائده، وفوائد الغيب وموارده، وبوادي الفتح وعوائده، ومعاني الكشف ومقاربه، وهو للأرواح قوتها، وللأشباح غذاؤها، وللقلوب نضارتها، وللأسرار نقاؤها، هتاك الستر، وكشاف السر، وبرقة لمعت، وشمس طلعت.

وسماع الأرواح باستماع القلوب على بساط القرب تشاهد الحضور من غير حضور، والسماع يكون في كل فكرةٍ ولحظةٍ وتدبُّرٍ وتذكرٍ وتفكُّرٍ، وهبوب كل ريحٍ، وحركة كل شجرةٍ، ونطق كل ناطقةٍ في الكون، وتراهم والهين حيارى أسارى خاشعين سُكارى.

الحكاية السادسة

يُحكى عن بعض أهل العلم أن الشيخ الكبير العارف بالله الشهير عقيلاً المنبجي ﷺ: إنه خرج مع جماعة من المريدين يزورون، فلما وصلوا إلى الفرات وضع كل منهم سجادته على الماء ومرَّ عليها، ووضع الشيخ عقيل المذكور سجادته وجلس على الماء، فغاص في الماء، فلم يشعروا به إلا على البر من الجانب الآخر، ولم يبتل منه شيء، فذكروا ذلك لشيخه فسأله فقال: عقيل من الغواصين، وهو المُسمَّى بالطيار؛ لأنه لما أراد الانتقال من قريته التي كان مقيمًا فيها ببلاد المشرق صعد إلى منارتها وطار والناس ينظرون، فجاءوا فوجدوه في منبج.

وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم الشيخ أبو الحسن القرشي ﷺ: رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء: الشيخ عبد القادر، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ عقيل المنبجي، والشيخ حياة بن قيس الحراني، رضي الله عنهم أجمعين.

الحكاية السابعة

عن الشيخ الجليل العارف بالله أبي محمد صالح قال: سمعت شيخنا الشيخ القدوة أبا مدين ﷺ يقول: جاء بعض أصحابنا شيخنا أبا يعزى ﷺ يشكي جدبًا بالمغرب وقال: إن لي أرضًا أقتاد أنا وعيالي من زرعها وقد أجدبت، فقام معه الشيخ وأتى أرضه

ومشى فيها، وجعل يسأل عن جدبها بعكازه، يقول: إلى هنا وإلى هنا، حتى أتمها إلى آخرها، ومطرت أرضه خاصة حتى رُويت لم يعهد المطر ولم تزرع أرض بالمغرب فيها سواها.

قلت: ولحق هذه الحكاية مما جرى له مع بعض شيوخ اليمن، وهو الولي الكبير، والسيد الشهير محمد بن يعقوب المكنى أبي حربة ﷺ، على ما بلغني عنه أنه شكا إليه بعض أصحابه عطش زرعه، فأمره أن يصلح مجراة السيل إلى أرضه ففعل ذلك، والسماء مضحية والشمس حارة، وصار الناس يتعجبون منه ويستخفون عقله وفعله؛ ذلك مع عدم العلامات والقرائن الدَّالات على المطر، فلما فرغ من إصلاح المجراة جاء السيل من الغد على غفلةٍ، وسقى أرضه دون غيره؛ لعدم إصلاح مجاري الماء إليها، وإنما كنى أبي حربة لقتله بعض الظلمة من ولاة السلطان، فأشار بإصبع سبابته يوجه بها الحربة، فمن يرمي بها يُقتل. وهو ممن رأيته في حياته وزرت قبره بعد مماته.

ومن كلام الشيخ أبي يعزى ﷺ: الأحوال مالكة لأهل البدايات فهي تصرفهم، ومملوكة لأهل النهايات فهم يصرفونها، وكل حقيقةٍ لا تمحو أثر العبد ورعونته فليست بحقيقة.

ومنه: لا يكون الولي وليًا حتى يكون له قدمًا ومقامًا وحالاً ومنازلةً وسرًا. فالقدم ما تسلكه في طريقك إلى الحق سبحانه وتعالى، والمقام ما قرَّبك إليه سابقك في العلم الأزلي، وما نعتك من فوائد الوصول إلا من نتائج السلوك، والمنازلة ما خصصت به، الحضور يبعث على المشاهدة، والسر ما ادعته من لطائف الأزل عند هجوم الجمع ومحق السوى، وتلاشى ذلك.

الحكاية الثامنة

عن الشيخين أبي عمر عثمان الصيرفيني، وأبي محمد عبد الحق الحريمي، قالا: كنا بين يدي الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ بمدرسته في يوم الأحد ثالث صفر سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فقام وتوضأ في قبقابٍ له، وصلَّى ركعتين فلما فرغ منهما، صرخ صرخة عظيمة وأخذ فردة من قبقابه ذلك ورمى بها في الهواء فغابت عن أبصارنا، ثم صرخ أخرى ورمى بالفردة الأخرى فغابت عن أبصارنا، ثم جلس فلم يتجاسر أحد على سؤاله، ثم بعد ثلاثة وعشرين يومًا قدمت قافلة من بلاد العجم،

وقالوا: إن معنا للشيخ نذرًا فناشدناه، فقال: خذوه منهم، فأعطونا مناديل من حريرٍ، وثوبًا من خزٍّ، وذهبًا وقبقاب الشيخ الذي رمى به في ذلك اليوم، فقلنا لهم: من أين لكم هذا القبقاب؟ فقالوا: بينما نحن سائرون يوم الأحد ثالث صفر إذ خرجت علينا عرب لهم مقدمان، فانتهبوا أموالنا وقتلوا منا ونزلوا واديًا يقسمون أموالنا، ونزلنا في شفير الوادي فقلنا: لو ذكرنا الشيخ عبد القادر في هذا الوقت، فنذرنا له شيئًا من أموالنا إن سلمنا فما هو إلا أن ذكرناه، فسمعنا صرختين عظيمتين ملأتا الوادي، فرأيناهم مذعورين، فظننا أن قد جاءهم عرب آخرون، فجاء إلينا بعضهم وقالوا: تعالوا خذوا أموالكم، وانظروا ما قد دهمنا فأتوا بنا إلى مقدميهم فوجدناهما ميتين، وعند كل منهما فردة من هذا القبقاب مبتلة، فردوا علينا أموالنا وقالوا: إن لهذا الأمر نبأً عظيمًا[١].

الحكاية التاسعة

عن الشيخ قيس بن يونس الشامي قال: أتى رجلٌ مغربيٌّ اسمه عبد الرحمن بن أحمد ابن الشيخ علي بن وهب المذكور السنجاري بسبيكة ذهب، وقال: يا سيدي هذه للفقراء من صنعي فقال الشيخ لمن حضره: من عنده آنية من النحاس فليأتيني بها؟ فأتوا بأواني كثيرة من النحاس من الطاسات والأطباق، وأمر بها فجُعلت لوسط الزاوية، وقام ومشى عليها فصار بعضها ذهبًا وبعضها فضةً، إلا طاسين فقال الشيخ لأصحاب الآنية: من له إناء فليأخذه، فأخذوها ذهبًا وفضةً، ثم قال لعبد الرحمن: يا بني إن الله تعالى قد أعطانا هذا كله، وقد تركناه فلا حاجة لنا في سبيكتك، فسألنا عن سبب اختلاف الأواني فقال: لما قلت: من عنده آنية فليأتيني بها، فمن انبعث لكلامي ولم يجد في نفسه حرجًا صارت آنيته ذهبًا، ومن وجد في نفسه بعض حرج صارت آنيته فضة، ورجلان منهم أساءا بي الظن فلم تتغيَّر آنيتهما.

ومن قوله ﵁: من أحبَّه الحق وأراده سكن في قلبه الإرادة، فالمريد محبٌّ طالبٌ، والشوق لقلبه غالب، والشوق إليه طالب.

والمراد محبوب طالب، والشوق لقلبه غالب، مطلوب مأخوذ مسلوب، إلى الجبار مجذوب، قد ظهر عليه الشوق وغلب؛ إذ قد وجد ما طلب، فقد قطع الطريق فطواها،

---

(١) انظر: بهجة الأسرار (ص١٣٢).

وأزال نفسه ومحاها، ومحا الأكوان من نظره فما يراها.

قلت: وقد تقدَّم أنه رأى أبا بكر الصديق ﷺ في المنام وألبسه طاقية، ثم استيقظ والطاقية بعينها على رأسه.

قال: ثم جاءني الخضر ﷺ بعد أيامٍ وقال لي: اخرج إلى الناس ينتفعوا بك، فتثبت في أمري، ثم رأيت أبا بكر الصديق ﷺ في النوم وقال لي كمقالة الخضر، فاستيقظت وعزمت على الخروج، ثم نمت وتثبت في أمري، ثم رأيت رسول الله ﷺ في الليلة الثانية فقال لي كمقالة الصدِّيق ﷺ، فاستيقظت وعزمت على الخروج، ثم نمت في آخر الليل، فرأيت الحق سبحانه وتعالى وقال لي: يا عبدي قد جعلتك من صفوتي في أرضي، وأيَّدتك في جميع أحوالك، وأقمتك رحمة لخلقي، اخرج إليهم، واحكم فيهم بما علَّمتك من حكمي، واظهر فيهم بما أيَّدتك من آياتي، قال: فاستيقظت وخرجت إلى الناس فاهرعوا إلَيَّ من كل جانبٍ.

وكان ﷺ عالمًا فاضلاً فصيحًا متواضعًا، من أجلاَّء المشايخ العارفين، أولي الفتح السني، والكشف الجلي، والكرامات الظاهرات، والأحوال الجليلة والتمكُّن.

الحكاية العاشرة

عن بعضهم قال: شهدت الشيخ موسى بن ماهين الزولي ﷺ وقد أتته امرأة بصغير وقالت له: هذا فلانٌ بن فلان، عمره أربعة أشهر، فدعاه الشيخ إليه فأتاه الصغير يعدو وقال له: اقرأ: قل هو الله أحد، فأقرأه سورة الإخلاص فقرأها الصبيُّ بلسانٍ فصيحٍ، وما زال يمشي ويتكلَّم من ذلك الوقت إلى أن بلغ سن من يمشي ويتكلم، قال: ورأيته بعد موت الشيخ بثلاثين سنة، فوالله ما رأيت فصاحة تعلو على فصاحته حين تكلم بين يدي الشيخ أول مرة.

ومن كلام الشيخ موسى ﷺ: لو رُفع لك الحجاب على بساط الروحانية لكلمك هو من ذاتك، وانكشفت الأنوار والحقائق، وروائح أرواح الثنا واللمع اللامع، والفتح الطالع، من وطئ سابلها واستوى، ومن ركب برقها بلغ سدرة المنتهى.

الحكاية الحادية عشر

عن الشيخ الكبير الإمام الشهير شهاب الدين السهروردي ﷺ قال: كنت مرة عند

عمي شيخنا الشيخ أبي النجيب عبد القاهر ﷺ، فأتاه إنسان بعجلٍ وقال: يا سيدي، هذا العجل نذرناه لك، وانصرف، فجاء العجل حتى وقف بين يدي الشيخ، فقال الشيخ لنا: إن هذا العجل يقول: إني لست العجل الذى نُذر لك، بل نُذرت للشيخ علي بن الهيتي، وإنما نُذر لك أخي - أو قال: آخر - فلم يلبث أن جاء صاحب الثور ومعه عجلٌ شبيه الأول، فقال للشيخ: يا سيدي إني نذرت لك هذا العجل، ونذرت للشيخ علي بن الهيتي الذى أتيتك به أولاً، وكانا اشتبها عليَّ، وأخذ الأول وانصرف.

قال: وحضر عنده ثلاثة من اليهود، وثلاثة من النصارى، فعرض عليهم الإسلام فأبوا إباءً عظيمًا، فوضع في فم كل واحدٍ منهم لقمة من لبنٍ، فما تمَّ أحدهم بلعها حتى أسلم، فأسلموا ستتهم وقالوا: لما خالط اللبن بواطننا نسخ منا كل دينٍ غير دين الإسلام، فقال الشيخ: وعزة المعبود ما أسلمتم حتى أسلم شياطينكم على يدي، وإني استوهبتكم من الله فوهبكم لي، ثم مسح بيده على عيونهم فكشف لهم عن قرنائهم، وخاطبوهم بالإسلام.

الحكاية الثانية عشر

عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن مسعود المعروف بالرومي قال: مررت مرة مع شيخنا الشيخ أبي النجيب ﷺ بسوق السلطان ببغداد، فنظر إلى شاةٍ مسلوخةٍ معلقةٍ عند جزار، فوقف عنده فقال له: إن هذه الشاة تقول لي أنها ميتة، فغشي على الجزار وتاب على يد الشيخ وأقرَّ بصحة قوله.

قلت: ونحو هذا ما بلغني عن بعضهم، أنه مرَّ على شواء بين يديه كبش مشوي، يريد تقطيعه وبيعه على المسلمين، فكشف له عن كونه ميتة، فدفع إلى الجزار شيئًا من الدراهم وأمر بحمله وإلقائه على بعض المزابل للكلاب، وهذا السيد المذكور هو الشيخ عبد الله المولى.

ومن كراماته أيضًا ﷺ: إني خرجت على الاجتماع به في القرافة، فلم يعد لي به اجتماع إلى أن كان وقت سفري، وإذا به قد جاء إلى المكان الذي أنا فيه متألمًا، ثم سافرت في الحال.

ويحتمل أن عدم إنكاره على الشواء المذكور، وأخذه منه من غير بذل شيء على أحد وجهين: أحدهما: ستر الحال، والبعد عن التوبيخ، والثاني: خشية أن ينكر الشواء

عليه ويبيعه، ولا يلتفت إلى قوله ألبتة.

ورجعنا إلى ما يتعلَّق بذكر الشيخ أبي النجيب قال الراوي: ومررت معه مرة أخرى على الجسر، فرأى رجلاً يحمل فاكهة كثيرة فقال له: ضع هذه الفاكهة، قال: ولِمَا؟ قال: إنها تقول لي: ابعدني من يد هذا؛ لأنه اشتراني ليشرب عليَّ الخمر، فأغمى على الرجل وسقط على وجهه، ثم أتى الشيخ وتاب على يديه، وقال: والله ما علم بهذا الحال الذي أخبر به الشيخ غير الله وأنا.

قال: وخرجت معه يومًا بالكرخ، فسمعنا أخلاط أصوات سكارى في دارٍ، فشممنا رائحة منكرة، فدخل الشيخ دهليز الدار وصلَّى ركعتين، وخرج من كان فيها صالحين فإذا الخمر الذي كان في الأولى قد صار ماء، وتابوا كلهم على يد الشيخ ﷺ.

وكان ﷺ من أعيان المحققين، وعلامة العلماء والعارفين، صاحب الكشف الظاهر والكرامات الخارقة، والأحوال النفيسة، والمقامات الرفيعة، والأنفاس الصادقة، والمعارف الغيبية، وهو أحد من درَّس بالنظامية، وقُصد للفتاوى، ووضع الكتب المفيدة بها في علمي الشريعة والحقيقة، وكان يُلقَّب بمفتي العراقيين، وقدوة الفريقين، وأحد أركان هذا الشأن وأئمة ساداته، وأجلاَّء قادته، له المنهاج العلي في الحقائق، والمعراج الأرفع في المعالي، والعز السامي في القرب، والقدم الراسخ في التمكين، والباع الطويل في أشرف الأخلاق، وأطيب الأعراق، وانعقد عليه اجتماع المشايخ والعلماء بالاحترام، وأوقع الله له في الصدور القبول التام، وكان بهي السمت، ظاهر الرِّضا أو الوضاءة، وكان يشرح أحوال القوم، ويلبس لباس العلماء، ويركب البغلة، ويرفع بين يديه الغاشية.

قال ﷺ: أول التصوُّف علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة، فالعلم يكشف عن المراد، والعمل يعين على الطلب، والموهبة تبلغ غاية الأمل وأهله على ثلاث طبقات: مريد طالب، ومتوسط سائر، ومنتهي واصل، فالمريد صاحب وقت، والمتوسط صاحب حال، والمنتهي صاحب يقين، وأفضل الأشياء عندهم عد الأنفاس.

فمقام المريد المجاهدات والمكابدات، وتجرع المرارات، ومجانبة الحظوظ وما للنفس فيه هوى، ومقام المتوسط ركوب الأهوال في طلب المراد، ومراعاة الصدق في الأحوال، واستعمال الأدب في المقامات، وهو مطالب بآداب المنازل، وهو صاحب

تلوين؛ لأنه مرتق من حالٍ إلى حالٍ وهو في الزيادة.

ومقام النهاية الصحو والثبات، وإجابة الحق من حيث دعاه قد جاوز المقامات، وهو في محل التمكين لا تغيره الأحوال، ولا تؤثر فيه الأهوال، قد استوى في حال الشدة والرخاء، والمنع والعطاء، والجفا والوفا، أكله كجوعه، ونومه كسهره، قد فنيت حظوظه، وبقيت حقوقه، ظاهره مع الخلق، وباطنه مع الحق.

الحكاية الثالثة عشر

عن الشيخ الإمام العارف تقي الدين علي بن المبارك الواسطي قال: جلس سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي ﷺ يومًا على الشط وأصحابه حوله فقال: نشتهي أن نأكل اليوم سمكًا مشويًّا، فما أتمَّ كلامه حتى امتلأ الشط أسماكًا من أنواع شتى، ووثب منها شيءٌ كثيرٌ إلى البرِّ فقال الشيخ: إن هذه الأسماك كلها تسألني بالله أن آكل منها، فصاد الفقراء منها كثيرًا وشووه، وقدموه سماطًا عظيمًا في طواجن، وأكلوا منها حتى شبعوا، وبقي في الطواجن من هذه السمكة رأسها، ومن هذه ذنبها، ومن هذه نصفها، فقال له رجلٌ: يا سيدي ما صفة الرجل المتمكن؟ قال: أن يُعطى التصرُّف التام في جميع الخلائق، قال له: فما علامة ذلك؟ قال: أن يقول لبقايا هذه الأسماك: قومي فاسعي، فتقوم فتسعى، ثم أشار الشيخ إلى تلك الطواجن بيده: أيتها الأسماك في هذه الطواجن قومي فاسعي بإذن الله ﷻ، فلم يتم كلامه حتى وثبت تلك البقايا في البحر أسماكًا صحيحة، وذهبت في الماء من حيث أتت.

الحكاية الرابعة عشر

عن الشيخ الجليل أبي الحسن علي ابن أخت سيدي أحمد الرفاعي ﷺ قال: كنت يومًا جالسًا على باب خلوة خالي الشيخ أحمد، وليس فيها غيره، فسمعت عنده حسًّا فنظرت فإذا عنده رجلٌ ما رأيته قط قبل، فتحدثا طويلاً، ثم خرج الرجل من كوة من حائطٍ، ومرَّ في الهواء كالبرق الخاطف، فدخلت على خالي وقلت له: مَن الرجل؟ فقال: أرأيته؟ قلت: نعم. فقال: هو الرجل الذي يحفظ الله به قطر البحر المحيط، وهو أحد الأربعة الخواص إلا أنه هجر منذ ثلاث ليال وهو لا يعلم، فقلت له: يا سيدي ما سبب هجره؟ قال: إنه مقيمٌ بجزيرة في البحر المحيط، ومنذ ثلاث ليال أمطرت جزيرته

حتى سالت أوديتها، فخطر في نفسه أن لو كان هذا المطر في العمران! ثم استغفر الله تعالى فهجر بسبب اعتراضه فقلت: هل أعلمته؟ قال: إني استحييت منه، فقلت له: لو أذنت لي لأعلمته، قال: أوَ تفعل؟ قلت: نعم. فقال: فرفعت ثم سمعت صوته: يا علي ارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا أنا بجزيرة في البحر المحيط، فتحيَّرت في أمري، وقمت أمشي فيها فإذا أنا بذلك الرجل، فسلمت عليه وأخبرته، فقال: ناشدتك الله تعالى إلا ما فعلت ما أقول لك، قلت: نعم. قال: ضع خرقتي في عنقي، واسحبني على وجهي، ونادي عليّ: هذا جزاء من يعترض على الله سبحانه وتعالى، فوضعت الخرقة في عنقه، وهممت أسحبه فإذا هاتفٌ يقول: يا علي دعه، فقد ضجَّت ملائكة السماء باكية عليه، وسائلة فيه، وقد ﷺ قال: فأُغمي عليَّ ساعةً، ثم سري عني، وإذا أنا بين يدي خالي بخلوته، فوالله ما أدري كيف ذهبت ولا كيف جئت.

وكان ﷺ شافعي المذهب، وما يصدر في مجلسٍ إلا جلس على سجادةٍ تواضعًا، وكان من أعيان مشايخ العراق، وأجلاَّء العارفين، وأكابر المحققين، وصدور المقرَّبين، صاحب المقامات العلية، والأحوال السنية، والكرامات الجليلة، عمَّر الله القلوب بمحبته، وملأ الصدور من مهابته، وعمَّر الأوطان بذكره، وعطَّر الآفاق بنشره، فاستطار في الأيام استطارة النار بالرياح، وعلا في العالمين علو الجو في الصباح، وانتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق، وشرح أحوال القوم، وكشف مشكلات منازلاتهم، وتجرع بمحبته جماعة كثير من أعلام الطريق، وتتلمذ له خلقٌ لا يُحصون من أرباب الأحوال الصادقة، وانتمى إليه عالم عظيم في كل قطرٍ، وتبعه جمٌّ غفيرٌ من كل جهةٍ، ورماه المشايخ والعلماء وغيرهم بأبصار التبجيل، وشهد له الخلق بالاحترام والتفضيل، وقُصد لزيارته من كل فجٍّ عميقٍ، وكان مشتملاً على لطف الأخلاق، وشرف الصفات، وكمال الآداب[١].

قلت: هذا بعض ما قيل فيه، وحذفت كثيرًا من مناقبه كما حذفت ما يطول ذكره من مناقب غيره من المشايخ.

ومن كلامه ﷺ:

الكشف قوة جاذبة بخاصيتها نور عين البصيرة إلى فيض الغيب، فتشعل نورها به

(١) انظر: بهجة الأسرار (ص٤٣٣)، .

اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها، ثم تتقاذف النور منعكسًا بصورته على صفاء القلب، ثم يرقى ساطعًا إلى عالم العقل على إنسان عين السر، فترى ما خفي عن الأبصار موضعه، ودق عن الأوهام تصوره، واستتر عن الإنسان مرآه.

ومنه: الزُّهد: أساس الأحوال المرضية، والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله ﷻ، والمنقطعين إلى الله تعالى، والرَّاضين عن الله ﷻ، والمتوكلين على الله، فمن لم يحكم أساسه في الزُّهد لم يصح له شيء.

والعبودية: رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وغنيمة العارفين، ومنية المريدين، ورضا الجبار، وكرامة لأهل ولايته.

والأنس بالله: لعبد قد كملت طهارته، وصفا ذكره، واستوحش من كل ما شغله عن الله ﷻ، وعند ذلك آنسه الله، وردّاه برداء حقائق الأنس به.

ومنه: لسان الورع يدعو إلى ترك الآفات، ولسان البعد يدعو إلى دوام الاجتهاد، ولسان المحبَّة يدعو إلى الذوبان والهيمان، ولسان المعرفة يدعو إلى الفناء والمحو، ولسان التوحيد يدعو إلى الإثبات والمحق، ومن أعرض عن الاعتراض أدبًا فهو الحكيم المتأدب.

قيل: كان سبب مرضه الذي مات فيه أنه سمع قائلاً ينشد أبياتًا واضطرب وانزعج:

إذَا جــنَّ لَـيْل هَـامَ قَلْبـي بِذِكـرِكم ... أَنُـوحُ كَمَـا نَـاحَ الحمَـامُ المُطَـوقُ

وَفَوْقِي سِحَابٌ يمطِرُ الهمّ والأسَى ... وَتحتِـي بِحَـارًا بِالأَسَـى تَـتَدَفَّقُ

سَلُوا أم عَمرو كَيْفَ كَانَ أَسِيرهَا؟ ... تفـك الأسَـارى دُونَـه وَهُـو موثـقُ

فَـلاَ هُـوَ مَقْـتُولٌ فَفِـي القـتْلِ رَاحَـة ... وَلاَ هُـوَ ممـنونٌ عَلَـيْه فيُعـتقُ

الحكاية الخامسة عشر

عن الشيخ الكبير العارف بالله علي بن إدريس اليعقوبي أن الشيخ الكبير العارف بالله علي بن الهيتي، ركب دابةً مرة وأتى إلى بلدةٍ من أعمال نهر الملك، ونزل على بعض أهلها، فاحتفل به الرجل احتفالاً عظيمًا، فقال له الشيخ: اذبح هذه الدجاجة وهذه، يشير إلى دجاجٍ بين يديه، ففعل فخرج من بطونها حبات من ذهبٍ فبهت الرجل، وكانت لأخته؛ لأنها كان لها صيغة من حلي الذهب فانقطعت ولم تشعر، والتقطها الدجاج

وفقدتها، وظن أهلها أنه حدث عليها أمر وهمُّوا بقتلها تلك الليلة، فقال الشيخ: إن الله أطلعني على أمر أختكم وعلى ما في نفوسكم، وعلى ما في بطن هذه الدجاجة، وإني استأذنت ربي سبحانه وتعالى أن أكشف لكم هذه القصة، وأنقذكم من الهلكة، فأذن لي.

قال الراوي المذكور: وسِرنا معه مرة أخرى في قرى نهر الملك، فوجدنا أهل قريتين قد شهروا سيوفهم، وتوجهوا للقتال وبينهم قتيل مطروح، وقد اتهم بعض الفريقين بعضًا في قتله، فجاء الشيخ حتى وقف على رأس القتيل وأخذ بناصيته، وقال: من قتلك يا عبد الله؟ فاستوى القتيل جالسًا وفتح عينيه ونظر إلى الشيخ، فقال بلسانٍ فصيحٍ سمعه كل من حضر: قتلني فلان بن فلان، ثم طُرح كما هو وعاد إلى حالته الأولى.

الحكاية السادسة عشر

عن الفتح خادم الشيخ الجليل العارف بالله أبي زكريا يحيى بن محمد المرتعش ﷺ قال:

سألت شيخنا الشيخ يحيى عن ارتعاشه هل هو مرضٌ أو بسببٍ؟ فقال: مررت يومًا بالهواء على قرية الشيخ بقا ﷺ فرأيت رجلاً جالسًا على مزبلةٍ، فقلت: يا جالسًا على هذه المزبلة قم؛ فإنه لا يجلس على المزابل إلا من منزلته صدور المراتب، فرفع رأسه ونظر إلَيَّ فإذا هو الشيخ بقا، فأخذني ارتعاش من هيبة نظرته إلَيَّ.

وكان يومًا يتحدث في كرامات الأولياء وعنده رجلٌ من ذوي الأحوال والكشف والفتح، فقال ذلك الرجل: الرجل في زماننا هذا من إذا استقى ماء من البئر طلع إليه في الدلو ذهب، وإذا توجَّه إلى جهةٍ رآها ذهبًا، وإذا وقف يصلِّي رأى الكعبة أمامه، وكان هذا حال ذلك الرجل، فنظر إليه الشيخ بقا ثم أطرق، ففقد جميع أحواله، وتوارى عنه جميع ما يشهده أو يجده، فجاء إلى الشيخ مستغفرًا، فقال له: ما مضى لا يعود، أو قال: لا يُعاد.

قال: وزاره ثلاثة من الفقهاء وصلُّوا خلفه العشاء، فلم تقوم القراءة كما يريد الفقهاء، فساء ظنهم به، وباتوا في زاويته، فأجنبوا ثلاثتهم، وخرجوا إلى نهرٍ على باب الزاوية ونزلوا فيه يغتسلون، فجاء أسدٌ عظيم الخلقة، وربض على ثيابهم، وكانت ليلة

شديدة البرد، فأيقنوا بالهلاك، فخرج الشيخ من الزاوية فجاء الأسد وتمرَّغ على رجليه، فجعل الشيخ يضربه بكمه: لِمَ تعارض ضيوفنا وإن أساءوا الظن بنا؟ فولى الأسد وطلعوا من الماء واستغفروا له، فقال لهم: أنتم أصلحتم ألسنتكم، ونحن أصلحنا قلوبنا.

وقد حُكي مثل هذه القصة لغيره من المشايخ، وقال فيها: أنتم اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد.

الحكاية السابعة عشر

عن الشيخ الجليل علي بن إدريس اليعقوبي ﷺ قال:

وقع حريقٌ فظيعٌ في قرية الشيخ بقا، وفشا واستطار في أرجائها، فجاء الشيخ بقا بين النار وبين المواضع التى ما كانت وصلت إليها النار وقال: إني هنا يا مباركة، فخمدت مكانها في الحال.

قال: وكان يومًا جالسًا على شط نهر الملك فمرَّت به سفينة فيها جندٌ ومعهم خمر وفواكه ونساء متبرجات وصبيان ومغاني، وهم في غلبةٍ من اللهو والطغيان، فقال الشيخ بقا للملاح: اتَّقِ الله، وقدم إلى البحر فلم يلتفتوا إلى كلامه، فقال: أيها النهر المسخر خُذ الفجرة، فنما الماء عليهم حتى طلع إلى السفينة، وأشرفوا على الغرق، فضجُّوا بالشيخ وأعلنوا بالتوبة، فعاد الماء إلى حاله، وحسنت توبتهم، وكانوا بعد ذلك يكثرون من زيارته.

وكان ﷺ من أحد العارفين، وأكابر المقرَّبين، صاحب الأحوال البهية، والمعارف السنية، والمقامات العلية، والكرامات الباهرة، والآيات الظاهرة، والإشارات اللطيفة، والمعاني الشريفة، والباع الطويل في الكشف، والمحل العالي في التمكين، والمقر السامي في القرب، والقدم الراسخ في الطريق.

ومن كلامه ﷺ:

أنصف الناس من نفسك، واقبل النصيحة ممن دونك تدرك شرف المنازل.

ومن لم يجد في قلبه زاجر فهو خرابٌ، وإذا سلا القلب عن الشهوات فهو معافي.

ومن لم يستعن بالله تعالى على نفسه صرعته.

ومن لم يقم بآداب أهل البداية كيف تتم له دعوى مقامات أهل النهايات.

انتهى مختصرًا.

قلت: وقوله: (من لم يستعن بالله على نفسه صرعته) من شواهد ذلك أني رأيت في المنام امرأتين تعرضتا إلَيَّ، فصارعتني إحداهما وكانت شابة، فلاقيت شدة حتى كادت ترميني، فقلت: استعنت بالله فرميتها على الأرض بعون الله تعالى، والأخرى قائمة لم تقربني، ثم استيقظت وخطر لي والله أعلم أن التى صارعتني هى النفس، والأخرى هى الدنيا، وقد رأيتها مرة أخرى مع شيخٍ عليها من الحلي والحلل ما يدهش الناظرين، وكان ذلك الشيخ يقول لي: انظر إليها، وهو يزينها ويحسنها مثل ماشطة العروس، وكأنها تقول لي: بالله عليك قبّلني، فلم أفعل والحمد لله. فأولت ذلك الشيخ أنه الشيطان وتلك المرأة الدنيا، نعوذ بالله من شرِّها ومن شرِّ النفس الأمَّارة بالسوء، ومن شرِّ كل ذي شرٍّ.

وقال بعض الصالحين: رأيت امرأة حسنة مُزينة بالحُلي والُحلل، أو كما قال: ثلاث ليالٍ وهى على يساره، وألا يلتفت إليها، ونحو ذلك من المقال، وأشار إلى أن يكون على اليسار عدم الالتفات إليها بحماية الله ﷻ، والسلامة من فتنتها.

نسأل الله الكريم السلامة من جميع الفتن، ونعوذ به من جميع البلاء والمحن، إنه حميدٌ مجيدٌ.

الحكاية الثامنة عشر

عن الشيخ أبي محمد المدني رحمه الله تعالى قال: استأذنت شيخنا الشيخ أبا سعيد ﷺ بمسيري إلى دمشق، فأذن لي وأعطاني تفاحتين، وقال: كُلْ إحداهما في روحتك، والأخرى في رجعتك، ولا تأكل شيئًا من غيرهما، قال: فلقد كانت إحداهما زادي من العراق إلى دمشق، وكنت كلما احتجت أكلت منها فتشبعني، ولا أقدر على إنهائها، فإذا رجعت ثانيًا وجدتها صحيحة كأن لم يمسها أحدٌ، فلما وصلت إلى العراق تبقى على ما وصفت من حال أختها.

قلت: يعني أنه شبع منها، ثم تعود صحيحة كما كانت كل حينٍ مدة سفره.

وكان الشيخ أبو سعيد المذكور من أكابر العارفين المحققين، صاحب المقامات العلية، والمعارف الجلية، والسر السني، والمشرب الهني، والمكان المكين في المعالي، والمعراج العالي في أحوال النهاية، والطور الرفيع في منازل الولاية، وهو أحد الفقهاء

المعتبرين، والعلماء المعنيين.

ومن كلامه ﷺ:

التصوُّف لأقوام أغلبوا حتى بسطوا، وابتغوا في طلب الوصل حتى قُيدوا، ثم نُودوا من أسرار قربه فقالوا: لبيك اللهم لبيك.

وحسن الإرادة الدخول في كل خلقٍ سنيٍّ، والخروج من كل وصفٍ دنيٍّ، ومراقبة الأحوال، ولزوم الآداب في كل نفسٍ، والإقبال على الله تعالى بمحو الشرف، وإسقاط التكلف.

والتوكُّل: الثقة بالمضمون، والقيام بالأوامر، ومراعاة السر، والتخلي من الكونين.

والتوحيد: غض الطرف من الأكوان بمشاهدة من هو منزَّهٌ عن كل نقصانٍ.

الحكاية التاسعة عشر

عن الشيخ عوض بن سلامة البغدادي رحمه الله تعالى قال: أخبرنا الشيخ والدي قال:

مررت بقرية الشيخ الباذراني فإذا جراد عظيمة سدَّت الأفق من كثرتها، يقدمها رجلٌ راكب على جواده، ينادي بأعلى صوته: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والجراد يتبعه حيث توجَّه، فخرج الشيخ مطر الباذراني ﷺ(١) إلى ظاهر زاويته ونادى: يا جند الله ارجعي من حيث جئتِ، فنكص الجراد على عقبيه مدبرًا جميعه، وانقض الرجل من الهواء كالعقاب حتى سقط بين يدي الشيخ، فقال: يا هذا، ما حملك أن تمر ببلدي بغير إذني؟ فانكب على رجل الشيخ يقبّلها ويستغفر، وسأله أن يرد عليه ما سلبه، فقال له الشيخ: قم فاذهب، فمرَّ الرجل في الهواء كالسهم المفوق، وسقط الجراد عن بلاد العراق، وأخذه الناس وأكلوا منه أيامًا.

وقال الشيخ مطر: إن هذا الجراد أراد أن يهلك الحرث والنسل، وإني استأذنت الله تعالى أن أرده فأذن لي.

---

(١) انظر: قلائد الجواهر (ص٣٤٧)، وبهجة الأسرار (ص٣٠٨).

الحكاية العشرون

عن الشيخ العارف بالله أبي طاهر بن أحمد الصرصري عن أبيه قال: شممت ليلة عند السحر بأذاران رائحة تكاد تتقطع الأرواح لذةً، والعقول سكرةً، ثم أعقبتها برقة من نورٍ أضاء به الأفق، فقيل لي: قد تجَّلى نور خمار الحق ﷻ الليلة بقلب عبده الشيخ مطر، ثم احتجبت عنه فتنفَّس حسرةً على عدم دوام تلك المشاهدة، وما شممت من طيب نفسه، ونظر إلى الوجود بعين الحيرة في ذلك التجلّي، فما رأيت من نظر نوره نظرة.

فبكرت إلى زيارته فرأيت عشبًا على باب زاويته، كنت أعرفه بالأمس يابسًا فإذا هو أخضر، ورأيت رجلين في زاويته كنت أعرف أحدهما بالأمس أعمى والآخر مريضًا، فإذا الأعمى بصير، والمريض مُعافى، فسألت أصحابه عن ذلك فقالوا: بات الشيخ البارحة وسط العشب وفرشنا للمريض في آخر العشب، ونام الأعمى عنده، فأصبح العشب أخضرا، والأعمى بصيرًا، والمريض مُعافى.

وهو ﷺ من سادات العارفين، أكابر الشيوخ المحققين، صاحب أحوال شريفة، ومقامات منيفة، وكرامات ظاهرة، وآيات باهرة، وتصريف نافذ، وباع طويل في أحكام الولاية، وقدم راسخ في درجات النهاية، وهو أحد أركان هذه الطريقة، وأكابر أئمة الحقيقة علمًا وعملاً وحالاً ومقالاً وزهدًا وتحقيقًا ومهابةً.

وقال أيضًا ﷺ: لذة النفوس معرفة الرفيق الأعلى، ومناجاة العلي العظيم.

ولذة القلوب من أعراس تطير في مقاصير قدس الحال، بتوحيد في رياض تمجيد بمطربات المغاني في فلك المعاني الحادية لأهلها إلى الفهم الداني الرافعة لأربابها في مدارج الأماني، إلى مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ.

ولذة الأرواح الشرب بكأس المحبَّة من أيدي عراف الفتح اللدني في خلوة وصل على بساط المشاهدة، وإلهام من معالم الكون، أو قال: عوالم الكون سيره في نور العزة، ومرآه ما كتب على صفحات ألواح نسمات درات الوجود علم التوحيد، كلا بل هو الله العزيز الحكيم.

ولذة الأسرار مطالعة نسيم الحياة الدائمة، والوصول إلى حقائق الغيوب بضمائر القلوب، والمعاينة بالأفكار سرائر الأسرار.

ولذة العقول ملاحظة أسرار الملكوت الخفية عن الأبصار بالسرائر المحيطة بالأفكار، فتعاين القلوب حقائق الغيوب، ويصحبها قبول شواهد الأسرار، فتلج الضمائر بحار الأفكار، وتطمئن النفوس إلى ما لحقت به، أو قال: تحققت من العالم المحجوب، فلما كشف عن الغيوب أذيال دلالتها على إتقان صنع، وإبداع فطرة، قابلتها من العقول هيبة وفكرة، ويخرج الاعتبار من القلب، وإذا كان القلب طاهرًا نفذ الاعتبار بالشواهد، وسمت به الهمَّة، ويرقى به الفكر، ولم يمنعه مانع، فالفكر طريق إلى الحق، ودليل على الصدق، والفكر أصل ثمرته المعرفة، والمعرفة ثمرة طعمها العمل، والعمل طعمه لذة الإخلاص، والإخلاص لذة غايتها النعيم، والنعيم غاية ليس لها انقضاء، وأيدي العقول تمد أعنة النفوس، والنفوس مسخَّرة للعقل، والعقل يستمد من الأنوار الإلهية، وعنه يصدر الحكم التي هي رأس العلوم، وميزان العدل، ولسان الإيمان، وعين البيان، وروضة الأرواح، ونور الأشباح، وجند المحاسن، وميزان الحقائق، وأنس المستوحشين، ومتجر الراغبين، ومنية المشتاقين، والحكمة إجابة إلى الحق، فإذا وردت على القلب دلَّت على مكانٍ من الهدى، وهذا الكلام في الحقائق لفظ فائق، ومخبر عن مشرب رائق، ويطرب له كل مريدٍ صادقٍ.

ومن كلامه ﷺ:

كما قال لغيره فالضرورة سمته، وكلما كان بالجسم ظهوره فالعرض من ملزومه، وكلما كان له حس لزمه نوع، وكلما كان له عرض فالطول مشاحنته، وكلما يظفر به الوهم فالنفوس ترتقي إليه، وكلما سكن تحرك، وكلما يفكر فمشغول، وكلما يشاور أو يؤازر فناقص، وكل هذه النعوت من أوصاف الحدث، والقديم سبحانه وتعالى بائنٌ بذاته وصفاته عن خلقه، منزَّهٌ عن ذلك كله.

قلت: وكان ﷺ من أصحاب الكرامات الباهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات العلية، والمعارف السنية، والمكانة والتمكين الشريف، وكمال الولاية، ونفاذ التصريف، وقلب الأعيان له خرق العادات، وظهور العجائب على يديه، والنطق بالحكم والأسرار والمغيبات.

ومن كلامه ﷺ:

قوله: ما أخذت العهد على أحدٍ حتى رأيت اسمه مرقومًا في اللوح المحفوظ من

جملة مريدي.

وقال أيضًا ﷺ: أُوتيت سيفًا ماضي الحد، أحد طرفيه بالمشرق والآخر بالمغرب، لو أسير به الجبال الشوامخ لولّت.

وقال: في المشاهدة ارتفاع الحجب بين العبد وربه، فيطالع بصفاء القلب إلى ما يخبر به من الغيب، فيشاهد الجلال والعظمة، وتتغيَّر عليه الأحوال والمقامات، وهذا أصله الحيرة والدهشة، ثم تخرجه الحيرة إلى البهتة، فتراه شاخصًا بالحق إلى الحق، فتارة يشاهد الجلال، وتارة يطالع الجمال، وتارة يرى البهاء، وتارة ينظر إلى الكمال، وتارة يلوح له الكبرياء والعزة، وتارة تبدو له الجبروت والعظمة، وتارة يشهد اللطف والبهجة، فهذا يبسطه وهذا يقبضه، وهذا يطويه وهذا ينشره، وهذا يفقده وهذا يوجده، وهذا يبديه وهذا يعيده، وهذا يبقيه وهذا ينفيه، وهو زائلٌ عن نعوت البشرية، قائمٌ بصفات العبودية، لا يحس بالأغيار، ولا يشهد غير عظمة الجبَّار.

وقال: إذا قدحت نار التعظيم مع نور الهيبة في زبد السر تولَّد منها شعاع المشاهدة، فمن شاهد الحق ﷻ في سرِّه سقط الكون من قلبه، وإذا توالت المشاهدة على القوم تولاَّهم الحق سبحانه بأسباب أستار التولِّي، فحجبهم عن رؤية المولى، وينجذبون من الحيرة في نور المشاهدة إلى الحيرة في نور الأزل، ويختطفون من الدهشة في قدس الأنس إلى الدهشة في سر الجمع، فمن حائر بين الاستتار والتجلِّي، ومن هائم بين البُعد والتدلي، ومن ساكن بين الوصل والتعالي، وهو محل الاستقامة والتمكين، وذلك صفة الحضرة ليس فيها سوى الذبول تحت موارد الهيبة.

قال الله ﷻ: ﴿**فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا**﴾ [الأحقاف:٢٩].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ [فصلت:٣٠]؛ لأن من عرف الله ﷻ لا يرى غيره، ومن أحب شيئًا لا يطالع سواه.

وكان ﷺ يتمثل بهذين البيتين:

الــشَّوْقُ وَالــوَجْدُ فِــي مَكَانِــي قَــدْ منعَانِــي مِــن القَــرَارِ
همَـــا مَعِـــي لاَ يفَارقَانِـــي فَـــذَا شِـــعَارِي وَذَا دثَـــارِي

الحكاية الواحدة والعشرون

عن الشيخ سلمان المتقدم ذكره قال: قال لي والدي يومًا: يا سلمان اذهب إلى آخر الجبل تجد فيه نفرًا فقل لهم: والدي يسلم عليكم ويقول لكم: ما تشتهون؟ قال: فأتيتهم فقلت لهم ذلك فقال أحدهم: رمانة، وقال الثاني: تفاحة، وقال الثالث: عنبًا، فأتيت والدي فأخبرته، فقال لي: اذهب إلى الشجرة الفلانية فاجنِ منها ما طلبوا، وتلك الشجرة أعرفها يابسة، فلم أرد عليه كلامه، وأتيت الشجرة فإذا هى خضراء مورقة، ووجدت عليها رمانة وتفاحة وقطف عنب لم أرَ مثل ذلك منظرًا ورائحةً، فأتيت والدي بذلك فقال: اذهب به إليهم، فأتيتهم فأكل صاحب الرمانة رمانته، وصاحب العنب عنبه، وقال صاحب التفاحة: قد آثرتك بها، ولم يأخذها، فوجدت في نفسي من ذلك. ثم مشوا قليلاً وأنا معهم ثم مروا في الهواء، ولم يستطع صاحب التفاحة أن يرتفع من الأرض قدر شبر، فسقط في يده ونزل إليه صاحباه وقالا له: بامتناعك عن أخذ التفاحة. ثم جاءوا إلى والدي مكشوفة رؤوسهم، فتلقَّاهم ثم قال لذلك الرجل: يا بني ما منعك عن قبول كرامتي وموافقة صاحبيك؟ فأكب على قدم والدي يقبلها، فقال له: لا بأس عليك، ثم قال: يا سلمان أين التفاحة؟ فناولته إيَّاها فكسرها أجزاء، وأطعمه جزءًا وأطعم كلاًّ منهم جزءًا، فإذا هى لا عجم لها، وكذلك كان العنب والرمان، ثم دفع والدي بيده بين كتفي الرجل، فمرَّ مع صاحبيه في الهواء كالسهم المفوق، فسألته عنهم فقال: هؤلاء من رجال الغيب السيارة، وأخذ عليَّ ألا أعلم أحدًا بشيءٍ من ذلك وهو حيٌّ ﷺ.

وكان من أكابر العارفين، وصدور المقرَّبين، وأجلَّة الأئمة المحققين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات الجليلة، والمواهب الجزيلة، والحضور في منازل الحضرة، والنزول في منازل الوصل، والصعود إلى مراق التصريف، والسمو إلى مدارج العالم.

ومن كلامه ﷺ:

من اشتاق إلى ربِّه تعالى أنس، ومن أنس طرب، ومن طرب قرب، ومن قرب سار، ومن سار حار، ومن حار طار، وقرة عينه بالاقتراب.

فالزاهد يعالج الصبر، والمشتاق يعالج الشكر، والواصل يعالج الولاية.

والشوق بالله مضطرم في قلوب المحبين، ولا يهدأ إلا بلقاء المحبوب والنظر إليه، ونار الهيبة تذيب القلوب، ونار المحبَّة تذيب الأرواح، ونار الشوق تذيب النفوس، والصمت عبادةٌ بغير عناءٍ، وزينةٌ من غير حلي، وهيبةٌ من غير سلطانٍ، وحصن من كل سوءٍ، وراحة الكاتبين، وغنية عن الاعتذار، وكفى بالمرء علمًا أن يخشى الله ﷻ، وكفى به جهلاً أن يعجب بنفسه، والعجب بالعمل حمق يغطي به صاحبه عيوب نفسه، فلم يدرِ أنَّى يذهب به فيصرفه الكبر، وما خلق الله سبحانه وتعالى من عجيبةٍ إلا ونقشها في صورة آدمي، ولا أوجد أمرًا غريبًا إلا ويجمله فيها، ولا أبرز سرًّا إلا وجعل فيها مفتاح علمه، فهو نسخة مختصرة من العالم.

الحكاية الثانية والعشرون

عن الشيخ الكبير العارف بالله الحبر الشهير الشيخ جاكير ﷺ قال:

جاء تاجرٌ من أهل واسط إلى والدي، وكان يحبه وله فيه اعتقادٌ، واستأذنه في ركوب البحر إلى الهند؛ لتجارة له، وودَّعه وقال له: إذا وقعت في شدَّةٍ ولم تقدر على دفعها فنادِ باسمي.

فسافر الرجل فبعد ستة أشهر وثب والدي قائمًا ونحن حوله وصفق بكفيه وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف:١٣]، ومشى خطوات يمينًا وشمالاً ونحن نشاهد منه ذلك، ثم جلس فسألناه عن سبب ذلك فقال: كاد فلان وسُمِّي التاجر الواسطي، يغرق الآن لولا أن ناداني باسمي فأرخنا ذلك اليوم، فتمَّ سبعة أشهر فوصل ذلك التاجر، وأكب على رجلي والدي يقبلها ويقول له: يا سيدي لولا أنت لهلكنا في ذلك اليوم، ووالدي مبتسمٌ، فلما خلونا بالتاجر سألناه عن أمره فقال: إننا أوغلنا في البحر المحيط في بلاد الصين وتهنا عن الطريق، وأيقن الرفاق وكل من في السفينة بالهلاك، ثم لما كان وقت كذا في يوم كذا وذكر الوقت الذي أرخناه عندنا فعصفت علينا الرياح العواصف من جهة الشمال، وهاج البحر، وتلاطمت أمواجه واشتدَّ علينا الأمر، وأشرفنا على الغرق، فذكرت قول الشيخ فنهضت قائمًا، واستقبلت جهته وناديته باسمه يا فلان اذكرنا، فلم يتم كلامي حتى رأيته قائمًا في وسط السفينة، وأشار بكمه إلى جهة الشمال فسكن الريح، ثم وثب من السفينة، وانتقل على متن البحر وصفق بكفيه وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾، ويمشي

على الماء خطوات يمينًا وشمالاً، فلما سكن البحر وخمدت أمواجه وصار وكأنه عين ديك، ثم أشار بكمه إلى جهة الجنوب فهبَّت علينا ريح طيبة، أقلعنا بها من ذلك المكان حتى وصلنا إلى طريق السلامة، ومشى الشيخ على متن البحر حتى غاب، ونجَّانا الله تعالى ﷻ ببركته من الهلاك.

قال: فحلفنا له بالله أن الشيخ لم يغب عن أبصارنا في ذلك الوقت، بل كنا جلوسًا معه، فأقسم بالله العظيم أنه كان حاضرًا معه، ولو لم يحضر معه لم ينج منهم إلا ما شاء الله تعالى.

الحكاية الثالثة والعشرون

عن الشيخ أبي الحسن الخباز رحمه الله تعالى قال: كنت عند بعض أصحابنا ببستانٍ له بالبصرة، فدخل علينا فقيرٌ أشعثٌ أغبرٌ، وقال لصاحب البستان: أشبعني، فقدم وزنة بعد أخرى وهو يستزيد حتى أكل ألف رطل، ثم أتى نهرًا هنالك وجعل يغترف بكفيه، فشرب ماءً كثيرًا وانصرف، ثم بعد مدة قال لي صاحب البستان: إن نخلة من بين بستاني تضاعفت أمثالاً عن مقدارها كل سنةٍ.

قال: ثم حججت في العام الثاني فبينما أنا أمشي يومًا وحدي أمام الركب فخطر في نفسي شأن ذلك الرجل، وتمنيت رؤيته فإذا به عن يميني، فدهشت وسررت به، وكان يمشي وأنا معه، وإذا جلس نزل الركب جميعه، وإذا سار سار الركب جميعه، فجاء إلى بركةٍ كبيرةٍ فيها ماء، وقد رسب فيه طين كثير، فجعل يصلح من الطين بكفيه ويأكل منها كما يأكل أحدنا الحلوى، حتى أكل منه شيئًا كثيرًا، وألقمني قطعة من ذلك الطين فإذا هو في فمي ألذ من الحلوى، وله رائحةٌ كالمسك الأذفر، ثم اغترف بكفيه من ذلك الماء فشرب منه ماءً كثيرًا وقال لي: يا علي ما هذه الأكلة من تلك الأكلة التي رأيت، وليس مثلهما طعام ولا شراب، فقلت: يا سيدي من أين لك هذا؟! قال: نظر إلَيَّ الشيخ أبو محمد بن عيد نظرةً فملأ قلبي بحبِّه، ووصل السر بربي، وانطوت الأكوان، وقلبت لي الأعيان، وقرب مني البعيد، ونلت المراد بنظرته، وكساني معنى استغنيت به عن الطعام والشراب، إلا في وقت عود أحكام البشرية إلَيّ. ثم غاب عني فما رأيته.

الحكاية الرابعة والعشرون

عن الشيخ العالم أبي طالب عبد الرحمن بن أبي الفتح الهاشمي الواسطي المصري رحمه الله قال: سمعت الشيخ القدوة جمال الدين، إمام العارفين، أبا محمد بن عبد البصري ﷺ يقول وقد سُئل عن الخضر ﷺ: أحيٌّ هو أم مِيّتٌ؟ فقال: اجتمعت بأبي العباس الخضر ﷺ فقلت له: أطرفني بأعجوبة مرَّت بك مع الأولياء؟ فقال: اجتزت يومًا بساحل البحر المحيط، حيث لا يُرى آدمي ولا غيره، فرأيت رجلاً نائمًا ملتفًّا بعباءةٍ، فوقع لي أنه وليٌّ فركضته برجلي، فرفع رأسه وقال: ما تريد؟ فقلت: قم للخدمة، فقال: اذهب واشتغل بنفسك، فقلت له: لئن لم تقم لأنادين عليك في الناس، وأقول لهم: هذا وليٌّ. فقال: لئن لم تذهب لأقولنَّ: هذا الخضر، فقلت: وكيف عرفتني؟ فقال: أما أنت فأبو العباس الخضر، فقل لي أنت: من أنا؟ فرفعت همتي إلى الله ﷻ في سرِّي وقلت: يا رب يا نقيب الأولياء، فنُوديت: يا أبا العباس أنت نقيب من يحبنا، وهذا نقيب من نحبه، فأقبل عليَّ وقال: يا أبا العباس أسمعت حديثي؟ قلت: نعم فزِدني بدعائك، فقال: منك الدعاء يا أبا العباس، فقلت: لا بدَّ، قال: مر، وفر الله نصيبك منه، قلت: زدني، فغاب عني ولم يكن الأولياء يقدرون على الغيبة عني.

ثم رأيت في نفسي بقية من المشي، فمشيت حتى انتهيت إلى كثيب عظيم من الرمل، فدعتني نفسي إلى صعوده، فلما استويت على أعلاه، فظننت أني ساميت السماء، فرأيت على ظهره نورًا يخطف، فقصدته فإذا ثمَّ امرأة نائمة، ملتفة بعباءة تشبه عباءة الرجل، فأردت أن أركضها برجلي، فنُوديت: تأدَّب مع من نحبه، فجلست أنتظر انتباهها فاستيقظت وقت صلاة العصر وقالت: الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني، وإليه النشور، والحمد لله الذي آنسني به وأوحشني من خلقه، ثم التفتت فرأتني فقالت: مرحبًا بك يا أبا العباس، ولو كنت تأدبت معي من غير نهي كان أحسن.

قلت: بالله عليك أنت زوجة الرجل؟ قالت: نعم، وقد ماتت في هذه البرية فساقني الله ﷻ إليها فغسلتها وكفنتها، فلما فرغت من تكفينها وتجهيزها رُفِعَتْ من بين يديّ نحو السماء حتى غابت عن بصري، فقلت: زوديني بدعاء، فقالت: منك الدعاء يا أبا العباس قلت: لا بدَّ. فقالت: لا تلمنا إذا غبنا عنك فالتفت فلم أرَها.

قال الشيخ أبو محمد: فقلت للخضر ﷺ: فهل لهؤلاء الأحباب رجل فرد في كل

وقتٍ يرجعون إلى أمره، قال: نعم، قلت: ومن هو في وقتنا هذا؟ قال: هو الشيخ عبد القادر، قلت: أخبرني عن حال الشيخ عبد القادر، قال: هو مرد الأحباب، وقطب الأولياء في هذا الوقت، وما أوصل الله وليًا إلى مقامٍ إلا وكان الشيخ عبد القادر أعلاه، ولا يسقي الله حبيبًا منهم كأسًا من حبِّه إلا وكان للشيخ عبد القادر أهناه. وهذا بعض كلامه في فضائل الشيخ عبد القادر.

ولنرجع إلى ذكر الشيخ ابن عبيد، كان من أكابر العارفين المشهورين، وأجلاَّء المقرَّبين المذكورين، صاحب الأحوال الفاخرة، والكرامات الباهرة، والمقامات السنية[1].

الحكاية الخامسة والعشرون

عن الشيخ أبي العباس أحمد بن بركات السعدي المقري رحمه الله تعالى قال:

شهدت يومًا الشيخ القدوة، أبا عمر بن عثمان مرزوق القرشي ﷺ وقد دخل عليه شيخًا أشعث أغبر ما رأيته من قبل، ولا من بعد، فجلس بين يديه متأدبًا خاضعًا، فأطرق الشيخ عثمان ساعة، ثم نظر إلى الرجل، فخرَّ مغشيًا عليه، فقال الشيخ: ارفعوه، فرفعناه إلى بيتٍ فمكث فيه شهرًا لا يتحرك، وحاله حال الميت إلا أنه يتنفَّس، ثم أتاه الشيخ ومسح بيده على صدره فأفاق.

فسألت عن أمره فقال: يا أبا العباس كبر سني، وتباعدت مجاهداتي، وطالت سياحاتي، وما رأيت من أحوال هذا الشأن شيئًا، فلما استغثت إلى الله تعالى بسرِّي فنُوديت: اذهب إلى سلطان هذا الوادي، فعنده ما تريد، فقلت: من هو؟ فقيل: هو الشيخ أبو عمر ابن مرزوق، فلما جلست بين يديه ونظر إلَيَّ، قطعت نظرته حجتي، فاختطفني عن حسِّي وعالمي، وغيَّبني عن الوجود وما فيه، وقمت على قدم الفناء وغيبة الأكوان في مقام القُرب، ونِلت مطلوبي، ووصلت إلى محبوبي ببركة نظره.

فمرَّ بي وقتٌ وأنا على هذا الحال في مقامي ذلك، فنظر إلَيَّ وقال: آن لنا أن نضع في عقله تمكنًا يظهر بقوته سلطان هذا الحال؛ ليرجع إلى أهله، ويقوم بأحكام الشرع، فأسر إلَيَّ الشيخ أبو عمر فوجدت عندي قوة ملكت بها حالي، فرجعت إلى وجودي

---

(١) وانظر: البهجة (ص٣٢٠)، والقلائد (ص٣٣٧).

كما ترى، ثم ذهب فما رأيته بعد.

الحكاية السادسة والعشرون

عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن المخزومي في سنده المتصل أنه كان رجل من وجوه أهل سنجار، كثير الوقيعة في الأولياء السابقين، رضوان الله عليهم أجمعين، فلما حضرته الوفاة جعل يتكلَّم بكل شيءٍ إلا الشهادة، فإذا قيل له: قل: لا إله إلا الله، يقول: لم يُؤذن لي في ذلك، فهاج الناس وأتوا إلى الشيخ سويد السنجاري ﷺ فأتاه وجلس عنده، وأطرق طويلاً ثم قال: قُل: لا إله إلا الله، فقالها وكرَّرها مرارًا، فقال الشيخ: إنه عُوقب بذلك لوقيعته في الأولياء السابقين، وإني شفعت فيه، فقيل لي: قد شفعناك فيه إن رضي عنه أولياؤنا السالفون، فدخلت الحضرة الشريفة، واستوهبت ديته من معروف الكرخي، وسري السقطي، والجنيد، والشبلي، وأبي يزيد، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، فأطلق لسانه في الشهادة، فقال الرجل: إني كلما أردت أن أشهد رأيت شيئًا أسود يشد الثقل على لساني، ويمنعني النطق، وقال لي: إني وقيعتك في أولياء الله تعالى، ثم جاء بعده نورٌ يتلألأ فطرد ذلك السواد عني وقال: أنا رِضا أولياء الله، وها أنا أنظر خيلاً من نورٍ بين السماء والأرض قد ملأت الجو، عليها ركبان من نورٍ مطرقة، رؤوسهم هيبة يقولون: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، قال: وما زال ذلك الرجل يلهج بالشهادتين حتى مات رحمه الله تعالى.

الحكاية السابعة والعشرون

عن الشيخ العارف أبي المحاسن يونس ابن الشيخ القدوة أبي الحسن الريحاني رحمه الله تعالى قال: كان من أصحاب الشيخ سويد السنجاري ﷺ رجل يُقال له: الشيخ فرج بن عبد الله الحبشي، وكانت له أحوال جليلة، فورد عليه مرة حال من حالات العظمة، وصار جسده كالماء الجامد، فذكر ذلك للشيخ سويد، فأتاه وفكر ساعة، وقال: ائتوني بنساء حسان يتحدثن عنده بأعلى أصواتهن ولا يمسسنه، فإذا رجع إلى أحكام العبادة فليبادرن بالخروج، ففعلن ذلك، ومسته إحداهن بإصبعها، فغارت إصبعها فيه، فلما رجع إلى بشريته سُئل الشيخ عن ذلك فقال: إني طفت الممالك بسرِّي، ولم أجد لهمته تعلقًا بشيءٍ منها غير أني وجدت في نفسه ميلاً إلى النساء الحسان، فأردت أن

تجذبه نفسه إلى مثلها، ولو دام عليه ذلك الحال لذهب وجوده البتة، قال: وما زال موضع غوص إصبع تلك المرأة في فخذ الشيخ فرج إلى أن تُوفِي رحمه الله تعالى.

قلت: ومما يتفق مع هذا ما بلغني عن بعض شيوخ اليمن الأكابر، أنه كان إذا ورد عليه الحال وأراد أن ينصرف عنه يدنو من زوجته، أو يركب العريش، فيخف عنه شيئًا فشيئًا، وكانت الحكمة في ذلك والله أعلم أن المستلذات البشرية تضاد الواردات الإلهية.

قال الراوي: وسمعت الشيخ سويدًا ﷺ يقول: جاهدت نفسي في بدايتي ومنعتها الماء مدة، فاجتزت في بعض سياحتي بغدير من الماء، فراودتنى نفسى على الشرب فامتنعت، فوثب مني شيءٌ أسود وألقى نفسه في الماء، فإذا هي نفسي تمثَّلت بين يدي في الماء، وسألتني بالله التخفيف عنها، فقلت: والله لا حلت عن مجاهداتي ولا عما بايعت الله عليه.

الحكاية الثامنة والعشرون

عن الشيخ الأصيل إسماعيل ابن الشيخ الجليل أبي الفضائل سويد السنجاري قال: سمعت أبي يقول: وشى بي عند سلطان سنجار فأمر بإحضاري، فخاف عليه أصحابه، فأطرق الشيخ ثم قال: لا بأس لا تخف إنا معك، فلما وصل إلى باب دار السلطان أخذ السلطان قولنج عظيم، فلما دخل الدهليز اشتدَّ القولنج، وغُشي على السلطان، وصاح نساؤه وأهله، وما شكوا أن ذلك سبب إحضار الشيخ، فجروا إليه وأكبُّوا على قدميه معتذرين، ورجع وزال القولنح لوقته.

ومما رُوي عن الشيخ المذكور ﷺ أنه رأى رجلاً يحدق إلى امرأةٍ ذات هنّةٍ، فنهاه الشيخ فلم ينتهِ وقال: اللهم خذ بصره، فعمي الرجل بعد سبعة أيام، ثم جاء إلى الشيخ وشكا من ظلمة العمى، وأذعن بالتوبة، وأكثر بذلك، فبسط الشيخ يده وقال: اللهم رد عليه بصره إلا في معاصيك، فرد الله عليه بصره في الحال، فكان إذا أراد النظر إلى محرم حُجب عنه بصره ثم يعود إليه.

وكان ﷺ من أعيان الشيوخ العارفين، أكابر المحققين، صاحب المعارف الفاخرة، والكرامات الظاهرة، والمقامات العليَّة، والأحوال السنيَّة، والإشارات والتعريف والتمكين والتصريف، انتهى إليه خلقٌ كثيرٌ من الصلحاء، وأجمع على تبجيله واحترامه

المشايخ والعلماء.

ومن كلامه ﷺ:

مقامات العارفين على سبعة أصول: القصد إلى الله تعالى في السرِّ، والاعتصام بالله تعالى في الأمر، والجلوس مع الله تعالى بالأدب، والنصيحة لعباد الله تعالى في السرِّ والجهر، والكتم لأسرار الله تعالى في الطي والنشر، وثبوت الحال مع الصبر، وذكر لا إله الله الملك الحق المبين.

فإذا قطع العارف هذه الأحوال، ورقي عن رؤيته الأفعال، فتح الله له في القصد إليه بالسر باب النفس، وعلامته أن يتروَّح القلب إلى أنوار التجلِّي، ويتنفَّس السرور وسراج الأنس في مشكاة الكشف، وهذه النفس لا تكون إلا في حضرة الشهود بعد غيبة الأرواح في معارج الأحوال، واستغراق الأسرار في مدارج روح القدس، وحسم مادة الجهات وإيجاد العلم، وذهاب الرسم.

وهذا أول ملابس العارفين، وأول استرواح أنفاس أرواح التجلِّي، وهذا الزي لا تطفئ نار شهوده نار وجوده، ولا يحجب نور وجوده حقيقة شهوده، وحقيقة القصد إلى الله تعالى بالسر ظهور الحقيقة بإذنه في حجاب العالم، ثم يفتح الله له في الاعتصام في الله تعالى باب المعاينة، وعلامته أن يفتح الله تعالى له من بصيرته عيونًا ثلاثة: عينٌ يدرك بها أنوار المعرفة، وعينٌ يدرك بها أنوار الروح، كما ورد: «العيون ثلاثة: عين البصر، وعين البصيرة، وعين الروح»، فعين البصر يدرك بها المحسوسات، وعين البصيرة يدرك بها المعنويات، وعين الروح يدرك بها الملكوت، ثم يفتح الله له في الجلوس مع الله سبحانه تعالى باب الاستغراق في عين التفريد، وله خمسة أركان: القرب في عين المشاهدة، والعلم في بحر الجمع، واستهلاك الفناء في بحر الأزل، واستغراق الوجود في طي القدم، واستعدام البقاء في برق الأبد، ففناء القرب في عين المشاهدة للمرسلين مقامات الأسرار، وللمقربين عنايات الأنوار، والعلم في بحر الجمع للصديقين رؤية، وللأبرار مشاهدة؛ لأن الرؤية للذات في مشاهدة الأنوار والصفات، واستهلاك الفناء في بحر الأزل للمرسلين حقيقةً، وللمقرَّبين طريقةً، واستغراق الوجود في طي العدم للصديقين تفريد التوحيد، وللأبرار تحقيق التجريد، واستعدام البقاء في برق الأبد للشهداء حياة قرب، واستدامة رزق، وللصالحين نسيم

روح، واسترواح ريحان، ومعارف جنة نعيم، فبقاء القرب في عين المشاهدة كان عقلاً، وبالعلم في بحر الجمع كان روحًا، وباستهلاك الفناء في بحر الأزل كان سرًّا، وباستغراق الوجود في طي العدم كان دارًا، وباستعدام البقاء في برق الأبد كان ذاتًا، كاملة الوجود، تامة التقويم، فبالعقل يثبت الإيمان، وبالروح يسمع الخطاب، والخطاب ظاهره الإيمان، والإيمان ظاهره الصفات، والصفات ظاهر الذات، والإيمان بصيرة العقل، والسر بصيرة الروح، والأمر بصيرة الحكم، والحكم بصيرة الحكمة، وذلك حقيقة ما يكشف للعارف المنتهي في درجة المعرفة.

ومنه: العلوم ثلاثة: علمٌ من الله تعالى، وهو العلم بالأمر والنهي والأحكام والحدود، وعلمٌ مع الله تعالى، وهو علم الخوف والرجاء والمحبَّة والشوق، وعلمٌ بالله وهو علم نعوته وصفاته، وعلم الظاهر علم الطريق، وعلم الباطن علم المنزل، يعني علم الحقيقة، وموطن الوصف إلى رب الخليقة، وعلم الحكم علم الشرع، فكل باطنٍ لا يقيمه ظاهر فهو باطلٌ، وأصل العقل الصمت، وباطنه كتمان الأسرار، وظاهره الاهتداء بالسُّنة، وإذا غُلب الهوى نُوِّر العقل، ومن احتجب في شيءٍ من علومه فلا ينظر إلى شيءٍ من عيوبه.

الحكاية التاسعة والعشرون

عن الشيخ الأصيل أبي حفص عمر ابن الشيخ الجليل، ذي المجد الأنبل، العارف بالله حياة بن قيس الحراني، قدَّس الله روحه وسره.

قال الشيخ زُغَيب - بالزاي المضمومة وفتح العين المعجمة والياء المثناه والباء الموحدة – الرحبي رحمه الله تعالى: خرجت من الرحبة إلى خرابة لزيارة والدي بعد صلاة الصبح، فوجده جالسًا علي باب داره وبين يديه شاة فسلم عليه، وجلس على دكةٍ بإزائه من الجانب الآخر، بينهما أكثر من ذراعٍ، فلم يكلمه والدي، فقال الشيخ زغيب في نفسه: جئت إليه من الرحبة واشتغل عني بمعزاةٍ ينظر في أمرها، فنظر إليه وقال: يا زغيب قد أمرت أن أغصب منك شيئًا بسبب اعتراضك، فاختر إما من باطنك، وإما من ظاهرك، فقال: يا سيدي بل من ظاهري، فمد والدي إصبعه مشيرًا إلى عينه، فسالت عين الشيخ زغيب على خدِّه، فقبل الأرض وعاد إلى الرحبة.

قال: ثم رأيته بعد سنين بمكة صحيح العين، فسألته فقال: كنت في سماع ببلادنا،

ووفد رجلٌ من مريدي والدك، فوضع يده على عيني فُردت صحيحة كما ترى، قال: ولما أشار والدي ﷺ بإصبعه إلى عيني وسالت على خدِّي انفتحت في قلبي عينًا شاهدتُ بها أسرارًا وعجائب من آيات الله تعالى.

ومما رُوي عن الشيخ حياة ﷺ لما أرادوا تعيين محراب مسجد بحران، فقال المهندس: القبلة هنا، فقال الشيخ: لا بل القبلة هنا انظر، فرأى الكعبة الشريفة بإزائه ليس بينه وبينها شيء يحجبها، فخرَّ مغشيًّا عليه.

الحكاية الثلاثون

عن الشيخ الصالح أبي يعلى غانم بن يعلى البكري قال: سافرت مرة من اليمن في البحر المالح، فلما توسَّطنا بحر الهند تهنا وغلبت علينا الريح، وأخذتنا الأمواج من كل جانبٍ، وانكسرت بنا السفينة، فنجوت على لوحٍ منها، فألقاني البحر إلى جزيرةٍ فلم أرَ فيها أحدًا، وإذا هي كثيرة الخيرات، ورأيت فيها مسجدًا فدخلته فإذا فيه أربعة نفر، فسلمت عليهم فردُّوا عليَّ السلام، وسألوني عن قصتي فأخبرتهم، وجلست عندهم بقية يومي ذلك، فرأيت من توجههم وحسن إقبالهم على الله تعالى أمرًا عظيمًا، فلما كان العشاء دخل الشيخ حياة الحراني وقاموا يتبادرون إلى السلام عليه، فتقدَّم وصلَّى بهم العشاء، ثم استرسلوا في الصلاة إلى طلوع الفجر، وسمعت الشيخ حياة يناجي ويقول: إلهي لا أجد لي في سِواك مطمعًا، ولا إلى غيرك ملاذًا، فإني ببابك ناظرٌ إلى حجابك متى تكشف لي عن تفريج الكربة فأتحلل، وقال: أنظر إلى مجلس القربة وقد أوثقت نفسي عند السرور بك، وسمعنا بذكرك، ولي فيها كوانين ترتاح إليها صبابات أشواقي، ولي معك أحوال سيكشفها اللقاء، ويا حبيب التائبين، ويا سرور العارفين، ويا قرة عين العابدين وأنيس المتفردين، ويا حرز اللاجئين، وظهير المنقطعين، ويا من حنَّت إليه قلوب الصديقين، وبه أنست أفئدة المحبِّين، وعليها عكفت همة الخائفين.

ثم بكى بكاءً شديدًا ورأيت الأنوار قد حفَّت بهم، وأضاءت ذلك المكان كما يضيء القمر ليلة البدر.

ثم خرج الشيخ من المسجد وهو يقول:

سَيرُ المحبِّ إِلَى المحبوبِ إِعْجَالٌ   وَالقلْبُ فِيْه مِن الأَهْوَالِ بلبال

أَطْوِي المهامَه مِن قَفرٍ عَلَى قَدَمِي إِلَيْكَ يَدْفَعنِي سَهْل وأَجْبَال

فقال لي أولئك النفر: اتبع الشيخ، فتبعته فكانت الأرض برها وبحرها وسهلها وجبلها يُطوى تحت أقدامنا طيًّا، وكنت أسمعه كلما خطا خطوة يقول: يا رب حياة كن لحياة، فإذا نحن بحران في أسرع وقت فوافيناها والناس يصلون صلاة الصبح.

قال ﷺ: إنه حجَّ في بعض السنين فنزلوا منزلاً رحبًا، فاستظلَّ هو ومن معه بشجرةٍ من أم غيلان، فقال له خادمه: يا سيدي نشتهي الرُّطب، فقال: هِزْ هذه الشجرة، فقال: يا سيدي هذه شجرة أم غيلان، فقال: هِزها، ففعل فتساقط منها رطبٌ فأكلوا منها حتى شبعوا.

وكان ﷺ من أجلاَّء المشايخ العارفين، وأعيان المقرَّبين المحققين، صاحب الكرامات الكريمة، والأحوال العظيمة، والأعطيات الجزيلة، والمحاسن الجميلة، والمقامات العلية، والشمائل السنية، والكشف الجلي، والقدر العلي، والمعراج الرفيع، والجاه الوسيع، والتصريف النافذ في الوجود، والاستقاء من مناهل الجود، والقدم المقدم الراسخ.

أجمع على جلالته العلماء والمشايخ، وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم الشيخ العارف بالله أبو الحسن علي القرشي ﷺ: رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء.

وقد تقدم ذكرهم في الحكاية الخامسة عشرة، ومنهم الشيخ حياة بن قيس المذكور.

أقر الخاص والعام بتفضيله، واستسقى الأكابر من مناهل علمه، وكان أهل حران يستسقون ببركته، ويلجؤون إليه في المعضلات فيكشفها بعلو همته.

وقال أيضًا ﷺ: من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله تعالى؛ فإنها تذوب ويصفو، ومن نظر إلى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه؛ لأن النفوس كلها فقيرة إلى الله تعالى، فقيرة عند ظهور جلاله، ومن أحبَّ أن يريها خوف الله ﷻ في قلبه، ويكاشف في آيات الصديقين، فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يعمل إلا في سنةٍ أو ضرورة، ومن حُرم من مشاهدة الملكوت حُجب عن الوصول.

وقال ﷺ: استجلب نور القلب بدوام الحذر، واستفتح باب الحذر بطول الفكرة، وتزيَّن لله تعالى بالصدق في جميع الأحوال، وتحبَّب إليه بتعجيل الخطى إليه، وإيَّاك

والتسويف فإنه مهلكٌ، وإيَّاك والغفلة فإنها تسود القلب، وإيَّاك والتواني فيما لا عذر فيه فأنه ملجأ النادمين، واسترجع سالف الذنوب بدوام الندم وكثرة الاستغفار، وتعرَّض لعفو الله بحسن المراجعة والخوف.

وأول قدم يطلبه الصادق يجده.

وعلامة المريد على الحقيقة ألا يفتر عن ذكر الله تعالى، ولا يميل عنه، ولا يستأنس بغيره، ويلزم السُّنة والفرض، فالسُّنة ترك الدنيا، والفريضة المولى، ومن عمل بالسُّنة والفرض كمل أمره، ومن زهد في الدنيا فقد تنبَّه على قدرها من نفسه، فينبغى له أن يستحي من الله تعالى أن يتخذ عنده ندًّا مما لا قدر له عنده.

وعند نزول البلاء تظهر حقائق الصبر، وعند مكاشفة الأقدار تظهر حقائق الرِّضا، فإيَّاك أن تجعل الزهد حرفتك ولكن اجعله عبادتك.

قال ﷺ: المحبَّة: تعلق القلب عن الهيبة، والأنس: هو سمة الطائفة وعنوان الطريقة ومقصد السُّنة.

وقال: ومقصد يكسب تعلقًا إلى رؤية المحبوب، واهتمامًا إلى لقاء المطلوب.

الحكاية الواحدة والثلاثون

عن الشيخ العارف أبي محمد بن إبراهيم بن محمود البعلبكي المصري رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ رسلان الدمشقي ﷺ ببستان من باب دمشق في زمان الصيف ومعه جماعة من أصحابه، فقال له أحدهم: يا سيدي ما وصف الولي المشتمل على أحكام التمكين؟ فقال: هو الذي مكَّنه الله من أزمة التصريف في الوجود، فقال له: ما علامة ذلك؟ فأخذ الشيخ أربعة قضب وأفرد منها واحدًا، وقال: هذا للصيف، وأفرد منها واحدًا وقال: هذا للربيع، وأفرد منها واحدًا وقال: هذا للخريف، وأفرد منها واحدًا وقال: هذا للشتاء، ثم أخذ الذي سمَّاه للصيف بيده وهزَّه فاشتدَّ الحر جدًّا، ثم طرحه وأخذ الذي سمَّاه للربيع بيده وهزَّه فاخضرَّت أوراق أشجار البستان، وأينعت أغصانه، وفاحت رياح الربيع ونسماته، ثم طرحه وأخذ الذي سمَّاه للشتاء وهزَّه فجاءت الشتاء، واشتدَّ بنا البرد، ويبس ورق شجر البستان، ثم نظر إلى طائرٍ على أشجار في البستان، فقام إلى شجرةٍ منها وهزَّها، وأشار إلى الطائر الذي عليها أن سبِّح خالقك، فترنَّم الطائر بصوتٍ شجيٍّ أطرب السامعين، ثم أتى إلى شجرةٍ أخرى ففعل ذلك حتى أتى

على الجميع، وأشار إلى طائرٍ منها أن مجِّد خالقك، فلم ينطق، فقال الشيخ: اسكت لا عشت! فوقع الطائر إلى الأرض ميتًا.

الحكاية الثانية والثلاثون

عن الفقيه أبي العباس أحمد بن قرشي التلمساني قال: سمعت شيخنا أبا محمد صالح البكالي ﷺ قال: قامت الحرب مرة بالمغرب بين المسلمين والإفرنج في حياة شيخنا الشيخ أبي مدين المغربي ﷺ، وكان الإفرنج قد ظهروا فيها على المسلمين، فأخذ الشيخ سيفه وخرج إلى الصحراء مع نفرٍ من أصحابه وأنا معهم، وجلس على كثيبٍ من رملٍ، فإذا بين يديه خنازير قد ملأت البرية من كثرتهم، فوثب الشيخ حتى سار بينهم وسل سيفه وعلا به رؤوس الخنازير، حتى صرع منهم كثيرًا، وولوا بين يديه هاربين، ورجع الشيخ. فسألناه فقال: هؤلاء الإفرنج وقد خذلهم الله تعالى، وأرخنا الوقت فجاء الخبر بكسر الإفرنج في الوقت الذي أرخناه، فلما قدم المجاهدون أكبُّوا على قدم الشيخ يقبلونها، وأقسموا بالله العظيم لو لم يكن بينهم بين الصفوف لهلكوا، وأخبروا أنه كان سيفه يعلو رأس الفارس من الإفرنج فيصرعه وفرسه، وأنه قتل منهم مقتلة عظيمة، وولوا مدبرين، وأنهم لم يروا الشيخ بعد انقضاء الحرب.

قال: وكان بين الشيخ وبين موضع القتال أكثر من مسيرة شهر.

الحكاية الثالثة والثلاثون

عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى الشهير عبد الرزاق المغربي ﷺ قال:

مرَّ شيخنا أبو مدين المغربي قدَّس الله روحه في بعض قرى المغرب، فرأى أسدًا قد افترس حمارًا وهو يأكل منه، وصاحبه بالبعد منه يندب بالويل والثبور من الفاقة، فجاء الشيخ وأمسك بناصية الأسد وقاده ذليلاً، ونادى صاحب الحمار، فدنا صاحب الحمار حتى لصق بالأسد، فقال الشيخ: امسك الأسد واذهب واستعمله بدل حمارك، فقال: يا سيدي إني أخاف منه، قال: لا تخف منه؛ فإنه لا يستطيع أن يؤذيك، فمرَّ الرجل يقود الأسد والناس ينظرون، فلما كان آخر النهار أتى به إلى الشيخ وقال: يا سيدي إني شديد الخوف منه، وإنه يتبعني أينما ذهبت، قال: فلا بأس عليك، قال: وما هو إلا ذاك، فقال الشيخ للأسد: اذهب ومتى ما آذيت بني آدم سلطتهم عليك.

قال: وكان يومًا مارًّا على الساحل فتعرضته طائفة من الإفرنج، وحملوه معهم أسيرًا إلى سفينةٍ عظيمةٍ لهم، فإذا فيها جماعة من المسلمين أسارى، فلما استقرَّ الشيخ فيها جهزوا قلوعها، وعوّلوا على المسير، فلم تذهب بهم السفينة يمينًا ولا شمالاً، ولا تحركت من مكانها على قوة الريح، فلما أيقنوا أنهم لا يقدرون على المسير، وخافوا أن يدركهم المسلمون، قال بعضهم لبعض: هذا بسبب هذا المسلم، ولعله من أصحاب السرائر عند الله تعالى، يشيرون إلى الشيخ، فأمروه بالنزول فقال: لا أفعل إلا إن أطلقتم كل من في سفينتكم من المسلمين، فلما علموا أنهم لا بدَّ لهم من ذلك فعلوا وسارت بهم السفينة.

الحكاية الرابعة والثلاثون

عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبي محمد صالح البكالي رحمه الله قال: ورد ناسٌ من المشرق على شيخنا الشيخ أبي مدين قدَّس الله سرَّه، قالوا له: نشتهي عنبًا ولم يكن ذلك الوقت وقت العنب، فقال لي الشيخ: يا صالح اذهب إلى البستان، وائتنا منه بعنبٍ، فقلت: يا سيدي الآن خرجت منه ولا عنب فيه، فقال: اذهب ترى فيه العنب، فأتيت البستان فوجدت الدوالي مملوءة عنبًا كحالها وقت كرمه، ووالله لقد فارقته قبل ذلك ولا عنب أراه، فاحتملت منه شيئًا كثيرًا، وأتيت به فأكلوا وأكلت معهم، فإذا هو بلا عجمٍ، فقالوا: إنا كنا نشتهي العنب ونعلم أنه لا يطعمنا أحدٌ بالمغرب إلا أنت.

الحكاية الخامسة والثلاثون

عن الشيخ الجليل سلمان بن عبد الوهاب المغربي قال: كان شيخنا أبو مدين ﷺ يومًا جالسًا على الساحل يتوضأ وفي إصبعه خاتم، فسقط في الماء فقال: يا رب خاتمي أريده، فطلعت سمكة في الحال في فمِّها الخاتم فأخذه.

وكان سائرًا مرة وفي يده مزرد فيه سويق مذاب بماء، فسقط من يده وانكسر قطعًا، وتبدَّد السويق على الأرض، فوقف وقال: يا رب أريد مزردي بسويقي، فعاد المزرد صحيحًا وفيه السويق.

الحكاية السادسة والثلاثون

عن الشيخ الجليل العارف بالله أبي إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الصالح الفاضل أبي العباس بن أحمد بن محمد الأنصاري التلمساني قال: قال أبي رحمه الله تعالى: سمعت شيخنا أبا مدين يحكي في مجلسٍ، وكان محفوفًا بالنور والبهاء والوقار والسناء والسكينة والأولياء.

قال الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحصري رحمه الله تعالى: دخل الشيخ الفاضل أبو العباس أحمد بن علي يزوره فقال له: ادعُ لي، فقال له: أراك الله موضع الشح من نفسك، وكان أبو العباس كثير العطاء من أكرم الناس، فانصرف وقال في نفسه: لو يعلم الشيخ مني شحًّا لما قال ذلك، فجاء فجلس على دكة مزين ليحلق رأسه قال: فلما فرغ من حلقه أتاه رجلٌ بمائة دينار، فأعطاها أبا العباس وقال: إنها مائة دينار، فقال له المزين: هذا مكان الشُّح الذي ذكره لك الشيخ أبو إسحاق، فقال له: أخبرني عنه، قال: الشُح عندهم أن تفرق بين الدانق والمائة دينار، ولو لم يكن في نفسك شح لما نبهتني عليها، قال: فذهب وجلس في بيته سنة لا يتكلَّم إلى أحدٍ، ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة، فاجتمع الناس على بابه يسألونه أن يتكلَّم عليهم فامتنع، فلما ألزموه خرج فوافى عصافيرًا على سدرة في الدار، فلما رأته فرَّت فرجع وقال: لو صلحت للحديث عليكم لم تفر مني الطيور؛ لأن العبد إذا تحقق فيه الخوف أمن منه كل شيءٍ، ثم رجع وجلس في البيت سنة أخرى، ثم خرج فلم تهرب الطيور، فتكلَّم على الناس فلم يتم الشيخ من كلامه حتى جاءت الطيور، ودارت حوله، وعكفت عليه، فتواجد وأنشد أبياتًا منها:

توجعُ مِنْ أَمْرَاضٍ وَحرقَةِ مَطَالِبِي ... وَإِشْفَاقِ مَهْمُومٍ وَحُزْنِ كَئِيبِ

وَلَوْعَةِ مُشْتَاقٍ وَزفرَةِ وَالهٍ ... وشفيت سِقَام بغيرِ طَبِيْبِ

أَلَمْ تقلب حِيْرَته طَوَارق ... مِن الشَّوْقِ حَتَّى ذُلَّ ذل غَرِيْبِ

فَكَأَنَّمَا أَسْمَانَا وَبِي محبَّة ... نُور واستكنت فِي فُؤادِ حَبِيْبِ

قال: فهاج الناس وضجَّ أهله، وما زال طائر من تلك الطيور يصفق بجناحيه حتى تقطعت، ومات رجلٌ ممن كان حاضرًا.

الحكاية السابعة والثلاثون

عن أبي محمد عبد الله بن أبي بكر الصنهاجي قال: صليت إلى جانب الشيخ أبي مدين ﷺ يوم الجمعة، فأتى علينا بعض أصحابه وكان حسن الهيئة، وعليه حدة الإرادة، فقلت له: يا سيدي ولدٌ مليحٌ، فنفض يده وقال لي: لا شيء، ثم التفت وإذا أبا محمد عبد الرزاق جالسٌ في الصف قدامه، وقال: هذا هو المليح هذا ولدي.

وقال الشيخ أبو مدين ﷺ: كنت في بعض الجبال مارًّا في طريق ملاصق بجبل، وإذا بأسدٍ أقبل، لا بُدَّ له مني، ولا بُدَّ لي منه؛ لأن الطريق ليس فيها ما يمكنه الرجوع، فقلت في نفسي: ألم يقل الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧]، فجعلت يدي على حافة الجبل وجافيت بنفسي على الطريق، وجعلت أطراف أصابعي على حافة الطريق، فمرَّ بيني وبين الجبل، فقالت نفسي: لم يرى، فالتفت الأسد برأسه وزأر زئيرًا شديدًا، ومضى فقلت: امضِ بسلامٍ.

وكان الشيخ ﷺ من أكابر الشيوخ، وصدور المقرَّبين، وأجلاَّء المحققين، صاحب الأحوال الشريفة، والمقامات العالية، والكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة، والبركات الباقية، والفتح السني، والكشف الجلي، والمحاسن الجميلة، والمواهب الجزيلة، والقدم الراسخ في التمكين المحمود، والباع الطويل في التصريف النافذ في الوجود، واليد البيضاء في السبق إلى معارج الفضل، والمشرب الهني من كؤوس مدام الوصل، مطلعًا لشموس الأنوار، ومنبعًا لعيون الأسرار، سارت بذكر فضائله الركبان في الآفاق، وانعقد على جلالة قدره الإجماع.

قلت: ورأيت كلامًا مجموعًا في جزء: قال الشيخ الكبير العارف بالله الشهير أبي عبد الله القرشي ﷺ: لقيت الشيخ أبا مدين ﷺ وكانت له الغارة وشرف الهِمَّة، وأقمت عنده أحضر مجلسه وأسمع كلامه، وكنت آوي في سور البلد، ولا أخالط من أصحابه أحدًا، وأقمت مريضًا بحمى الربيع مدة ثلاثة أشهر وأنا مطروحٌ تحت السور. قال: ودخل على الشيخ أبي مدين في بعض الأيام ولدٌ له صغيرٌ من المكتب، فالتفت إلى أصحابه وقال: هذا الذى أفسد مملكتي، فعن قريب تُوفِي الصغير.

ومن كلامه ﷺ:

المُقرَّب مسرور بقربه، والمحبُّ معذَّبٌ في حبِّه، ومن خرج إلى الخلق قبل وجود

حقيقة تدعوه إلى ذلك فهو مفتونٌ، ومن رأيته يدَّعي مع الله حالاً لا يكون على ظاهره منه مشاهدة فاحْذَره، وإذا ظهر الحق لم يبقَ معه غيره، وليس للقلب سوى وجهة واحدة، فإلى أي جهةٍ توجَّه حُجب عن غيرها، وإذا سكن الخوف في القلب أورثه المراقبة، ومن تحقَّق بالعبودية نظر أفعاله بعين الرياء، وأحواله بعين الدعوى، وأقواله بعين الافتراء، وما وصل إلى الحرية من بقى عليه من نفسه بقية.

ومن كلامه: شاهد مشاهدته لك ولا تشاهد مشاهدتك له.

الفقر أمارة على التوحيد، ودلالة على التفريد، والفقر ألا يشهد سواه، والفقر نور ما دمت تستره، فإذا أظهرته ذهب نوره، ومن كان الأخذ أحب إليه من العطاء فما شم رائحة الفقر.

والإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق، ومن عرف أحدًا لم يعرف الأحد.

والحق ما بان عنه أحدٌ من حيث العلم والقدرة، ولا اتصل به أحدٌ من حيث الذات والصفات، ومن لم يصلح للمعرفة شُغل برؤية الأعمال، والشهيد يشاهد حاله فيسرّه، والميت يشاهد عمله فيقلقه، وهذا بالقبول والرد مخوف، وذلك بالرحمة والرضوان مبشر ومشرف.

قال ﷺ: الحق مباين للخلق بالقدم والربوبية، كما باينوه بالحدث والعبودية.

وقال: الإخلاص ما خفي على النفس درايته، وعلى الملك كتابته، وعلى الشيطان غوايته، وعلى الهوى إمالته.

والفقر فخرٌ، والعلم غنمٌ، والصمت نجاةٌ، واليأس راحةٌ، والقناعة غِنى، والزُّهد عافيةٌ، ونسيان الحق خيانةٌ، والاشتغال عنه دناءةٌ، والحضور معه جنةٌ، والغيبة عنه نارٌ، والقرب منه لذَّةٌ، والبُعْد عنه حسرةُ، والأُنس به حياةٌ، والاستيحاش منه موتٌ، والخمول نعمةٌ على العبد لو عرف شكرها.

وطلب الإرادة قبل تصحيح التوبة غفلةٌ، ومن قطع موصولاً بره قُطع به، ومن شغل مشغولاً بقربه أدركه المقت.

الأعمال والأحوال لا تصلح لبساط الحق تعالى.

ومن دعائه ﷺ: اللهم إن العلم عندك وهو محجوبٌ عني، ولا أعلم أمرًا أختاره

لنفسي، فقد فوَّضت أمري إليك، ورجوتك لعافيتي وفقري فأرشدني، اللهم ائتني أحب الأمور إليك، وأرضاها عندك، وأحمدها عافية لديك، فإنك تفعل ما تشاء وأنت على كل شيءٍ قدير.

ومن قوله رحمه الله تعالى:

يَا مَنْ عَلاَ فَرَأى مَا فِي الغيوبِ وَمَا ... تَحْتَ الثَّرَى وَظَلاَمُ الليلِ مُنْسَدلُ

أَنْتَ الغياثُ لمنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبه ... أَنْتَ الدَّلِيْلُ لِمَنْ حَارَتْ بِهِ الحِيَلُ

إِنَّا قَصَدْنَاكَ وَالآمَال وَاثِقَة ... وَالكُل يَدْعُوكَ مَلْهُوفٌ وَمُبْتَهِلُ

فَإِنْ عَفَوتَ فَذُو فَضْلٍ وَذُو كَرَمٍ ... وَإِنْ سَطَوتَ فَأَنْتَ الحَاكِمُ العَدْلُ

وقال أيضًا ﷺ: أوقفني ربي ﷻ وقال لي: يا شعيب ماذا عن يمينك؟ قلت: يا رب عطاؤك، قال: وماذا عن شمالك؟ قلت: يا رب قضاؤك، قال: يا شعيب قد ضاعفت لك هذا، وغفرت لك هذا، طوبى لمن رآك أو رأى من رآك.

ومن الشعر الممدوح به قصيدة لبعض العلماء الصلحاء أهل المغرب:

تَبَدَّدت لَنَا أَعْلاَمُ عِلْم الهُدَى صِدْقًا ... فَثِمَارُه شَمْس الدِّين مغربًا شرقَا

وَأَشْرَقَ مِنْهَا كُلَّمَا كَانَ أَفلاً ... فَأَصْبَح نُور السَّعْدِ قَدْ مَلأ الأفقَا

ثم مدح المشايخ المحققين العارفين فقال ﷺ:

هُمُ القَوْمُ لاَ يَشْقَى بهم جَلِيْسهم ... وَهَلْ أَحَد يحظى قُربهم شقَا

أَبَا مدْيَن أَنْتَ لِدِيْنِكَ عصمة ... فَوَاليتهم حُبًّا وَدَانَيْتهم رقًّا

لَكَ اللهُ يَا شَمْسٌ أَضَاءَ بِنُورِهَا ... مِن الدِّيْنِ مَا قَدْ أظلم إذ رقَا

سَقيتَ قُلُوبًا طَالَمَا شَفهَا الظَّمَا ... فَأَمطرتها مِنْ مَاءِ عِلْم الهُدَى ودقَا

فَأَحْيَيتَ مِنْهَا كُلَّمَا كَانَ مَيتًا ... ورقيت مِنْهَا كُل مَا كَانَ لاَ يرقَا

وَأَخْرَجتَهَا مِنْ كُلِّ جَهْلٍ وَظُلْمَةٍ ... فَمِنْهَا دَحَا لِيل الحبِّ لَه برقَا

وَأَدْخَلتَهَا حصن التَّوكُّل فَأَسْلمت ... وَأَمسكها ذُو العزِّ بالعَرْوَةِ الوثْقَا

شَفيت بِعِلمٍ يَا شعيب قُلُوبنا ... فَاسْمُكَ مِنْ شعبِ القلوبِ قَدْ اشتقَا

هذه عشرة أبيات اقتصرت على ذكرها، وقد روى بالإسناد المتصل إلى الشيخ الكبير العارف بالله أبي الحجاج الأقصري قال: سمعت شيخنا أبا محمد عبد الرزاق يقول: لقيت الخضر أبا العباس ؑ في المغرب في سنة ثمانين وخمسمائة فسألته عن

شيخنا أبي مدين ﷺ قال: هو إمام الصدِّيقين في هذا الوقت، أتاه الله مفتاحًا من السر المصون بحجاب القدس، ما في هذا الوقت أجمع لأسرار المرسلين منه.

قال: ثم مات الشيخ أبو مدين بعد ذلك بيسير رحمه الله تعالى.

قال الشيخ: وجميع كلام الخضر ﵇ قد وقع بعد موت الشيخ عبد القادر؛ فإنه مات سنة ستين وخمسمائة كما سيأتي، وإنما نبَّهت على هذا لئلا يتناقض الكلام، هو ها هنا مشعرٌ بتفضيله على أهل زمانه، وقد علم في موضع آخر أن الشيخ عبد القادر يُفضَّل على أهل زمانه مطلقًا، وأن الشيوخ كلهم وضعوا رقابهم تحت قدمه، ومنهم الشيخ أبو مدين المذكور.

الحكاية الثامنة والثلاثون

عن الشيخ الكبير العارف بالله الشهير أبي الحسن بن الصباغ ﷺ قال: حضر الشيخ أبو محمد عبد الرحيم القناوي المغربي سماعًا بقنا، بكسر القاف بعدها نون، وفيه جماعة من المشايخ والعلماء فأنشد القوال:

كَمْ آيَةٍ فِيْكَ أمسيت أخفيهَا ... خَوْف العِدَا أَوْ دموع العَيْنِ تُبْدِيْهَا
وَمِنْ حِرْمَان شَوْقِي طُول لَيْلَته ... إلَيْكَ يَنْشُرهَا عودًا وَيَطْوِيهَا
فَارْحَمْ بِقَلْبِكَ قَلبًا حشوه حرق ... تخبو الجحيم ولا تخبوا أَمَاقيهَا
فَلَيْسَ فِي بَدَنِي عُضْو وَجَارِحَة ... إلاَّ وَحُبكَ فِيْهَا مِلء مَا فِيْهَا

وقال ﷺ:

سُرُورِي أَنْ أَرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي ... وَأَنْ يَدْنُو مَكَانَكَ مِنْ مَكَانِي
وَعَيْشِي فِي لِقَائِكَ كُلّ يَوْمٍ ... وَحَسْبِي ذَاكَ مِنْ كُلِّ الأَمَانِي
لأَنْ وَاصلتني فَأَردتَ قُرْبِي ... وَحَقكَ لاَ أُبَالِي مَنْ جَفَانِي

قال: فداخل الشيخ أمرٌ عظيمٌ وقال للقوال: أعده، فدخل القوال فترة في ذلك فقال له الشيخ: اسكت، فلم يقدر على النطق، ومكث كذلك أيامًا، ثم جاء إلى الشيخ معتذرًا مستغفرًا، فقال له: قُلْ شيئًا من القرآن، فقرأ عند الشيخ ما شاء الله أن يقرأ وانصرف مسرورًا، وكان إذا أراد أن يقرأ قرأ، وإذا أراد أن يقول شيئًا من الشعر أو غيره لم يقدر على النطق، فأتى إلى الشيخ مستغيثًا فقال له: اذهب فتكلَّم، فانصرف الرجل مطلق

اللسان كحاله أولاً.

الحكاية التاسعة والثلاثون

عن الشيخ الجليل أبي الحجاج الأقصري ﷺ قال: اجتمع بمصر الشيخان عبد الرحيم، وعبد الرزاق رضي الله عنهما، فأطرق الشيخ عبد الرحيم وقال: إن الله ﷻ قد وهب مقام البدل شيخًا، ثم قال لعبد الرزاق: إني نظرت في اللوح المحفوظ فرأيت فيه حضور أجل رجل من الأبدال في بيت المقدس في وقتهما، وحضرا موت البدل وجهازه ودفنه، وعادا إلى مصر في بقية يومهما، فقال الشيخ عبد الرحيم لعبد الرزاق: اذهب إن الله ﷻ قد وهب مقام البدل شيخًا في سفينةٍ في النيل، وقد أُمرت أن آتي به، فذهبا إلى شاطئ النيل فإذا تلك السفينة جارية في الشاطئ الآخر، فأخذ الشيخ عبد الرحيم عصا فغرزها في الأرض فوقفت السفينة، لا تذهب يمينًا ولا شمالاً، فمرَّ الشيخ عبد الرحيم على الماء حتى وقف على السفينة، ونادى باسم الرجل فأجابه، فلما قرب منه أخذ بيده ومشيا على الماء إلى شاطئ البحر، ونزع الشيخ بيده تلك العصا فسارت السفينة، ثم ساروا ثلاثتهم إلى بيت المقدس، فصلُّوا فيه صلاة المغرب من يومهم ذلك، وجلس الرجل في مقام الميت ووهبه الله تعالى مثل حاله.

الحكاية الأربعون

عن الإمام تقي الدين ابن الشيخ الإمام مجد الدين أبي الحسين علي بن وهب القشيري رحمه الله تعالى قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول:

خرجت مع الشيخ أبي الحجاج الأقصري ﷺ إلى قبر الشيخ عبد الرحيم بجبانة قنا، فلما وقفنا على قبره خرج من القبر نور كهيئة دائرة الشمس، وجاءت حتى لاقت الشيخ أبا الحجاج، فكنت أقول: إنها روح الشيخ ﷺ.

وعن الشيخ الجليل العارف بالله أبي إسحاق بن أبي طاهر الأنصاري رحمه الله قال: كان رجل من أهل مصر له حالٌ فاخرٌ، وقدمٌ ثابتٌ، وكشفٌ ظاهرٌ، فتوارى عنه ذلك كله، فأتى إلى الشيخ عبد الرحيم ﷺ فوافاه جالسًا يتوضأ في إناءٍ، فقال: يا سيدي قد جئتك قاصدًا، وكان لي حال مع الله ﷻ وقد فقدته كله، فقال له الشيخ: اشرب ما في هذا الإناء، يعني ماء وضوءه، فشربه فوجد حاله كله في الحال.

وقال الشيخ ذو الجلالات والكرامات والبركات الطاهرات أبو عبد الله القرشي قدَّس الله روحه: أنوار الشيخ عبد الرحيم عَلَت على أنوار جميع أصحاب الأحوال من أهل الديار المصرية في وقته ﷺ.

ومن كلام الشيخ عبد الرحيم قدَّس الله روحه: قطع العلائق يمحق البعد، وظهور الفقد بعدم الالتفات إلى السوى، وثقة القلب بترتيب القدر السابق والتجريد صار حكمًا، والذهول على الكونين حالاً، حتى تنقلب الأكوان باطنًا لظاهرٍ، ومتحركًا لساكنٍ، فيسكن القلب بتمكين القدر، وانشراح الصدر بصور الأكوان مع ثبوت المقام بعد التلوين، ورسوخ التمكين، فتكون السماء له رداءً، والأرض له بساطًا، والهيبة في القلب لعظمة الله.

طمس أبصار البصائر عن مشاهدته فلا يُرى إلا بأنوار الجلال، وسواطع الجمال، والرِّضا بسكون القلب تحت مجاري الأقدار بنفي التفرقة حالاً، وعلم التوحيد جمعًا، فيشهد القدرة للقادر، والأمر للآمر، وذلك يلزمه في كل حالٍ من الأحوال.

والتمكين: شهود العلم كشفًا، ورجوع الأحوال إليه قهرًا، والتصرف حكمًا وكمال الأمر شرعًا.

والجوع: صفاء الأسرار في استغراق الأذكار، والشوق: الاستغراق في بادئ الذِّكر طربًا، ثم الغيبة في وسط الذِّكر سُكرًا، ثم الحضور في آخر الذِّكر صحوًا، فهو بين استغراق يهيجه وغيبة تزعجه وحضور يبعثه.

والحياة أن يحيا القلب بنور الكشف، صدرك سر الحق الذي برزت به الأكوان في اختلاف أطوارها، فكيف وهي جنة الله تعالى، وتخاطبه بأسرار معانيها، وألطاف مبانيها، والتبري من الحول والقوة ذهاب الخواطر من المتجلى عليه، وفناء الأكوان في امتزاج الأنفاس عليه، ويفيد صاحبه أن يحفظ الله عليه حاله، ويرقى في كل لحظةٍ مقامه، فلا يرى في الملك ولا في الملكوت حركة ولا اختلاف ظهور حكم إلا وله فيه زيادة نوره، وحقيقة إيمانه، وهو مقامٌ فلا يتكدَّر عليه حاله، ولا يختلف عليه وجده، فإن ظهرت عليه القدرة أخفته، وإن بطنت فيه أظهرته، فرؤيته عرشية - أو قال: غيبية -، وحضوره - أو قال: ظهوره - بطونه واله فان بالأسرار لا يسمع إلا من مخاطبٍ في سرِّه بسر المراد في العلم، وتتنوع له الأفهام باختلاف المقامات في العمل، فهو يرتع

في رياض الأسرار، وُيصافى بخالص الأنوار، ويتجلَّى له الحكم في أنوار الجمال، يهدي إليه ويمنحه هباتها، والواصل ألقى السمع للإصغاء، وفتح البصيرة للنظر، فتنطق حروف الأكوان في سر أسماعه تدبرًا وحكمًا ومواعظ، فهو في رياض التدبُّر بين حدائق المواعظ الناطقة الصامتة، وأزهار الحكم الباطنة والظاهرة.

والتقوى: ألا يظهر على محله حركة إلا وهي بحبل العلم مرتبطة، أو كما قال: مع غيبته عن حركته، فإن يكن باطنه مع باطن العلم حكمها، وإن يكن ظاهره مع ظاهر العلم وجودها مع طهارة القلب، وتسليم النفس، ومبادرة الوقت، وإذا صحَّ هذا الوصف للعبد أتاه الله العلم اللدني، وفتح له باب إلهام الوحي، فتحدث روحه بأسرار الملكوت.

والتحقيق: الاستغراق في الأنوار الغيبية، فيرى في قلبه مشكاة دانية الأنوار، فيدرك به حقيقة النفس، وكيف رتب الله وضعها والناس في ذلك على قسمين: متمكن أمكن، ومتمكن عين أمكن، فالأول هو الذي يجد العبارة منوطة بلطف الحال، مفصحة للتبليغ بشرط التلقِّي، والثاني هو الذي يدرك ذلك كشفًا، ويمنع منه عبارة وهو مولهٌ، غير مبلغ حقيقة ما أدركه من لطف الأنوار، وجلي الأسرار، والكشف بروز الأفعال والأحوال على القسطاس الصديقي، والصراط الحقيقي، وكذلك الأكوان تدركه حقائقها على الوضع الأول من غير إشارةٍ لتمثيلٍ، ولا محو، بل التحويل بروز التشكيك، فهي تظهر له على اثني عشر قسمًا: صنوان، وغير صنوان، شموس المعارف ولطائف العوارف، ويشهد في ذلك ما له قبل الانفصال والاتصال.

والذِّكر: اضمحلال الذِّكر برؤية المذكور حتى يبقى محقًّا في عين المحق، وسكر في سر الصحو.

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤]، معناه: إذا نسيت أنك ذاكرٌ فنسيانك ذِكرٌ، وغيبتك عن النسيان شهود المذكور، وهو المعبَّر عنه بذكر الذاكر، وأما من قال معناه: إذا نسيت من سواه فاذكره، فهو لا يصلح إلا للغافلين لا للمحققين، وهذه المقامات كلها نتائج الكتاب والسُّنة بحسن الأدب، ومن لا اتِّباع له للشرع فلا شيء له في هذه المقامات والأحوال. انتهى كلامه ﷺ.

وهو كلام عارف محقق في الأسرار، مدقق عزيز نفيس، لا يعرفه إلا أهله من كل

غواصٍ على الأسرار ذي تفتيشٍ.

وكان ﷺ من أكابر العارفين، وأجلاَّء المقرَّبين المشهورين المشكورين، أصحاب الكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة، والآيات الباهرة، والأنوار الزاهرة، والأحوال والمقامات العلية، والمحل الأرفع، والجاه الأوسع، والكشف الجلي، والقدر العلي، والمورد العذب من مناهل الوصل والتقريب في القطع، والوصل والتولية والعزل ممن جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة، وجعله إمامًا دالاً في سلوك الطريقة، كثير السر المصون، مفتاحًا لمغالقه الغامض المكنون.

وكان يقول: إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إله لا الله، يقول: شهدنا بما شهدنا، ويقول: المتكلمون يدندنون حول الحق، كُشفت لهم خفيات الأسرار، وجُليت لهم جليات الأنوار.

وشهد له المشايخ والعلماء بالجلالة والتقدم في المعارف، والقدم الراسخ في استظهار الآيات وكثرة البركات، نفعنا الله به وسائر الصالحين، وأعاد علينا من بركاته. آمين.

ونسبه شريفٌ علوي، راجع إلى الحسين بن علي، رضوان الله عليه وعلى سائر عباد الله الصالحين.

الحكاية الواحدة والأربعون

عن الشيخ العارف أبي حفص عمر بن مصدق الواسطي رحمه الله تعالى، أن الشيخ عثمان بن مُرُورَة، بضم الميم والراء الأولى وفتح الثانية، بينما هو ليلة متهجدًا إذ طرقه طارقٌ من جناب الحق، ومُدَّت له أنوار تجلّي من سرادقات الجلال، فوقف مكانه شاخصًا إلى السماء سبع سنين لا يأكل ولا يشرب، ثم رد إلى أحكام بشريته، فقيل له: اذهب فادخل قريتك، وأطأ زوجتك؛ فإن في ظهرك ولدًا وقد آن وقت ظهوره، فأتى إلى قريته وطرق باب داره، فكلمته زوجته فأخبرها بالسبب الذي جاء فيه، فقالت له: لئن فعلت وعدت إلى مكانك من ليلتك، ولم يعلم بك أحدٌ ليتحدثن الناس فِيَّ، فصعد إلى سطح داره، ونادى بأعلى صوته: يا أهل القرية أنا عثمان بن مرورة، اركبوا فإني سأركب، فأبلغ الله صوته أهل القرية، وأفهمهم مراده، فمن وطئ زوجته من أهل القرية في تلك الليلة رزقه الله تعالى ولدًا صالحًا، ثم اغتسل الشيخ عثمان، ورجع إلى مكانه

بالبطحاء ووقف شاخصًا إلى السماء سبع سنين أُخر، كحاله الأول، وطال شعره حتى ستر عورته، ونبت العشب حوله، وأَلِفَته السباع والوحوش، وعكفت عليه الحيوانات والطيور، ثم رد إلى أحكام البشرية بعدما قضى فرائض أربعة عشرة سنة، وكانت الكلاب عنده تلعب مع السباع لا توقفها ولا تتعرَّض لها.

الحكاية الثانية والأربعون

عن الشيخ العارف أبي الفتح بن أبي الغنايم الواسطي رحمه الله تعالى قال:

جاء رجلٌ من أهل البطائح بثور أعجف يقوده إلى شيخنا الشيخ أحمد الرفاعي قدَّس الله روحه، فقال: يا سيدي ليس لي ولعيالي عيش إلا من هذا الثور، وإنه قد ضعف عن العمل، فادعو فيه بالبركة والقوة، فقال له الشيخ: اذهب إلى الشيخ عثمان بن مرورة وسلِّم عليه عني، واسْأَله لي الدعاء، فذهب الرجل يقود الثور إلى الشيخ عثمان فوجده جالسًا والأُسد محدقة به، فهاب الرجل أن يتقدَّم إليه، فقال له: تقدَّم، فتقدم حتى قرب منه، فقال له ابتداءً: وعلى الشيخ أحمد السلام، ختم الله له ولي بالخير، ثم أشار إلى بعض تلك الأُسد أن قُم وافترس هذا الثور، فقام الأسد فافترسه وأكل منه، فقال الشيخ للأسد: قم عنه، ثم قال لأسد آخر: قم وكُلْ منه، فقام وأكل، ثم قال له: قُمْ عنه، وما زال يأمر الأسد أسدًا أسدًا بالأكل حتى لم يبقَ من لحم الثور شيءٌ، فإذا بثورٍ سمين قد أقبل من صدر البطحاء، فجاء ووقف بين يدي الشيخ، فقال الشيخ للرجل: قُمْ إلى هذا الثور فخذه بدلاً عن ثورك، فقام إليه وأخذه وهو يقول في نفسه: هلك ثوري، وأخشى أن يعرف هذا معي أحد فأُوذى، وإذا برجلٍ قد أقبل يعدو حتى وقف على الشيخ فقبَّل يده وقال: يا سيدي نذرت لك ثورًا وأتيت به إلى البطحاء، فانساب عني ولا أدري أين ذهب، فقال له الشيخ: قد وصل نذرك وهذا هو، فلما رآه الرجل أكب على قدم الشيخ يقبلها، فقال له: يا سيدي قد عرفك الله بكل شيءٍ، وعرّف بك كل شيءٍ حتى البهائم، فقال له الشيخ: يا هذا الحبيب لا يُخفي على حبيبه شيئًا، ومن عرف الله ﷻ عرفه كل شيءٍ، قلت: مع كل شيءٍ أقصد يعرفه أو له تعلُّق به.

وقد أوضحت هذا في غير هذا المكان في قول بعضهم: العارف لا يخفى عليه شيءٌ.

ثم قال للرجل صاحب الثور: تخاصمني بقلبك؟ تقول: هلك ثوري ولا أعلم من

أين هذا الثور، وأخشى أن يعرفه معي أحدٌ فأوذي، فجعل الرجل يبكي فقال له الشيخ: ألم تعلم أن الله يعلمني بما في قلبك؟ اذهب بارك الله لك في ثورك وأخذه وانصرف، ومشى الرجل خطوات، فخطر في نفسه: أخشى أن يعترضني أو يعترض ثوري أسد، فقال: يا سيدي، هو ذاك، فأشار الشيخ إلى أسدٍ بين يديه: أن قم معه إلى أن ينجو بنفسه وبما معه، قال: فلقد كان ذلك الأسد يزود عنه الأُسد وغيرها كما يزود عن أشباله، ويمشي تارة عن يمينه، وتارة عن شماله، وتارة أمامه، وتارة خلفه، حتى وصل إلى مأمنه.

وأتى إلى الشيخ أحمد ﷺ فأخبره بقصته معه، فبكى وقال: عجزت النساء أن تلد بعد ابن مرورة مثله، قال: وبارك الله للرجل في ذلك الثور حتى صار منه مالاً كثيرًا ببركة دعوة الشيخ عثمان، رضي الله عنهم أجمعين.

الحكاية الثالثة والأربعون

عن الشيخ العارف عبد اللطيف بن أحمد البغدادي الفقيه الصوفي، رحمه الله تعالى قال: قصد إلى الشيخ عثمان ﷺ رجلان من البطائح، أحدهما أعمى، والآخر مجذوم؛ ليدعو لهما بالعافية، فلقيهما رجلٌ مُعافى ليس به عاهة، فسألهما عن قصدهما، فأخبراه فقالا لهما: إن هذا الرجل ما هو عيسى بن مريم ﷺ، والله لو أشاهده وقد أبرأ الأكمه ما صدقته، وأنا ذاهبٌ معكما، فلما وصلوا إلى الشيخ عثمان قال: يا أعمى ويا جذام انتقلا عنهما إلى هذا، فأبصر الأعمى، وبرأ المجذوم، وعمي المُعافى وجُذم، فقال له الشيخ: إن شئت صدقت، وإن شئت لا تصدق، فانصرفوا من بين يديه على هذه الحالة.

نسأل الله الكريم العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

وكان الشيخ عثمان ﷺ من أعيان العارفين، وأكابر المحققين، عالي المقامات، كبير الكرامات، بحر الحقائق والمعارف، معدن الأسرار واللطائف، له القدم الراسخ، والتمكين الشريف، والجلالة العُظمى، والمحل الأسنى والتصريف.

ومن كلامه ﷺ:

قلوب الأولياء أوعية للمعرفة، وقلوب العارفين أوعية للمحبَّة، وقلوب المحبِّين أوعية للشوق، وقلوب المشتاقين أوعية للمشاهدة، وقلوب المشاهدين أوعية للفرائد الإلهية، ولكل حالٍ من هذه الأحوال آداب، فمن لم يستعملها بأوقاتها هلك من حيث

يرجو النجاة.

ومنه: الحب شغفٌ، بدايته الأسف وغايته الدنف. ونهايته الزلف، من ذاقه عرفه، ومن عرفه أَلِفَه، ومن أَلِفَه وصفه، والمحبُّون يعيشون على بساط أُنس الله، فيطعمهم ويسقيهم، فهم قائمون مع الله ﷻ على قدمٍ واحدةٍ، إن تقدموا عرفوا، وإن تأخروا حُجبوا.

الحكاية الرابعة والأربعون

عن الشيخ العارف بالله أبي محمد عبد الله المارديني رحمه الله قال: كنت عند الشيخ الإمام جمال الدين بن يونس بمدرسته في الموصل، فذكروا قضيب البان الموصلي، ووقعوا فيه ووافقهم ابن يونس، فبينما هم بمجلسه يخوضون فيه إذ دخل عليهم قضيب البان فبُهتوا، فقال: يا ابن يونس أنت تعلم كل ما يعلمه؟ قال: لا، قال: فإن كنت أنا من العلم الذي لا تعلمه أنت؟ فلم يدرِ ابن يونس ما يقول، قال المارديني: فقلت في نفسي: لا بُدَّ أن ألزمه اليوم والليلة حتى أرى ما يصنع، فلزمته بقية يومي، فلما كان العشاء اخترق الأزقة وأخذ منها سبع كسرات، وأتى إلى باب دار فطرقه، فخرجت إليه عجوزٌ وقالت: يا قضيب البان، أبطات عليَّ، فناولها تلك الكسر، وانصرف حتى أتى إلى باب الموصل وهو مغلقٌ، فانفتح له فخرج وأنا خلفه ومشى يسيرًا، وإذا بنهرٍ يجري وعنده شجرة، فخلع ثيابه واغتسل في ذلك النهر، وعمد إلى ثيابٍ معلقةٍ على تلك الشجرة فلبسها، وانتصب يصلِّي إلى أن طلع الفجر، وغلب عليَّ النوم فما استيقظت إلا بحر الشمس وأنا في صحراءٍ مقفرةٍ، لا أرى أحدًا ولا يترائى لي أحدٌ، لا قريب ولا بعيد.

فوقفت متحيرًا لأمري بأي أرضٍ أنا، فمرَّ بي ركبٌ، فأتيتهم وسألتهم وقلت لهم: أنا من الموصل وخرجت منها الليلة وقت العشاء، فأنكروا أمري، وقالوا: ما ندري أين يكون الموصل، فتقدم إلَيَّ منهم شيخٌ كبيرٌ وقال لي: أخبرني بقصتك، فأخبرته فقال: والله لا يقدر على ردِّك إلى الموصل إلا الذي جاء بك إلى ها هنا، يا أخي أنت ببلاد المغرب وبينك وبين الموصل مسيرة ستة أشهر، فامكث هاهنا لعله يعود، ثم مضوا وتركوني، فلما كان الليل إذا أنا بقضيب البان قد نزع ثيابه واغتسل وقام يصلِّي إلى الصبح، فلما طلع الفجر نزع تلك الثياب وليس أحدًا معه وسار، فتبعته فلم يلبث إلا

يسيرًا حتى جئنا الموصل، فالتفتَ إلَيَّ وعرك أذني، وقال لي: لا تَعُدْ إلى مثلها، وإيَّاك وإفشاء الأسرار، قال: فوافينا الناس يصلون صلاة الصبح بالموصل.

الحكاية الخامسة والأربعون

عن الشريف أبي عبد الله محمد بن الخضر بن عبد الله الحسيني الموصلي قال: سمعت أبي رحمه الله يقول: كنت سيء الظن بقضيب البان على كثير ما يبلغني من كراماته ومكاشفاته، وكنت عزمت أن أكلم السلطان في إخراجه من الموصل، إذ رأيت قضيب البان مقبلاً من صدر الزقاق على هيئته المعروفة، ولم يكن في تلك الساعة في ذلك الزقاق غيري وغيره، فقلت في نفسي: لو كان معي أحدٌ آمره بإمساكه، فمشى خطوة فإذا هو على هيئة كردي بصورةٍ غير صورته الأولى، ثم مشى خطوة فإذا هو على هيئة بدوي بصورةٍ غير الصورتين الأوليين، ثم مشى خطوة فإذا هو في هيئة فقيه بصورةٍ غير الصور المتقدمة، فقال لي: يا قاضي هذه أربع صور أيتهن قضيب البان منهن حتى تكلِّم السلطان في إخراجه؟ قال: فلم أتمالك أن أكببت على قدميه أقبلهما واستغفرت.

الحكاية السادسة والأربعون

عن الشيخ الأصيل أبي المفاخر عدي ابن الشيخ أبي البركات بن صخر بسنده المتصل أن قضيب البان[١] خرج يومًا عند أذان الظهر من زاويةٍ في لاشين، بالشين المعجمة على ما ضبطه بعضهم، فقال له بعض الصالحين من الفقراء: هل لك في الصُّحبة؟ قال: نعم يا أخي، بشرط ستر الحال، قال: ذلك الفقير؟ فقلت له: نعم، فمشينا غير بعيدٍ فأتينا إلى مدينةٍ لا أعرفها ولا أدري من أي أرضٍ هي، فقام إليه أهلها فتلقوه وبالغوا في إكرامه، فإذا هم من أكمل الناس أدبًا، وأوفرهم عقلاً، وأكثرهم خشوعًا، فصلَّى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، وخرجنا من عندهم وقت الإسفار، وما أكلنا ولا شربنا، فسار غير بعيدٍ، وصار يطعمني من أنواع الفواكه والحلوى وسقاني، ولقد خرجنا من تلك المدينة وما معه شيءٌ، فلم نمشِ إلا يسيرًا حتى أتينا الموضع الذي خرجنا منه، فقلت له: ما هذه المدينة؟ قال: يا أخي هذه مدينة

---

(١) انظر: البهجة (ص٣٦٧)، والقلائد (ص٣٦٦)، وطبقات السبكي (١١٦/٩).

من وراء بحر الهند، أهلها مسلمون يصلي بهم كل ليلةٍ ويومٍ وليٌّ من أولياء ذلك الزمان، وإنه لا يدخلها عليهم إلا وليٌّ، ولو لم يؤذن لي في مصاحبتك لما استطعت أن ترافقني.

الحكاية السابعة والأربعون

عن الشيخ أبي حفص عمر بن مسعود البزار ببغداد رحمه الله تعالى قال: ذكرت قضيب البان عند شيخنا محيي الدين عبد القادر ﷺ فقال: هو وليٌّ مُقرَّبٌ، ذو حالٍ مع الله تعالى، وقدم صدق عنده ﷻ، فقيل له: إنه ما نراه يصلِّي، قال: إنه يصلِّي من حيث لا ترونه، ولا يخرج يوم ولا ليلة وعليه فيهما فرض أبدًا، وإني أراه إذا صلَّى بالموصل أو بغيرها من آفاق الأرض يسجد عند باب الكعبة.

وكان ﷺ أحد الأولياء المشهورين، صاحب الكرامات الباهرة، والإشارات الفاخرة، والهِمم العلية، والمقامات السَّنية، والمعارف الجلية، والمواهب الجزيلة، والكشف الظاهر، والقلب الغواص في بحار الأسرار، أجمع المشايخ والأولياء على ولايته عجمًا وعربًا، وسارت الركبان بآثاره ومناقبه شرقًا وغربًا، وكان الغالب عليه من حاله الاستغراق والوله، وكان يتردَّد في الرسائل بين الشيخ عبد القادر والشيخ عدي بن مسافر، رضي الله عنهم أجمعين.

ومن كلامه ﷺ:

تصحيح البدايات هو اتِّقاء الرخص بمواظبة النفس على العزائم، وتحكم السنة بامتثال الأمر ومشاهدة الحكم.

والحزم في السلوك ترك الراحة، وامتثال أحكام المشايخ بعدم الاعتراض، واستحقاق العمل باستشعار الحال - أو قال: الأجل -، والتمسك بعروة الإخلاص.

واعلم أن التطلع لعالم النهايات لا يصح إلا بتحقيق البدايات.

الحكاية الثامنة والأربعون

عن الشيخ أبي الحسن الخباز رحمه الله تعالى قال: قصدت مع جماعة من أصحابنا إلى الجوسق لزيارة الشيخ أبي الحسن الجوسقي ﷺ، فلما دخلنا عليه كاشفنا بكل ما جرى لنا في طريقنا، وأوضح لكلٍّ منا ما اختلج في نفسه، وبتنا عنده فخرج علينا في

الليل براغيث فكنا نجتهد أن نقتلهن، فلم نقدر فلما أصبحنا قال أحدنا: يا سيدي، إذا كان للرجل جاه عند الله أيعم جاهه أهل بلده؟ قال: نعم، ودوابهم وحشراتهم حتى البراغيث.

قال الشيخ أبو الحسن المذكور: سمعت الشيخ أبا حفص البزار يقول: مرض الشيخ عليّ بن الهيتي ﷺ فعاده الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ وأرضاه، فاجتمع هناك الشيخ بقا، والشيخ أبو سعيد القيلوي، والشيخ أبو العباس أحمد بن علي الصرصري، رضي الله عنهم أجمعين، فأمر الشيخ علي بن الهيتي خادمه أبا الحسن الجوسقي بمد السفرة فبسطها، ووقف مفكرًا بمن يبدأ بوضع الخبز بين يديه، ثم أخذ ينبذ خبزًا كثيرًا، فدار على خوان السفرة دفعة واحدة من غير أن يقدم بعض الحاضرين على بعضٍ في ذلك، فقال الشيخ عبد القادر للشيخ علي بن الهيتي: ما أحسن خادمك هذا قد مدَّ السفرة بالحال، فقال: أنا وهو غلمانك.

الحكاية التاسعة والأربعون

عن الشيخ الأصيل أبي محمد عبد الله ابن الشيخ العارف بالله أبي المفرج عبد الرحمن بن الشيخ الناسك أبي الفتح نصر الله بن علي الحموي الشيباني، رحمه الله تعالى، قال: سمعت أبي يقول: كان أبي رحمه الله تعالى ماشيًا على حافة الجبل في يوم ريح عاصف، فغلبت عليه الريح فسقط، وكان الشيخ أبو البركات ﷺ جالسًا تجاه الجبل، فأشار بيده نحوه فثبت مكانه في الهواء بين أعلى الجبل والأرض، ولم يضطرب يمينًا ولا شمالاً، ولا إلى فوق ولا إلى تحت، كأن من يمسكه ويمنعه الحركة، ومكث كذلك ساعة، فقال الشيخ: يا ريح اصعدي به إلى سطح الجبل، فصعدت به رفقًا كأن من يحمله حتى انتهى إلى سطح الجبل.

الحكاية الخمسون

عن المشايخ الثلاث: أبي الحسن البغدادي، والشيخ أبي الحسن علي بن سليمان المعروف بالخباز، والشيخ الجليل الملقب بالقصير بسندهم المتصل، أن الشيخ عبد القادر ﷺ زار الشونزيه يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وعشرين وخمسمائة، ومعه جمعٌ كثيرٌ من الفقهاء والفقراء، ووقف عند قبر الشيخ حماد ﷺ زمانًا

طويلاً حتى اشتدَّ الحر والناس واقفون خلفه ثم انصرف، والسرور بيّن في وجهه، فسُئل عن سبب طول قيامه فقال: كنت خرجت من بغداد في يوم الجمعة منتصف شعبان سنة تسع وتسعين وأربعمائة مع جماعةٍ من أصحاب الشيخ حماد، رضي الله عنهم؛ لنصلي في جامع الرصافة والشيخ معنا، فلما كنا عند قنطرة النهر دفعني فرماني في الماء، وكان في شدة البرد في الكوانين، فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم، نويت غسل يوم الجمعة، وكان عليَّ جبة صوف، وفي كمِّي أخرى، فرفعت يدي حتى لا تبتل فتركوني وانصرفوا، فخرجت من الماء وعصرت الجبة، وتبعتهم وقد تأذَّيت بالبرد أذًى شديدًا، فطمع فِيَّ أصحابه، فنهرهم وقال: أنا أؤذيه لأمتحنه فأراه جبلاً لا يتحرك، وإني رأيته اليوم في قبره وعليه حلة من جوهرٍ، وعلى رأسه تاجٌ من ياقوتٍ، وفي يده أساورة من ذهبٍ، وفي رجله نعلان من ذهبٍ، ويده اليمنى لا تطيعه، فقلت: ما هذا؟ قال: هذه اليد التي رميتك بها هل أنت غافر ذلك؟ فقلت: نعم. قال: فاسأل الله تعالى أن يردها، فوقفت أسأل الله تعالى في ذلك، وقد ازدحمت الأرض من أولياء الله، وفي قبورهم يسألون الله ﷻ في مقامي ذلك حتى ردَّ الله عليه يده وصافحني بها، وقد تمَّ سروره[1].

قالوا: فلما اشتهر هذا القول ببغداد اجتمع المشايخ والصوفية من أهل بغداد من أصحاب الشيخ حماد؛ ليطالبوا الشيخ عبد القادر بتحقيق ما قال في الشيخ حماد، ومعهم خلقٌ كثيرٌ من الفقراء، وأتوا إلى المدرسة فلم يتكلَّم منهم أحدٌ؛ إجلالاً للشيخ، فبدأهم بمرادهم، وقال لهم: اختاروا رجلين من المشايخ يتبيَّن لكم ما ذكرتم على لسانهما.

فأجمعوا على الشيخ يعقوب بن يوسف الهمذاني، وكان يومئذٍ قد ورد إلى بغداد، والشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن شعيب بن مسعود الكردي وكان مقيمًا ببغداد، رضي الله عنهما، وكانا من ذوي الكشف الحاذق والأحوال الفاخرة، وقالوا له: أمهلناك في بيان ذلك على لسانهما جمعة، فقال لهم: بل ما تقومون من مقامكم هذا حتى يتحقق لكم هذا الأمر، وأطرق وأطرقوا، فصاح الفقراء من خارج المدرسة فإذا الشيخ يوسف قد جاء حافيًا، مشتدًا في عدوه حتى دخل المدرسة وقال: أشهدني الله تعالى الساعة الشيخ حمادًا وقال لي: يا شيخ يوسف أسرع إلى مدرسة عبد القادر، وقل

---

(١) انظر: بهجة الأسرار (١٠٧).

للمشايخ الذين فيها: صدق الشيخ عبد القادر بما أخبر عني، فلم يتم كلامه حتى جاء الشيخ عبد الرحمن وقال مثل ما قال الشيخ يوسف، فقام المشايخ كلهم يستغفرون للشيخ عبد القادر ﷺ.

هذا وتمت الحكايات الخمسين الملتقطة من المصنفات في الشيخ عبد القادر محيي الدين.

اللهم صلِّ وسلم على سيدنا ومولانا محمد صلاة تتضمن شمول الآمال وتصلح لنا بها جميع الأحوال، وترفع بها قدره في المرسلين، وأدخلنا بفضيلتها في حضرة المقربين، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين واحشرنا في زمرتهم بلا محنة يا أرحم الراحمين.

اللهم إنَّا نسألك حبَّك وحبَّ مَن يحبُك وحب كل عملٍ يقربنا إلى حبِّك يا كريم.

اللهم إنَّا نسألك الثبات في الأمور وقوة العزيمة على الرشاد والأقوال على السداد، والرضا عنك في كل مراد، والشكر على النعمة والتسليم للحكم والحكمة في جميع الأحوال وقلبًا سليمًا في كل الأحوال قاصدًا في جميع الأقوال.

ونستغفرك اللهم من زلتي اللسان والقدم، أو ما طغى به القلم أوخطر وثبت في الجنان.

وأرغب ممن يقف عليه من علماء الأمة والسادة الأئمة أن ينظر فيه بعين الرضا والصفح والتجاوز والاغضاء، فما وجد فيه متحرَّفًا فليصلحه من معادنه، وقد تحرَّيت فيه وجه الصواب بجهدي، وما أبرِّئ نفسي.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

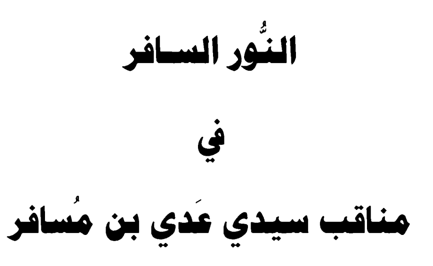
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سبحان ربك رب العزَّة عمَّا يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين[1].

* * *

---

(١) قلت: وتم بحمد الله وفضله في الخامس من ربيع الثاني سنة ١٤٢٧ هـ، بدارنا الحقيقة المحمدية لتحقيق تراث السادة الصوفية بمصر (٠١٠١٤٦٣٠٢٧).



تصنيف

الشيخ الحافظ نصر بن عبد الله بن نصر العسقلاني

كان حيًّا ٥٧٤ هـ

(مخطوط يطبع لأول مرة)

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي القادري المصطفوي



مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي رفع الأعلام، لمن شاء من الأعيان الأعلام، وعلى بيان الطريق، لأهل التحقيق.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة نافعة على الدوام.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، مصباح الظلام.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام.

وبعد ...

فهذا كتاب بهجة سلطان الأولياء العارفين، المسمى: النور السافر في مناقب سيدي عدي بن مسافر، إمام الأئمة، شيخ العُبَّاد والمجتهدين في عبودية الله رب العالمين.

صنَّفه تلميذه الشيخ الحافظ نصر بن عبد الله العسقلاني في مناقب وأحوال ومقامات شيخه سيدي عدي بن مسافر قدس الله سرَّه العزيز.

ومن المعلوم أن خير من يدون ويؤرخ لشخصية أو لفترة زمنية، من عايش ولازم وعاصر هذه الشخصية أو الحُقبة الزمنية، فيتضح الوصف والتصور للأحداث والوقائع، وغير ذلك.

وخاصةً إذا كان الكاتب من تلاميذ الشيخ ومريديه الآخذين عنه علوم الشريعة والطريقة.

فترى مصداقية النقل، وروح الوصف، التي يتحلى بها الصوفي طالب

العلم إذا ما تكلم وسرد عن شيخه وأقرانه ومشايخ شيخه، فيذكر عجائب الكرامات، والأحوال الباهرات، ودقائق التجليات، وحقائق الموافقات.

فتشرق شموس العارفين، وتردّ شبه المعترضين والمنكرين، وكذلك المضلين المغالين، بغير طريق شرعي مبين.

فالشيخ عدي بن مسافر محط أنظار السادة الصوفية، لأنه شيخهم وتابع شيخهم سيدي عبد القادر الجيلاني.

وكذلك عالم جليل يؤخذ علمه ويقتفى أثره عند السلفية حيث ثناء ومدح ابن تيمية ومن عاصره ووافقه له.

وعند من فُتن بأشعة الأنوار فلم يثبت فؤاده فتحول عن الحق للمتحقق، وغفل عن كون الموهب هو الله وحده.

وكذلك المفتخر بنسبه وحسبه، ولم يسرع به نسبه، فتاه عن كونه لا ينفعه في الآخرة إلا إيمانه وتحققه وعمله، فالشريعة والحقيقة متلازمان مترابطان.

إسلام، وإيمان، وإحسان.

هذا وإنني لما رأيت من واجبي نشر هذا التراث الإسلامي العظيم في أحوال إمام رباني من أئمة وأكابر الشأن العظيم في هذا الدين الحنيف.

سارعت لتحقيقه ليتضح الطريق والمنهج لدى الباحثين، ويردع كل متأول ومتشدق مخالف لنهج السلف الصالحين كالجنيد والسيد عبد القادر قدس الله أسرارهم ورضي عنهم أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

بعض تراجم أهل العلم لسيدي عدي

قال الشيخ الكردي الموصلي في الانتصار للأولياء الأخيار (ص٥٦٢) بتحقيقنا:

هو الشيخ شرف الدين أبو الفضائل عدي بن مسافر الأموي الهكاري ﷺ الزاهد العابد الصوَّام القوَّام ﷺ وأرضاه، وأفاض علينا من بركاته.

قال الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف اللخمي في كتاب «بهجة الأسرار»: كان شيخ الإسلام محيى الدين عبد القادر الكيلاني ﷺ يُنوه بذكر الشيخ عدي، ويثني عليه كثيرًا، وشهد له بالسلطنة، وقال: لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر.

وعن الشيخ أبي محمد عبد الله البطائحي قال: كان الشيخ عدي ﷺ إذا سجد سمع لمخهِ في رأسه صوت كصوت وقع الحصى في القرعة اليابسة من شدة المجاهدة، وأقام أول أمره في المغارات والجبال والصحاري، مجردًا سائحًا يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات، وكانت الحيَّات تألفه، والهوام والسبّاع تألفه فيها.

وهو أحد المتصدرين لتربية المريدين ببلاد الشرق، وانتهى إليه تسليكهم، وكشف مشكلات أحوالهم، وغسل تاج العارفين أبا الوفاء وهو شاب.

وعن بعض المحققين قال:

صنع الخليفة ببغداد وليمة ودعا إليها جميع مشايخ العراق، وعلمائها فحضروا كلهم إلا الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ عدي بن مسافر الأموي والشيخ أحمد بن الرفاعي، فلما انصرف الناس قال الوزير للخليفة: إن الجماعة المذكورين لم يحضروا، فقال الخليفة: فكأنه لم يحضر إذا أحد، ثم أمر حاجبه أن يأتي إلى الشيخ عبد القادر فيدعوه، وأن يبطق: أي يرسل بطاقة إلى جبل الهكارية، وإلى أم عبيدة ليحضر الشيخ عدي والشيخ أحمد، فقال الشيخ عبد القادر قبل مجيء الحاجب برسالة الخليفة لخادمة أبي محمد المحلي، أن ينطلق إلى المسجد الذي يُظاهر الباب، فإنه يجد فيه الشيخ عدي ومعه اثنان فليدعهم إليه، وإلى مقبرة الشونيزي يجد فيها الشيخ أحمد ومعه اثنان فليدعهم إليه، فذهب فوجدهم كأنهم على ميعاد فدخلا باب الرباط وقت المغرب، فقام إليهم وتلقاهم، فما لبثوا غير يسير حتى جاء الحاجب فوجدهم مجتمعين، فرجع إلى الخليفة وأخبره باجتماعهم فكتب الخليفة إليهم بخطه يسألهم

الحضور، وأرسل والده وحاجبه فأجابوه وذهبوا قال: فلما كنا بالشط إذا بالشيخ عليّ بن الهيتي فتلقوه، وسار معهم حتى دخلوا على الخليفة، وإذا هو قائم مشدود الوسط ومعه خادمان فقط، فتلقاهم، وقال: يا سادة، إن الملوك إذا اجتازوا برعاياهم بسطوا لهم الحرير ليطئوه، وبسط لهم ذيله، وسألهم أن يمشوا عليه ففعلوا، وانتهوا إلى سماط مهيب فجلسوا وأكلوا وخرجوا إلى زيارة الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، وكانت ليلة شديدة الظلمة، فجعل الشيخ عبد القادر كُلمَّا مَرَّ بحجرٍ أو خشبةٍ أشار إليه فيضيء لهم كالقمر، وليس فيهم مَن يتقدَّم عليه فلمَّا خرجوا من زيارة الإمام أحمد، قال الشيخ عبد القادر للشيخ عدي ابن مسافر: أوصني، فقال: أوصيك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ثم تفرَّقوا رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وقال خادم الشيخ عديّ ﷺ: كنت لا أحفظ شيئًا من القرآن، وقد عسر عليَّ جدًّا فصببت الماء على يده يومًا، فقال لي: ما حاجتك؟ فذكرت له ذلك، فضرب بيده على صدري فحفظته كله في وقتي، وقلت له ذات يوم: يا سيّدي أرني شيئًا من المغيبات، فأعطاني منديله فقال: ضعه على وجهك، قال: ففعلت ورفعته فأبصرتُ الملائكة وما يسطرونه، وأقمت على ذلك أيامًا فتكدَّر عليَّ عيشي، فاستغثت به، فوضعه على وجهي ثم رفعه فلم أرَ شيئًا، قال: ووصف لي الشيخ عقيل المنبجي وهو شيخ الشيخ عدي، فسألته أن يريني إياه فأعطاني مرآة، وأمرني أن أنظر فيها فرأيت شخصي، ثم توارى شخصي وظهر لي شخص آخر، فقال الشيخ عدي: هذا هو الشيخ، فتأدب فأدركته إدراكًا تامًّا، ثم توارى وظهر شخصي، وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني إذا جلس للوعظ أحس الشيخ عدي ﷺ بمجلسه، فيخرج إلى الجبل ويخطْ خطًّا ويقول: من أحبَّ أن يستمع وعظ الهاشمي فليدخل الدائرة، فكل من دخلها سمع وعظه كأنه في الجماعة، وكان الشيخ عبد القادر يقول: جلس الهكاري لاستماع الموعظة.

وأصل الشيخ عدي بن مسافر الأموي من أهل بعلبك، انتقل إلى الموصل، ثم إلى جبل لالش من أعمال الموصل، وسكن هناك إلى أن مات ودُفن هناك، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقبره الشريف هناك معلوم يزار ﷺ وأرضاه، ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين.

وقد ابتلاه الله تعالى هذا الآن بقوم مرتدين، يقال لهم طائفة اليزيدية وينسبون نفوسهم

إلى يزيد، يسجدون للشمس، ويحبُّون الشيطان، وقد اتخذوا زيارة الشيخ عدي ﷺ حِجًّا يجتمعون إليه من الأطراف والنواحي، ويصرفون على ذلك النفقة الكثيرة، والشيخ عدي ﷺ منهم ومن أفعالهم بريء مُبرأ ﷺ، وكان ﷺ فقيهًا عالمًا فصيحًا.

ومن كلامه: حسن الخلق معاملة كل شيء بما يؤنسه ولا يوحشه، فمع العلماء يحسن الاستماع، وإن كان مقامه فوق ما يقولون، ومع أهل المعرفة بالسكون والانكسار، ومع أهل التوحيد بالتسليم.

وكان يقول: إذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات، وتنخرق له العادات فلا تغتروا به حتى تنظروه عند الأمر والنهي.

وكان يقول: من لم يأخذ أدبه من المؤدبين أفسد من اتبعه، ومن كانت فيه أدنى بدعة فاحذروا مجالسته؛ لئلا يعود عليكم شؤمها ولو بعد حين.

وكان يقول: من اكتفى بالعلم دون الاتصاف بحقيقته انقطع، ومن اكتفى بالتعبُّد دون فقه خرج، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام نجا.

وكان ﷺ يقول في التوحيد: الباري تعالى لا تجرى ماهيته في مقال، ولا تخطر كيفيته ببال، جلَّ عن الأمثال والأشكال، صفاته قديمة كذاته ليس بجسم في صفاته جلَّ أن يشَّبه بمبتدعاته، أو أن يضاف إلى مخترعاته، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١] لا سمي له في أرضه ولا في سمواته، لا عديل له في حكمه وإرادته، حرام على العقول أن تمثل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى النفوس أن تفكِّر، وعلى الفكر أن يحيط، وعلى العقول أن تصور إلا بما وصف به ذاته في كتابه، أو على لسان نبيِّه محمد المصطفى ﷺ.

وكان ﷺ **يقول:** أوَّل ما يجب على سالك طريقتنا أن يترك الدعاوى الكاذبة، ويخفي المعاني الصَّادقة.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وذلك لأن المعاني الصادقة نور، وكلما تراكمت الأنوار في قلب العبد تمكَّن وقوي استعداده، وكلما أظهر معنى خرج النور أوَّلا فأوَّلا فلا يثبت له قدم في الطريق.

وكان ﷺ أكثر إقامته في الجزيرة السادسة من البحر المحيط، وكان ﷺ يأمر الرِّيح أن يسكن فيسكن لوقته، وشيخه الشيخ عقيل المنبجي كان شيخ شيوخ الشام في وقته، وتخرَّج بصحبته الأكابر منهم: الشيخ عديّ ﷺ، وكان يُسمَّى الطَّيار لأنه لما أراد الانتقال من قريته التي كان مقيمًا بها ببلاد الشرق صعد إلى منارتها ونادى بأهلها، فلما اجتمعوا طار في الهواء، والناس ينظرون إليه فجاءوا فوجدوه في منبج، واستوطن منبجًا نيفًا وأربعين سنة وبها مات وقبره هناك يزار ﷺ. انتهى.

وقال شمس الدين الذهبي في تاريخ الإسلام (١/ ٣٨٨٦):

عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى. الزاهد الشامي ثم الهكاري سكنًا، وذكره الحافظ عبد القادر فسمَّاه عدي بن صخر الشامي.

وقال: ساح سنينا كثيرة وصحب المشايخ وجاهد أنواعا من المجاهدات. ثم إنه سكن بعض جبال الموصل في موضع ليس به أنيس، ثم آنس الله تلك المواضع به وعمرها ببركاته حتى صار لا يخاف أحد بها بعد قطع السبيل.

وارتدع جماعة من مفسدي الأكراد ببركته. وعمَّره الله حتى انتفع به خلق وانتشر ذكره.

وكان معلما للخير ناصحًا متشرعًا شديدًا في أمر الله لا تأخذه في الله لومة لائم.

وما بلغنا أنه باع شيئًا قط، ولا اشترى ولا تلبس بشيء من أمر الدنيا.

كانت له غليلة يزرعها بالقدوم في الجبل ويحصدها وصار يتقوت منها.

وكان يزرع القطن ويكتسي منه. ولا يأكل من مال أحد شيئًا ولا يدخل منزل أحد. وكان يجيء إلى الموصل فلا يدخلها.

وكان له أوقات لا يرى فيها محافظة على أوراده.

وقد طفت معه أيامًا في سواد الموصل فكان يصلي معنا العشاء ثم لا نراه إلا الصبح. ورأيته إذا أقبل إلى القرية يتلقاه أهلها من قبل أن يسمعوا كلامه تائبين رجالهم ونساؤهم إلا من شاء الله منهم.

ولقد أتينا معه على دير فيه رهبان فتلقاه منهم راهبان فلما وصلا إلى الشيخ كشفا رأسيهما وقبَّلا رجليه وقالا: ادع لنا فما نحن إلا في بركاتك. وأخرجا طبقًا فيه خبز وعسل فأكل الجماعة.

وأول مرة خرجت إلى زيارته مع طائفة، فلما أقبلنا أخذ يحادثنا ويسائل الجماعة ويؤانسهم وقال: رأيت البارحة في النوم كأننا في نجوم ونحن ينزل علينا شيء من البرد. ثم قال: الرحمة. فنظرت إلى فوق فرأيت ناسًا فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: أهل السنة والصيت الحنابلة.

وسمعت شخصًا يقول: يا شيخ لا بأس بمداراة الفاسق فقال: يا أخي دين مكتوم دين موشوم.

وكان يُواصل الأيام الكثيرة على ما اشتهر عنه، حتى أن بعض الناس كان يعتقد أنه لا يأكل شيئًا قط. فلما بلغه ذلك أخذ شيئا وأكله بحضرة الناس.

واشتهر عنه من الرياضات والسير والكرامات والانتفاع به ما لو كان في الزمان القديم لكان أحدوثة.

ورأيته قد جاء إلى الموصل في السنة التي مات فيها فنزل في مشهد خارج الموصل فخرج إليه السلطان وأصحاب الولايات والمشايخ والعوام حتى آذوه مما يقبلون يده، فأُجلس في موضع بينه وبين الناس شباك بحيث لا يصل إليه أحد، فكانوا يسلمون عليه وينصرفون. ثم رجع إلى زاويته فمات على أحسن حالاته.

وقال القاضي ابن خلكان: أصله من قرية بيت فار من بلاد بعلبك والبيت الذي ولد فيه من بيت فار يزار إلى اليوم. وتوجه إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل وانقطع فيه. وبنى هناك له زاوية ومال إليه أهل البلاد ميلاً لم يسمع بمثله، وساد ذكره في الآفاق وتبعه خلقٌ وجاوز اعتقادهم فيه الحد حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها.

صحب الشيخ عقيل المنبجي والشيخ حماد الدباس وغيرهما. وقبر بزاويته وقبره من كبار المزارات عندهم.

قلت: قرأت بخط الحافظ الضياء المقدسي، سمعت الشيخ نصر يقول: قدم الشيخ عدي الموصل سنة ست وخمسين وفيها: أخذ من شعري.

وتوفي يوم عاشوراء وقت طلوع الشمس سنة سبع وسبعين. انتهى.

ونقل الصفدي نحوه باختصار في الوافي بالوفيات (٢٨٥٤/١).

وانظر: قلائد الجواهر في مناقب سيدي عبد القادر للتاذفي (ص٣٥٣) بتحقيقنا.

تنبيه: اختلف في سنة وفاته فقيل: ٥٥٥، وقيل: ٥٧٧ هـ. عن عمر ناهز التسعين.

وقيل: غير ذلك.

ورجح الأول ابن الأثير في الكامل (٨١/٩)، واختار ابن كثير الثاني في البداية والنهاية (٢٤٣/١٢).

عقيدة الشيخ عدي بن مسافر

من إملاء الشيخ رواية الشيخ محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي ﷺ، رواية الشيخ الإمام العالم برهان الدين أبي بكر بن محمد بن خليل ﷺ، رواية الشيخ يوسف بن محمد بن يوسف الهكاري ﷺ، رواية صاحبه الشيخ عيسى بن أبي بكر بن محمد ﷺ.

أخبرنا الشيخ الإمام العالم أبو القحافة، أبو بكر بن محمد بن خليل المدرس بمدرسة الشيخ أبي طاهر رضي الله عنهما قال:

أخبرنا الشيخ الإمام العالم محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي قال: أخبرنا الشيخ الزاهد العابد، شيخ المشايخ، تاج العارفين، عدي بن مسافر الشامي قدس الله روحه ونور ضريحه قال:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا يغيره الأمد، ليس له والد ولا ولد، لا تجري ماهيته في مقال، ولا تخطر كيفيته ببال، جل عن الأنداد والأمثال والأشكال. صفاته كذاته، ليس بجسم في صفاته، جل أن يشبه بمبتدعاته، أو يضاف إلى مصنوعاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] أراد ما أهل العالم فاعلوه، ولو عصمهم جميعًا لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه.

خلق الخلائق وآجالهم، وقدر أرزاقهم وأفعالهم، لا سمي له في أرضه وسماواته، ولا عديل له في حكمه وإراداته: ﴿عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] وعلى الملك احتوى، وعلمه محيط بالأشياء.

أول نعمة أنعم الله على العبد أن هداه للإيمان، وأجل نعمة أنعم الله تعالى على العبد أن كتب الإيمان في قلبه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:٧].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

ثم من بعد ذلك: معرفة الباري، ومعرفة الباري وجبت بالشرع لا بالعقل لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء:١٥] فلوكانت المعرفة وجبت بالعقل لقال: وما كنا معذبين حتى نرزقهم عقولاً!

دليل ثان: لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «تعلموا العلم ففي تعليمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، فبه يعرف الله ويعبد، وبه يمجد الله ويوحد، هو إمام العمل والعمل تابعه، يرفع الله بالعلم أقوامًا

فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتدى بهم وينتهى إلى رأيهم»[١].

دليل ثالث: إن المعرفة لو كانت بالعقل لكان كل عاقل عارفاً ولما وجدنا جماعة من العقلاء كفاراً، دلّ على أن المعرفة لم تحصل بالعقل، ألا ترى أن ما يدركه النظر لا يختلف أرباب النظر فيه.

وقال بعض أصحابنا: عرف الله بنور الهداية.

وقال غيره: عرفنا نفسه فعرفنا. والجميع واحد.

ثم من بعد ذلك:

الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والصبر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله والنهي عما نهى الله، وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، قليله وكثيره ومحبوبه ومكروهه من الله تعالى، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، لقوله تعالى: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً**﴾ [الأنعام:١٢٥] فجعل الضلالة والهدى بإرادته.

دليل ثان: لما روي عن النبي ﷺ أنه قال:«**سيكون من أمتي قوم يكفرون بالله تعالى وهم لا يشعرون**» قيل: يا رسول الله كيف يقولون؟ قال: «**يقولون الخير من الله والشر من إبليس ومن أنفسنا ثم يقرُون على ذلك القرآن، فيكفرون بالله وبالقرآن**»[٢].

دليل ثالث: إن الشر لو كان بغير إرادته لكان عاجزاً والعاجز لا يكون إلهاً. لأنه لا يجوز أن يكون في داره ما لا يريد، كما لا يجوز أن يكون في داره ما لا يعلم.

دليل رابع: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس»[٣].

ولأنهم فتكوا في الكفر فجعلوا إرادة إبليس وأنفسهم أقوى من إرادة الله تعالى، فقالوا: أراد إبليس المعصية فوجدت وأراد الله أن لا تكون فكانت، فجعلوا إبليس وأنفسهم أقوى من الله تعالى.

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٦٨)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٥).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٤٢٧١).

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (١/٢٥٨).

وأن الإيمان قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، لما روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن الإيمان فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»(١).

دليل ثان: ما روي عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان ونية بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»(٢).

دليل ثالث: إن الإيمان لو كان قولاً بلا عمل لاستوت منزلة الطائع والعاصي، والله سبحانه قد نفى المساواة بينهما.

لقوله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ**﴾ [السجدة:١٨].

وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم به في القدم بحرف وصوت، حرف يكتب وصوت يسمع ومعنى يعلم.

لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود»(٣).

دليل ثان: ما روي عن النبي أنه قال: «ما تكلم العباد بكلام أحب إليه من كلامه، ولا رفع إليه كلام أحب إليه من كلامه»(٤).

دليل ثالث: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن وأعربه كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه ولحن فيه كان له بكل حرف عشر حسنات، أما أني لا أقول (ألم) حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»(٥).

دليل رابع: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يجمع الله الخلائق في صعيد واحد فيناديهم بصوت يسمع من بعد كما يسمع من قرب: أنا الملك أنا الديان(٦)».

وأن موسى وجبريل ومحمد صلوات الله عليهم ومن تولى الله خطاه سمعوا من الله كلامه بعينه لا عبارة ولا حكاية، وأن التلاوة هي المتلو وأن القراءة هي المقروء وأن

---

(١) رواه مسلم (٨).

(٢) رواه ابن ماجه (٦٥) بنحوه مختصرًا.

(٣) ليس بحديث وإنما روي عن كثير من السلف، وانظر: الإبانة لابن بطة (١١٢/٢).

(٤) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٨٠/١).

(٥) رواه البيهقي في الشعب (٢٠٩٧)، وابن عدي في الكامل (٢٥٠٦/٧)، والعقيلي (٣٥١/٢).

(٦) رواه أحمد في المسند (٤٩٥/٣).

الكتابة هي المكتوب، وأن ما في المصاحف وفي صدور الرجال وألواح الصبيان كلام الله بعينه لا عبارة ولا حكاية.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ [القصص:٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۞ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ [الطور:١، ٢].

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ۞ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢١].

وأن كل كتاب أنزله على نبي من الأنبياء، أو علم من العلوم فإنه غير مخلوق.

وأن الله على عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً وهو بكل شيء عليم.

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥].

قالت أم سلمة: يا رسول الله كيف استوى؟ قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة والجحود له كفر»[(١)].

وأن الله تعالى يرى في القيامة، يراه المؤمنون ويحجب عنه الكافرون لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

ولما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «هل تشكون في رؤية الشمس هل من دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فهل تشكون في رؤية القمر هل من دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال:«فكذا لا تشكون في رؤية ربكم»[(٢)].

---

(١) رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٦٦٣)، موقوفًا، والمشهور روايته عن الإمام مالك كما رواه البيهقي في الاعتقاد (ص١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٦).

(٢) **حديثٌ صحيحٌ**: رواه البخاري (٧٤٣٤)، (٧٤٣٥)، (٧٤٣٦)، (٥٥٤)، (٥٧٣)، ومسلم (١/٤٣٩)، وأبو داود في السنن (٤٧٢٩)، والترمذي (٢٥٥١)، والنسائي في الكبرى (١/١٧٦)، وأحمد في المسند (٤/٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥)، وفي السنة (٣٧، ٣٨، ١٨٣)، وابن ماجه (١٧٧)، والحميدي في مسنده (٧٩٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٤٦-٤٥٠)، والطبري في تفسيره (١٦/٢٣٣)، وابن خزيمة في التوحيد (ص١٦٧، ١٦٩)، والآجري في كتاب الشريعة (٢٥٨، ٢٥٩)، والبيهقي في الاعتقاد (٥٠)، وذكره المصنف في مختصره لاعتقاد البيهقي-بتحقيقنا- والسنن الكبرى (١/٤٦٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/٤٦٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/٢٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/٢٩٦-٢٩٧)، والمعجم الأوسط (٢/١٩٤)، (٨/٩٠)، والدراقطني في الرؤية (١٠٦)، وكذلك (١٣٧)، (١٤٩)، (١٥٥)، (١٦٣)، (١٦٥)، بتحقيقنا.
=

والإيمان بصفات الباري كقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧].

وقال تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

وقال تعالى: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٦١]، وقال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤].

وقال تعالى: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [الفتح:٦].

وقال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقول النبي ﷺ: «إن الله تعالى ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه؟»[(١)].

والدليل عليه ما روى عثمان بن المبارك قال: أخبرنا الشيخ الأمين أبو طالب عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن يوسف قراءة عليه قال: أخبرنا الفقية أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي قراءة عليه في ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وخمسمائة قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن لؤلؤ الوراق قال: أخبرنا الهيثم بن خلف الدوري قال: أخبرنا إسحاق بن موسى الأنصاري قال: أخبرنا معن بن عيسى بن دينار القزاز قال: حدثنا مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن أبي عبد الله، وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أنه قال: قال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول: من ذا الذي يدعوني فأسجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه سؤله؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟» وصح ذلك.

حديث ثان: قال: حدثنا عثمان بن المبارك قال: أخبرني أبو زيد وكتب بخطه قال: أخبرنا القاضي محمد بن خلف البغدادي بها قراءة عليه قال: أنا أبو القاسم بن يوسف بن أحمد النهرواني قال: أخبرنا أبو الخير بن سلام بن عمر بن عيسى بن

=

قلت: وألفاظ هذا الحديث وطرقه كثيرةٌ.

(١) هو حديث ثابت صحيح روي من أكثر من وجه، ومن عدة طرق، وبألفاظ مختلفة ومتقاربة، وتامًا ومختصرًا، ورواه مسلم (٥٢١/١)، والترمذي (٣٠٦/٢)، وأحمد (٤١٩/٢)، وانظر: الرد على ابن عقيل لابن قدامة (ص٢٣) بتحقيقنا.

الحارث النصيبيني الكاتب قال: أخبرنا أبو بكر بن جعفر بن الهيثم الأنباري قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن العوام قال: أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء قال: أخبرنا هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي جعفر أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يستغفرني فأغفر له من ذا الذي يسترزقني فأرزقه؟ من ذا الذي يستكشفني الضر فأكفه الضر وأكشفه عنه؟»[1] وصح ذلك.

حديث ثالث: ما روى أبو عيسى محمد بن عيسى بن سيرويه الترمذي قال: حدثنا عثمان ابن المبارك قال: حدثنا عثمان بن قتيبة بن سعيد قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الإسكندري، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا في ثلث الأخير من الليل يقول: أنا الملك العلام من ذا الذين يدعوني فأستجيب له ومن ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر»، وصح ذلك.

روي هذا الحديث عن علي بن أبي طالب كرم الله وجه وجبير بن مطعم وأبي الدرداء وعثمان بن أبي العاص وعبد الله بن مسعود، وقد روى هذا الحديث ثمانية وعشرون صحابياً كلهم شاهدوا رسول الله ﷺ.

وروي بألفاظ مختلفة ومعاني متفقة عن النبي ﷺ أن الله سبحانه وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: «هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟».

فهذا وما كان مثله نؤمن به ونمرُّه كما جاء من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه.

وأن خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم.

لما روي عن النبي ﷺ أنه قال:«خير الناس بعدي: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي»[2].

ولما روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال على منبر الكوفة: يا أيها الناس سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) تقدم الكلام عليه.

(٢) رواه البخاري (٣٦٥٥)، (٣٦٩٧) عن ابن عمر بنحوه.

«إن الله تعالى أمرني أن أتخذ أبا بكر والداً، وعمر مُشيراً، وعثمان سنداً، وأنت يا علي ظهراً، فهؤلاء الأربعة خلائف نبوتي وحجتي على أمتي، لا يحبهم إلا مؤمن تقي ولا يبغضهم إلا منافق شقي»[1].

دليل ثالث: إن التفضيل لو كان على طريقة القرابة لكان العباس وحمزة عما النبي ﷺ أولى بالتفضيل لأن العمَّ أقرب من ابن العم.

وإن العشرة في الجنة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح.

وأن معاوية خال المؤمنين، رديف رسول الله ﷺ، كاتب وحي الله، أمين الله على وحيه، شهد له الرسول ﷺ بالجنة، ومات وهو عنه راضٍ.

وأن يزيد بن معاوية رحمة الله عليه إمام بن الإمام، ولي الخلافة وجاهد في سبيل الله، ونقل عنه العلم والحديث، وأنه برئ مما طعنوا فيه الروافض من شأن قتله الحسين ﷺ وغير ذلك. ومبعود ومهجور الطاعن فيه[2].

والكف عن ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ ونشر محاسنهم والكف عن ما جرى بينهم، وأن الله قد غفر لهم وعلم نبيه أنهم سيقتتلون.

وقال رسول الله ﷺ: «سيجري بين أصحابي زلة يغفرها الله لهم بسابقتهم».

وقال النبي ﷺ: «سيجري بين أصحابي هنيهة يتلافاها الله لهم لسابقتهم معي».

وأن الموت حق.

وأن البعث من بعد الموت حق.

وأن مسائل منكر ونكير حق.

وأن الروح ترد في الجسد فتكون المساءلة للروح والجسد جميعاً، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وأن ضغطة القبر حق.

وأن عذاب القبر ونعيمه حق.

وأن العبد إذا عذب في قبره يألم بقول الرسول ﷺ: «يألم الميت ما يألم الحي».

وأن الحساب حق.

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩/١٤)، (٤٦/٢٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣٤٠/٩).

(٢) قلت: إن رأي الجمهور في يزيد أنه ليس بأهل في الرواية، وأن الأكثرين يقولون بذمه وبغضه.

وأن الميزان حق، وأن له كفتين يوزن فيهما أعمال العباد حسنها وسيئها، فمن ثقلت موازينه نجا من النار، ومن خفت موازينه هو في النار.

وأن الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد هي حق، لقوله ﷺ: «إني ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

و«إن أقواماً يخرجون من النار بعدما صاروا فحماً وحمماً، فيطرحون في نهرٍ يقال له: الحيوان، فينبتون فيه كما ينبت الحب في حميل السيل، ويكون على جباههم مكتوب: هؤلاء الجهنميون، عتقاء الرحمن، فيسألون الله تبارك وتعالى فيمحو ذلك عن جباههم».

وأن الصراط حق، وأن صفته كما ورد في الشرع حق، له دقة كدقة الشعر، وحر كحر الجمر، وحد كحد السيف، طوله ستة وثلاثون ألف سنة من سني الدنيا، يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار.

وأن الحوض المكرم به نبينا محمد ﷺ حق.

وأن الجنة والنار مخلوقتان خلقاً للبقاء لا للفناء، فالجنة نعيم لأوليائه، وفي النار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم الله.

وأنه يؤتي بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار، وينادي منادٍ من قبل الله تعالى: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت.

ولا ينزل أحد من أهل القبلة جنة ولا ناراً إلا من نزله الرسول ﷺ لقوله ﷺ: «السعيد من سعد من بطن أمه، والشقي من شقي من بطن أمه»، بل نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

والصلاة على من مات من أهل القبلة وإن علموا منه بالكبائر.

وأن نسمع ونطيع لمن ولاه الله تعالى أمرنا وإن كان عبداً حبشياً ما أقام فينا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن دعانا إلى مخالفة كتاب الله وسنة رسوله لم نسمع له ولا نطيع، لقول رسول الله ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الله**[1]».

والجمعة والعيدان والجهاد ماضٍ مع كل خليفة براً كان أو فاجراً ما كان من البدعة بريئاً.

ويخلد في النار أهل الجحود والكفر والتكذيب.

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (١٠٠/٤) بنحوه.

نسأل الله لنا ولكم خاتمة خير وعاقبة خير ومنقلباً إلى خير والخيرة والتثبيت على السنة والجماعة، فهذا اعتقادنا وما نقلنا عن مشايخنا نقله جبريل عن الحق سبحانه وتعالى، ونقله النبي ﷺ عن جبريل، ونقلته الصحابة عن النبي ﷺ إلى يوم القيامة.

فمنهم:

أبو بكر الصديق ﷺ، وعمر بن الخطاب ﷺ، وعثمان بن عفان ﷺ، وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن الزبير، زيد بن ثابت، وأبو ذر، وعبادة بن الصامت، وأبو موسى، وعمران بن الحصين، وعمار بن ياسر، وأبو هريرة، وحذيفة بن اليمان، وعقبة بن عامر، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وأبو أمامة الباهلي، وجندب، وأبو مسعود، وعمير بن حبيب، وأبو الطفيل عامر، وعائشة، وأم سلمة رضي الله عنهما زوجات النبي ﷺ.

ومن التابعين من أهل المدينة – يعني يثرب –: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وسليمان بن يسار، ومحمد بن الحنفية، وعمر بن عبد العزيز، وكعب الأحبار.

ومن الطبقة الثانية:

ربيعة بن عبد الرحمن، والنعمان بن ثابت، وزيد بن علي بن الحسين، وجعفر بن محمد الصادق.

ومن الطبقة الثالثة من التابعين:

مالك بن أنس، وعبد العزيز بن سلمة، وإسماعيل بن أبي أويس، وأبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، ويحيى بن أبي كثير، ومن بعدهم:

عمرو بن دينار، وعبد الله بن طاووس، وابن جريج، ونافع، وسفيان بن عيينه، وفضيل ابن عياض، ومحمد بن مسلم الطائفي، وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ.

ومن أهل الشام:

عبد الله بن محيريز، وعبادة بن ميمون بن مهران، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ومحمد بن الوليد، وعبد الرحمن بن يزيد، وعبد الله بن شوذب، وإبراهيم بن محمد الفزاري، وأبو مسهر، وهشام بن عمار الدمشقي، ومحمد بن سليمان المصيصي

لوين.

ومن أهل مصر:

حيوة بن شريح والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، وأشهب بن عبد العزيز، وإسماعيل بن يحيى المزني، وأبو يعقوب البويطي، والربيع بن سليمان.

ومن أهل الكوفة: علقمة بن قيس، وعامر بن شراحيل النخعي، وطلحة بن مصرف، ومالك بن مغول، وحمزة بن حبيب الزيات المقرئ، وابن أبي ليل، وسفيان الثوري، وشريك بن عبد الله، وأبو بكر بن عياش، وعبد الرحمن بن محمد البخاري، ووكيع بن الجراح.

ومن أهل البصرة: أبو العالية، والحسن بن أبي الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأبو قلابة. ومن بعدهم: سليمان التيمي، وأبو عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وسهل بن عبد الله التستري.

ومن أهل بغداد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ويحيى بن معين وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو ثور، وأبو خيثمة، وأبو بكر محمد بن الحسن النقاش.

ومن أهل الموصل: المعافى بن عمران.

ومن أهل خراسان: عبد الله بن المبارك، وأبو قلابة، ومحمد بن عيسى الترمذي.

ومن أهل الري: محمد بن إدريس الرازي، وأبو زرعة.

فهؤلاء الذين ذكرناهم هم أئمة المسلمين ومشايخ الدين نسأل الله تعالى أن يميتنا على مذهبهم واعتقادهم، فمن خالف مذهبهم واعتقادهم، فقد خالف الله ورسوله، وهو مبتدع لا يقبل الله منه فريضة ولا نافلة.

وقد قال الله تعالى: ﴿**وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾.

وقال رسول الله ﷺ:

«تفترق أمتي على ثلاثةٍ وسبعين فرقة، واحدة ناجية، واثنتين وسبعين في النار، قالوا: يا رسول الله من هي الناجية؟ قال: «من كان على ما أنا عليه وأصحابي»».

فهؤلاء الأئمة والشيوخ الذين ذكرناهم، ومن تبعهم من الناس على المذهب الصحيح.

نسأل الله أن يتوفانا عليه بمنه وكرمه.

التعريف بالمصنف

قلت: الشيخ المصنف نصر بن عبد الله بن نصر العسقلاني، من تلاميذ الشيخ عدي بن مسافر ﷺ.

كان رحمه الله حيًّا سنة ٥٧٤ هـ.

وقد روى عن الشيخ أبي طاهر السلفي الإمام الحافظ صاحب التصانيف مثل: معجم السفر، ومقدمة الاستذكار لابن عبد البر، والأربعينات، والانتخابات والأجزاء الحديثية.

توفي رحمه الله سنة ٥٧٦ هـ.

وقد أخذ عن الشيخ نصر الضياء المقدسي الحافظ الكبير صاحب المختارة، والأجزاء الحديثية. توفي رحمه الله سنة ٦٤٣ هـ.

وقد بحثت قدر المستطاع في تراجم الشيخين السلفي والمقدسي فلم أجد ترجمة وافية، فما هي إلا إشارات تُثبت صحة المعاصرة والرواية.

وانظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٣٣٩/٨/٤).

نماذج من صور المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم نسخة الخرقة الصوفية الطاهرة الزكية
ومعرفة ابتدائها قال الشيخ العبد الفقير إلى الله تعالى نصر
ابن عبد الله ابن نصر العسقلاني عفا الله تعالى عنه قال
أخبرنا شيخي الإمام الأجل [illegible] العارف جمال الدين [illegible]
ابو [illegible] ابن ابراهيم السعدي الاصفهاني بالعادلية في
العشر الاخير من شوال في سنة اربعة وسبعين وخمسمائة
قال اخبرني القاضي عبد الرحمن ابن احمد بن حنبل ابو الحسن
البكا المقري قال اخبرنا ابو الحسن النعال قال اخبرني القاضي
عبد الرحمن ابن احمد بن خليل رضي الله عنه قال اخبرني
ابي رضي الله عنه قال الامام موسى الكاظم رضي الله عنه
قال اخبرني ابي الامام جعفر الصادق رضي الله عنه قال اخبرني
ابي الامام محمد الباقر رضي الله عنه قال اخبرني ابي الامام
علي زين العابدين عليه السلام قال اخبرني ابي الامام الحسين
عليه السلام قال اخبرني ابي الامام علي بن ابي طالب رضي الله
عنهم اجمعين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة اسري بي الى السماء [illegible] جبرائيل عليه السلام
[illegible] بعد ما دخلني الجنة فرأيت جميع ما فيها فرأيت
فيها قصرا من ياقوتة حمراء فيه صندوق من نور عليه قفل
من نور فقلت اخي جبرائيل ما هذا الصندوق فقال
يا محمد هذه الجنة [illegible] لامتك من بعدك الى يوم القيامة
[illegible] خرقة الفقر فتح الصندوق فأخرج منه نورا [illegible] قال

صورة الصفحة الأولى من النور السافر

بهذه الخرقة العمرية البسنيها وقال يا محمد صلى الله عليك
وسلم إن الحق عز وجل أمرني أن ألبسك إياها وأن تلبسها
العمر [illegible] فلما ألبسها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاد بها في المسجد
فقال صلى الله عليه وسلم الفقر فخري [illegible] لأمتي
من بعدي إلى يوم القيامة فهذه الخرقة أصل خرقة الشريفة
[illegible] الخرقة الشريفة العمرية الأزرق
الزكية لبسها الشيخ العارف شرف الدين أبي الفضائل عدي
ابن مسافر الشامي رضي الله عنه من الشيخ الجليل الأصيل
القدوة الشيخ عقيل المنبجي رضي الله عنه ولبسها الشيخ
عقيل من الشيخ مسلمة السروجي رضي الله عنه ولبسها
الشيخ مسلمة من الشيخ أبي سعيد الخراز رضي الله عنه ولبسها
الشيخ أبي سعيد من الشيخ أبي محمد [illegible] رضي الله عنه ولبسها
أبي عمرو من الشيخ علي بن [illegible] الرملي رضي الله عنه ولبسها
علي بن عليم من الشيخ عمار [illegible] رضي الله عنه ولبسها
عمار من الشيخ يوسف ابن يعقوب القشاني رضي الله عنه
ولبسها يعقوب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم
خطب بالناس بالجابية ولبسها عمر رضي الله عنه من النبي
صلى الله عليه وسلم ولبسها النبي صلى الله عليه وسلم من
جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج بأمر الله تعالى وأن يلبسها
الناس لما ألبسها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه صحب بها
أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه وأبي مسلم اجتمع بعمر رضي
الله عنه بالمدينة [illegible] في النار [illegible]

صورة الصفحة الثانية من النور السافر

صورة الورقة الأخيرة من النور السافر



الحمد لله رب العالمين
وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

نسبة الخرقة النبوية الطَّاهرة الذَّكية ومعرفة ابتدائها

قال الشيخ العبد الفقير إلى الله تعالى نصر بن عبد الله بن نصر العسقلاني عفا الله تعالى عنه قال:

أخبرني شيخي الإمام الأجل، ثم العارف جمال الدين الحافظ أبو طاهر أحمد بن إبراهيم الأصفهاني، بالعَادلية في العشر الأخير من شوال من سنة أربع وسبعين وخمسمائة، قال:

أخبرني القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن حنبل أبو الحسن البقاء، قال: أخبرني أبو الحسن النعال قال: أخبرني القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن خليل ﷺ قال: أخبرني أحمد ﷺ قال: الإمام موسى الكاظم ﷺ قال: أخبرني ابن الإمام جعفر الصادق ﷺ قال: أخبرني محمد الباقر ﷺ قال: أخبرني الإمام علي زين العابدين ﷺ قال: أخبرني أبي الإمام الحسن ﷺ قال: أخبرني أبي الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين قال:

قال رسول الله ﷺ: «ليلة أُسري بي إلى السماء أمسك أخي جبريل ﷺ بيدي بعد المخاطبة وأدخلني الجنة، فرأيت جميع ما فيها فرأيت فيها قصرًا من ياقوتةٍ حمراء فيه صندوق من نورٍ عليه قفلٌ من نورٍ، فقلت لأخي جبريل: ما في هذا الصندوق؟ فقال: يا محمد هذا فيه فخرك وفخر أمتك من بعدك إلى يوم القيامة، فيه خرقة الفقر، ثم فتح الصندوق فأخرج منه نورًا وقال: هذه خرقة الفقر، وألبسنيها وقال: يا محمد صلَّى الله عليك وسلم، إن الحق ﷻ أمرني أن ألبسك إيَّاها وألا تدعها إلاَّ عند مستحقها[1]».

قال الإمام علي ﷺ: لما لبسها رسول الله ﷺ وجال بها في الجنة فقال ﷺ:

(١) ذكره الشيخ علي البدري في رسالته آداب عمومية (ص١١٨).

«**الفقر فخري وبي يفتخر وفخر أمتي من بعدي إلى يوم القيامة**[(١)]».

فهذه الخرقة أصل الخرقة الشريفة الطاهرة نفع الله بها المسلمين، وهي الخرقة الشريفة العُمرية العَدوية الذَّكية، لبسها الشيخ العارف شرف الدين أبي الفضائل عدي بن مسافر الشامي ﷺ من الشيخ الجليل الأصيل القدوة الشيخ عقيل المنبجي ﷺ.

ولبسها الشيخ عقيل من الشيخ مسلمة السروجي ﷺ.

ولبسها الشيخ مسلمة من الشيخ أبي سعيد الخراز ﷺ.

ولبسها الشيخ أبو سعيد من الشيخ أبي محمد الفاسي ﷺ.

ولبسها الشيخ أبو محمد من الشيخ علي بن عليم الرملي ﷺ.

ولبسها الشيخ علي بن عليم من الشيخ عمار السعدي ﷺ.

ولبسها عمار من الشيخ يوسف بن يعقوب ﷺ.

ولبسها يعقوب من عمر بن الخطاب ﷺ يوم خطب بالناس بالجابية.

ولبسها عمر ﷺ من النبي ﷺ.

ولبسها النبي ﷺ من يد جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج بأمر الله تعالى.

وإن يعقوب لما لبسها من أمير المؤمنين عمر ﷺ صحب بها أبا مسلم الخولاني ﷺ وأبو مسلم اجتمع بعمر ﷺ بالمدينة حين رمى به في النار، وفيه قصة فلم يحترق منه شيء، فقال له عمر ﷺ: يا أبا مسلم أريد منك الثوب الذي كان عليك يوم أُلقيت في النار فلم تحترق، فخلعه أبو مسلم وأعطاه لعمر ﷺ، وأعطاه عمر ثوبه، فلبسه أبو مسلم وصحب به الحسن بن الحسين البصري ﷺ، والحسن صحب أمير المؤمنين علي رضي الله عنهم، وعليم الرملي ﷺ صحب عبادًا الصوفي ﷺ، وعباد صحب سفيان الثوري ﷺ، وقرأ عليه القرآن العظيم، وعلي بن عليم صحب إبراهيم بن بشار ﷺ، وإبراهيم بن بشار صحب إبراهيم بن أدهم ﷺ، وإبراهيم بن أدهم صحب إبراهيم الرملي ﷺ، وإبراهيم الرملي صحب الإمام علي بن موسى الرملي ﷺ، وتاب على يديه وعنه أخذ المنهج القويم على الصراط المستقيم، رضي الله عنهم أجمعين.

نسأل الله تعالى أن يتوفانا على محبتهم يا رب العالمين.

والمنبجي ﷺ هو شيخ شيوخ الشام في وقته وتخرج بصحبته غير واحدٍ من أكابرهم

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/١١٣).

رضي الله عنهم، منهم: الشيخ عدي بن مسافر ﷺ، والشيخ موسى بن ماهين الزولي ﷺ، عدتهم أربعون رجلاً من أرباب الأحوال رضي الله عنهم، وهو أول من دخل بالخرقة العمرية الشريفة إلى الشام.

وعنه أخذت وهو الذي يُسمَّى الطيَّار؛ لأنه لما أراد الانتقال من القرية التي كان بها مقيمًا ببلاد المشرق صعد إلى منارتها، ونادى بأهلها فاجتمعوا إليه فودعهم، وطار في الهواء والناس ينظرون إليه، ثم أتى أهله خبر أنه سكن مدينة منبج، قال: فأتوا إليه فوجدوه بها ﷺ.

وكان أيضًا يُسمَّى الغواص سمَّاه به شيخه ﷺ؛ لأنه خرج مع جماعةٍ من أصحاب شيخه لزيارة بيت المقدس شرَّفه الله تعالى، فلما بلغوا إلى الفرات وضع كل منهم سجادته على الماء وجلس عليها، وشق الماء إلى الناحية الأخرى وخرج، قال: فوضع الشيخ عقيل ﷺ سجادته على الماء وجلس عليها، وغطس في الماء فلم يظهر منه شيء ﷺ، قال: فلما رجعوا إلى الشيخ أخبروه بما شاهدوا من أحوال المشايخ ومن حال الشيخ عقيل، قال شيخه: عقيل من الغواصين ﷺ.

وهو أحد الذين قال في حقهم الشيخ القرشي ﷺ: أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء:

الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ، والشيخ معروف الكرخي[1]، والشيخ عقيل

---

(١) قال ابن الأطعاني: هو ابن فيروز، وقيل: ابن الفيرزان، وقيل: معروف بن علي الكرخي- كرخ بغداد على الصحيح- وهو من جُلّة المشايخ، وقدمائهم، والمشهورين بالزهد والورع والفتوة مجاب الدعوة يستسقى بقبره. يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب، وقبره هناك مشهور، ومعروف ظاهر يتردد الخلق إلى زيارته، فكم من صاحب ملكه بشئ، ومعروف معروف. قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله في رسالته - في ترجمة معروف: وهو من موالي علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما مات سنة مائتين، وقيل: احدى ومائتين، وكان أستاذ سري السقطي. وقد قال له يوماً، فإذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي.
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول:
كان معروف أبواه نصرانيين فسلّموا معروفاً إلى مؤدبهم وهو صبي، وكان المؤدب يقول له: قل ثالث ثلاثة، ويقول معروف: بل هو الواحد، فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً، فهرب معروف، وكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه، ثم إنه أسلم على يدي علي بن موسى الرضا، ورجع إلى منزله، ودق الباب فقيل: من بالباب؟ فقال: معروف، فقالوا:
=

على أي دين أنت؟ فقال: على الدين الحنفي، فأسلم أبواه.
قال سري السقطي: رأيت معروفاً الكرخي في المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول لملائكته: من هذا ؟. فقالوا: أنت أعلم يا رب، فقال: هذا معروف الكرخي، سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي.
وقال محمد بن الحسين: سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في المنام بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقلت: بزهدك وورعك؟ فقال: لا بل بقبولي موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء، فأما موعظة ابن السماك فيما قال معروف: كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس، فقال في خلال كلامه: من أعرض عن الله بكلّيته أعرض الله عنه جملة، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله إليه برحمته، وأقبل بوجوه جميع الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه برحمته وقتاً ما، فوقع كلامه في قلبي، وأقبلت على الله وتركت كل ما كنت فيه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا، ثم ذكرت هذا الكلام لمولاي، فقال: يكفيك هذا موعظة إن اتعظت!.
وقال السري السقطي: قيل لمعروف عند موته: أَوْصِ! فقال: إذا أنا مت فتصدقوا بقميصي، فإني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً.
وقال أبو بكر بن أبي طالب: دخلت مسجد معروف، وكان في منزله، فخرج إلينا ونحن جماعة فقال: السلام عليكم ورحمة الله فرددنا عليه السلام، فقال:
حياكم الله بالسلام ونعمنا وإياكم في الدنيا بالأحزان، ثم شرع في الأذان وارتعد واضطرب، فلما بلغ الشهادتين قام شعر لحيته وحاجبيه واضطرب حتى خفت أن لا يتم أذانه، وانحنى حتى كاد يسقط، قال: قال الله تعالى: أحب عبادي إلي المساكين الذين سمعوا قولي وأطاعوا أمري، ومن كرامتهم علي أن لا أعطيهم دنيا فينقلبوا بها عن طاعتي.
قال إبراهيم الأطروشي: كنا ببغداد على دجلة مع معروف إذ مر أحداث في زورق يضربون بالدف، ويشربون ويلعبون، فقلنا: أما تراهم يعصون الله تعالى مجاهرين؟ ادع الله عليهم فرفع يديه، وقال: إلهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة.
فقالوا: إنما سألناك لتدعو عليهم فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم، فرُويَ أنهم تابوا بأجمعهم.
وجاء معروف يوماً إلى دجلة ليتوضأ، ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها، وقال: يا أختي أنا معروف، ولا بأس عليك، ألك ولد يقرأ القرآن؟ قالت: لا. قال: فزوج؟ قالت: لا. قال: فهاتي المصحف وخذي الملحفة.
قال محمد بن منصور الطوسي: كنت عند معروف الكرخي فدعا لي ثم عدت إليه من الغد وفي وجهه أثر، فقال له إنسان: يا أبا محفوظ كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر فما هذا؟ فقال: سل عما يعنيك؟ فقلت له: بمعبودك ألا قلت لي! فقال: صليت البارحة ههنا واشتهيت أن أطوف بالبيت فمضيت إلى مكة، فطفت ثم ملت إلى زمزم لأشرب من مائها فزلقت على الباب فأصاب وجهي ما تراه.

وقال خليل الصياد: فقدت ابني محمد زمناً طويلاً فوجدنا عليه وجداً شديداً، فأتيت معروفاً، فقلت له: يا أبا محفوظ غاب ابني محمد وأمه عليه واجدة، فقال: ما تشاء؟ قلت: تدعو الله أن يردّه، فقال: اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك، آت محمداً، قال خليل: ثم خرجت إلى باب الشام، فإذا ابني محمد واقف، فقلت: محمد! فقال: يا أبت الساعة كنت بالأنبار.

وقال يعقوب بن أخي معروف: كان عمي مؤاخياً لصديقين: إبراهيم والأسود ابن سالم وكانا جميعاً يودّانه مودة صحيحة، ويتجاريان عنده بالعلم والعمل، فقالا لعمي: إن بشر بن الحارث يحب أن يؤاخيك وهو يكره كثرة اللقاء خوفاً أن لك عليه حقوقاً بحق الأخوة فتعوده أو يعودك، فإن أنت قبلته أن لا تلتقيا إلا لله ﷻ فاعقد ذلك، فقال معروف:

والله لوددت رجلاً لله ما أحببت أن أفارقه في ليل ولا نهار، وأن أشركه في أعمالي كلها من النوافل، ولو قسمت لي الجنة لأحببت أن يدخله الله قبلي لأني إنما أحببته لله، ومن أحب لله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان، وقد عقدت له الأخوة برسالتكما كما عقد رسول الله ﷺ لنفسه ولعلي، وشاطره العلم وفقهه بأشياء خصه بها جبريل ﷺ من الدعاء والذكر في الخلوة، وأنا أوصيه بالله تعالى إذا خلا بالله ﷻ، واعلما أن العلم إذا عمل به العالم استوت قلوب المؤمنين، وما أحب رجل رجلاً لله إلا وجب على المحبوب الدعاء له، وإن العبد إذا صدق في سره لمن وده في الله أصلح الله له سره وعلانيته، ويشفع بعضهم في بعض وجعل ما أسكنه قلوبهم فيه نجاتهم وألهمهم الشكر على إحسانه إليهم، وعرفهم أن ذلك منه فهم في أعمال الآخرة في تمام، ومن الدنيا على رحيل، ومن الساعات على تفقد فأي وقت أتاهم الموت لم تلحقهم حسرة إلا على ما فاتهم من صحة الأعمال.

وقال: إن بعض جلسائه انصرف من عنده في شهر رمضان بعد صلاة المغرب، قال: فجئته من الغد، فقال لي: أي وقت بلغت منزلك! قلت: كما دخلت أفطرت، فقال: من أين كان لك ما أفطرت عليه؟ فقلت: لا أدري، قال: لا تفطر على شيء حتى تدري وإلا فأفطر فهو خير لك.

[قال معروف] يقول الله تعالى في بعض الكتب: ابن آدم ما أخسرَكِ، تسألني فأمنعك لعلمي بما يصلحك، ثم تلح علي في المسألة فأجود بكرمي عليك، وكم من جميل أعطيك فأعطيك ما تسألني فتستعين بما أعطيك على معصيتي فأهم بهتك سترك فتسألني فأستر عليك، ثم تعاود المعصية، فأستر عليك، فكم من جميل أصنعه بك، وكم من قبيح تعمله معي! يوشك أن أغضب عليك غضباً لا أرضي بعده أبداً.

وقال: رأيت بالبادية شاباً حسن الوجه، له ذؤابتان حسنتان، وعلى رأسه رداء قصب، وعليه قميص كتان، وفي رجليه نعل طاق. قال معروف: فتعجبت منه في مثل ذلك المكان، ومن زيّه فقلت السلام عليكم ورحمة الله، فقال: وعليك السلام يا عم. فقلت له: الفتى من أين؟ قال: من مدينة دمشق، قلت: ومتى خرجت منها؟ قال: ضحوة النهار. قال معروف: فتعجبت منه وكان بينهم وبين الموضع الذي رأيته فيه مراحل كثيرة، فقلت له: وأين المقصد؟ قال: مكة إن شاء الله، فعلمت أنه محمول، ثم ذهبت فلم أره حتى مضت ثلاث سنين، فلما كان ذات يوم وأنا جالس

في منزلي أتفكر في أمره، وما كان منه إذا بإنسان يدق الباب فخرجت إليه، فإذا بصاحبي فسلمت عليه، وقلت له: أهلاً وسهلاً ومرحباً وأدخلته المنزل، فرأيته حافياً حاسراً، فقلت: إيش الخبر؟ فقال: يا أستاذ لم تخبرني بما يفعل معامليه؟ قلت له: فأخبرني ببعض خبرك؟. قال: نعم لاطفني حتى أدخلني الشبكة، ثم ضربني ورماني، فمرة يلاطفني، ومرة يهينني، ومرة يكرمني، ومرة يجيعني، فليته أوقفني على بعض أسرار أوليائه، ثم ليفعل بي ما يشاء. قال معروف: فأبكاني كلامه فقلت له: فحدثني ببعض ما جرى عليك منذ فارقتني، فقال: هيهات أن أبديه وهو يريد أن أخفيه، ولكن أخبرك بما فعل بي في طريقي إليك سيدي ومولاي.
ثم استفرغه البكاء، فقلت: وما الذي فعل بك؟. قال: جوعني ثلاثين يوماً، ثم جئت إلى قرية فيها مقتاة قد نبذ منها الدود وطرح، فقعدت آكل منه، فبصرني صاحب المقتاة، فأقبل إلي يضرب ظهري، ويقول: يا لص ما خرب مقتاتي غيرك، مذ كم أنا أرصدك حتى وقعت عليك، فبينما هو يضربني إذ أقبل فارس نحوه مسرعاً إليه وقلب السوط في رأسه، وقال: تعمد إلى ولي من أولياء الله تضربه وتقول له يا لص فأخذ بيدي صاحب المقتاة، وذهب بي على منزله فما ترك شيئاً من الكرامة إلا عمله معي، واستحلني، فبينما كنت عنده لصاً إذ جعلني ولياً، ثم إن صاحب المقتاة. قال: قد جعلت هذه المقتاة لله تعالى ولأصحاب معروف، فقلت له: صف لي معروفاً؟ فوصف لي الصفة فعرفتك بما كنت شاهدته من صفتك. قال معروف: فما استتم كلامه حتى دق صاحب المقتاة الباب، ودخل إلي وكان موسراً فأخرج جميع ما له ودنياه وجعل الجميع للفقراء، وصحب الشاب سنة، ثم خرجا إلى الحج فماتا بالربذة رحمهما الله.
وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى: جرى ذكر معروف الكرخي في مجلس والدي، فقال واحد من الجماعة: هو قصير العلم، فقال له والدي: أمسك عافاك الله، وهل يراد العلم إلا لما وصل إليه معروف.
وروي عنه: إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله.
وروي عنه: إذا أراد الله بعبدٍ شراً أورثه حب الدنيا والخذلان، وأسكنه بين الفقراء.
وقال: إذا أراد الله بعبد شراً ابتلاه بالخذلان، وأسكنه بين الأغنياء، فإذا نظر إليهم استعظم غناهم.
وقال: قلوب الطاهرين تشرق بالتقوى وتزهر بالبر، وقلوب الفجار تظلم بالفجور، وتعمى بسوء النية، وإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الفترة والكسل.
وقال: ما أكثر الصالحين، وأقل الصادقين في الصالحين.
وقال له رجل: أوصني، فقال: توكل على الله حتى يكون هو معلمَك ومؤنسَك وموضعَ شكواك، فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك.
وقال: علامة مقت الله للعبد أن يراه مشتغلاً بما لا يعنيه من أمر نفسه، وطلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع حمق وجهل.
وقيل له: ما علامة الأولياء؟ فقال: ثلاثة: همومهم الله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه، ثم قال: ليس للعارف نعمة، وهو في كل نعمة.

المنبجي[(١)]، والشيخ حياة بن قيس الحراني[(٢)] رضي الله عنهم.

=

وقال: التصوف الأخذ بالحقائق، والكلام في الدقائق، والإياس مما في أيدي الخلائق. والله أعلم.

وانظر في ترجمته: طبقات الصوفية للسلمي (ص٨٣، ٩٠)، الرسالة القشيرية (١٢)، حلية الأولياء (٨/٣٦٠، ٣٦٨)، تاريخ بغداد (١٣/١٩٩)، مرآة الجنان (١/٤٦٠)، طبقات الحنابلة (١/٣٨٠)، نفحات الأنس (٥)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/٨٤)، طبقات ابن الملقن (٥٨)، ومعروف الكرخي لابن الجوزي.

(١) وقيل: المنيحي، قال الكردي الموصلي: هو شيخ شيوخ الشّام في وقته، تخرَّج بصحبته جمعٌ من الأكابر منهم: الشيخ عدي بن مسافر الأمويّ، وهو أول من دخل بالخرقة العمرية إلى الشام وأُخذت عنه.

وكان يُسمَّى الطّيّار؛ لأنه لما أراد الانتقال من قريته التي كان مقيمًا بها ببلاد الشَّرق صعد إلى منارتها ونادى بأهلها، فلما اجتمعوا طار في الهواء والناس ينظرون إليه، فجاءوا فوجدوه في منيح.

وكان ﷺ إذا نادى وحوش الفلوات جاءت لدعوته صاغرةً حتى تسد الأفق، وكان عكَّازه لا يستطيع أحدٌ يحمله.

سكن منيح واستوطنها نيفًا وأربعين سنة، وبها مات، وبها قبره ظاهر يُزار ﷺ.

انظر في ترجمته: الكواكب الدرية للمناوي (١/٦٨٨)، وطبقات الشعراني (١/١١٧)، وكرامات النبهاني (٢/١٥٣).

(٢) هو من أجلاء المشايخ، وعظماء العارفين، وأعيان المحققين، صاحب الكرامات والمقامات، والهمم الفخيمة، والبداية العظيمة، صاحب الفتح السني، والكشف الجليّ، حلال مشكلات القوم، وهو أحد الأربعة الذين يتصرفون في قبورهم بأرض العراق، وكان أهل خراسان يستسقون به فيُسقون.

ومن كلامه: لا يكون الرجل من المتمكنين حتى لا يطفئ نور معرفته نور ورعه.

وكان يقول: حقيقة الوفاء إقامة السر عن رقدة الغفلات، وفراغ الهم عن الكائنات.

وكان يقول: من أحب أن يرى خوف الله في قلبه ويكاشف بأحوال الصديقين فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يعمل إلا في سنةٍ أو فريضةٍ، وما حرم من حرم عن الوصول ومشاهدة الملكوت إلا بشيئين: سوء الطعمة، وأذى الخلق.

وكان يقول: تعرَّض لرقة القلب بمجالسة أهل الذِّكر، واستجلب نور القلب بدوام الجد.

وكان يقول: من علامة المريد الصادق ألا يغتر عن ذكر الله تعالى، ولا يمل من حقه، ويلزم السُّنة والفريضة، فالسُّنة: ترك الدنيا، والفريضة: صحبة الحق جلَّ وعلا.

وكان يقول: اجعل الزهد عبادتك، واحذر أن تجعله حرفتك.

سكن ﷺ حرّان واستوطنها إلى أن مات بها سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، ودُفن بظاهرها،

=

وكان له كلام عال في المعارف.

ومنه يقول: المعرفة فيما استأثر به، والعبودية فيما أمر به، والخوف خوف العارفين، وخوف الأولياء رضي الله عنهم أن تُوجد إرادتهم في أفعالهم، وخوف الأتقياء أن تُوجد أنفسهم في رؤية الخلق.

ومن أقواله: يا هذا قل: إلهي أفقدني من قدرك، واحمني من خلقك.

وإذا جاء الأمر فقل: إلهي احمني منهم فعبوديتك بفقرك إليه وذلك ما ثم غيره.

فإذا جاءت الأقدار الإلهية ف ﴿**قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأنعام:٩١].

وإذا جاء القدر فقل: إلهي احمني مني.

وإذا جاء الفضل فقل: إلهي فضلك لعبدك بلا أنا.

فإن شئت فقد حصل لك عند الخضوع عبودية، وعند الدلال توحيد بمجاهدة الهوى تعرفه، وبخروجك من الخلق توحده.

ومنه يقول: طريقنا الجد والكد ولزوم الحد حتى ينقل، فإما أن يبلغ الفتى مناه أو يموت بداية.

ومنه يقول: من طلب لنفسه حالاً أو مقامًا فهو بعيدٌ عن طرقات المعارف.

والفتوة رؤية العبيد والغيب عن مساوئهم، والمدَّعي لنفسه حالاً بغير حالٍ كذاب.

ومنه قال أبو الخير سعد ابن الشيخ عثمان بن مرزوق يقول: سمعت أبي يقول: جلس الشيخ عقيل المنبجي ﷺ في أول أمره هو وسبعة عشر رجلاً من أصحاب الأحوال من مريدي الشيخ مسلمة رضي الله عنهم في غارٍ، ووضع كل منهم عكازه في مكانٍ من الغار، فجاء رجال من الهواء وجعلوا يرفعون تلك العكاكيز، وجاءوا إلى عكاز الشيخ عقيل المنبجي فراموا أن يرفعوه بأيديهم فرادى وجماعات فلم يستطيعوا، فلما رجعوا إلى الشيخ مسلمة أخبروه بذلك فقال: أولئك أولياء الزمان، فكل عكازٍ رفعوه فصاحبه في مقام رافعه أو دونه، وليس فيهم أحد مقامه يعلو على مقام عقيل ولا يشاركه فيه، فلذلك لم يطيقوا رفع عكازه ﷺ.

=

وقبره هناك ظاهرٌ يُزار. وانظر: طبقات الشعراني (١٣٢/١)، والانتصار للكردي (ص٤٤٨) بتحقيقنا.

أخبرنا الشيخ أبو المجد المبارك بن أحمد بن عبد الله رحمه الله تعالى قال: أبي عن أبيه قال: حضرت عند الشيخ عقيلاً يومًا تحت جبل وعنده جمعٌ من الصلحاء، فقال له أحدهم: يا سيدي ما علامة الصادق؟ قال: يا بني علامة الصادق لو قال لهذا الجبل: تحرَّك لتحرك. قال: فتحرك الجبل من أصله.

ثم قال له: يا سيدي، ما علامة المتصرف في الوجود؟ قال: لو أمر وحوش البحر والبر أن تجتمع وتأتيه لفعلت.

قال: فما أتم كلامه حتى نزل علينا من الجبل وحوش سدَّت الفضاء، وأخبرنا الصيادون أن شط الفرات امتلأ في ذلك الوقت سمكًا من أصنافٍ شتى.

ثم قال له: يا سيدي، وما علامة المبارك على أهله في زمانه؟ قال: لو وكز برجله هذه الصخرة لتفجرت منها عيونًا.

قال: فتفجرت صخرة كانت بين يديه عيونًا ثم عادت صخرة صماء على حالها الأول كما كانت أول مرة.

قال: وخرج يومًا من زاويته التي بمدرسة منبج في سفر له فرأى جماعة من أصحابه وتلامذته قيام ينتظرونه، فحدثته نفسه أن هؤلاء قيامًا لأجلك، فبكى وأنشد يقول في ذلك شعر:

تَعَدَّيتُ قَدْرِي بِحُبِّي لَكُمْ ... وَأيقنتُ أنِّي بكم أحيا
محبُّ الكرامِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ... كريمًا فلا بُدَّ يومًا يكرما

سكن ﷺ منبج واستوطنها سبعًا وأربعين سنة ومات بها، وقبره بها ظاهر ﷺ.

أخبرنا أبو سليمان داوود بن يوسف بن علي بن محمد المنبجي ﷺ قال:

كنت يومًا عند الشيخ عقيل ﷺ فقيل له: قد اشتهر ببغداد أميرٌ شاب شريف اسمه عبد القادر ﷺ، فقال الشيخ عقيل: إن أمره في السماء أشهر من أمره في الأرض، ذلك الفتى الرفيع المعالي، المدعو في الملكوت الأعلى بالباز الأشهب، وسينفرد في وقته، وسيرد إليه الأمر ويصدر عنه في عصره.

قال: وكان الشيخ عقيل ﷺ أول من أخبر عنه الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ بالباز الأشهب فيما يعلم رضي الله عنهم.

قال: وكان الشيخ عقيل ﷺ يومًا جالسًا وبيده خشبة ينجرها، وبين يديه كومة من

نجارتها، فدخل عليه بعض تجار منبج ووضع بين يديه ذهبًا، فقال الشيخ ﷺ: إن لله تعالى رجالاً لو شاء أحدهم أن يقول لهذه النجارة: كوني ذهبًا لصارت ذهبًا قال: فإذا تلك النجارة التي بين يديه قد صارت ذهبًا.

وما جاء في مناقب سيدي عدي ﷺ ورضي عنا بهم فهو من مشايخ بلاد المشرق وأعلاهم قدرًا وأجلَّهم مرتبة، وهو أحد أركان هذه الطريقة وأعلم العلماء بها ﷺ.

وقد فاق في المجاهدة، ونال بها في أحوال البداية طورًا صعب المرقى، بعيد المرتضى، عزيز المنال، تعذر على كثيرٍ من المشايخ سلوكه.

وكان شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر ﷺ يموه بذكر الشيخ عدي بن مسافر ﷺ، ويُثني عليه كثيرًا، وشهد له بالسلطنة.

وقال في حقه: لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر ﷺ[1].

قال الشيخ محمد محمود البعلبكي: سمعت شيخنا الشيخ عبد الله البطائحي يقول: صليت بالشيخ عدي بن مسافر خمس سنين وأقمت عنده هذه المدة، فكان إذا سجد سمع لمخه في رأسه صوت كصوت الحصاة في الترعة اليابسة، من شدة المجاهدة لنفسه، وأقام أول أمره في المغارات والجبال والصحاري مجردًا سائحًا، يأخذ نفسه بأنواع المجاهدة مدة مديدة، وكانت الحيات والهوام والسباع تألف إليه وهو قاعد.

وهو أحد من تصدَّر لتربية المريدين والعارفين ببلاد المشرق، وتتلمذ له كثير من الأولياء رضي الله عنهم، وتخرج بصحبته غير واحدٍ من ذوي الأحوال، وانتهى إليه عالِمٌ عظيم وهو علي تاج العارفين أبو الوفاء ﷺ حين مات وقُصد بالزيارة من كل قطرٍ.

وهو أحد المشايخ الذين يتصرفون بعد موتهم تصرف الأحياء.

وكان له كلام نفيس على لسان أهل الحقائق والطريق.

منه يقول: لا يخلو أخذك وتركك أن يكون لله تعالى أوله، فإن كان به فهو يناديك بالعطاء، وإن كان له فاسترزقه بأمره.

واحذر ما فيه الخلو.

ومتى كنت مع الله تعالى حفظك، وإذا كنت مع فضل الله تعالى كفاك.

وإذا كنت مع الأسباب فاطلب رزقك من الأرض، وإذا كنت مع الإيمان فاطلب من

---

(١) انظر: خلاصة المفاخر لليافعي (ص٧٨) بتحقيقنا.

السماء.

وإذا كنت مع التوكل فإن طلبته بهمتك لن يعطيك، وإن أزلت همتك أعطاك فاطلب بزوال الهمَّة.

وإذا كنت واقفًا مع الله تعالى صارت الأكوان خالية من المعاصي، والكون كله فيك ولك.

ومنه يقول: الشيخ من جمعك في حضوره، وحفظك في مغيبة وحدتك بأخلاقه، وأدبك بإطراقه، وأنار باطنك بإشراقه.

والمريد: من أنار نوره مع الفقراء بالأنس والانبساط، ومع الصوفية بالأدب والانحطاط وحسن الخلق.

والتواضع في كل شيءٍ مع العلماء رضي الله عنهم بحسن الاستماع، ومع أهل المعرفة بالسكوت، ومع أهل المقامات بالتوحيد.

ومنه يقول: إذا رأيت الرجل تظهر له الكرامات وتنخرق له العادات فانظره كيف هو عند الأمر والنهي.

ومن كان فيه أدنى بدعة فاحذر مجالسته؛ لئلا يعود عليك شوبها ولو بعد حين.

ومن اكتفى بالكلام في العلم دون الاتِّصاف بحقيقته انقطع.

ومن اكتفى من التعبد دون فقهٍ خرج مؤمن.

ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغترَّ.

ومن قام بما يجب عليه من الأحكام نجا.

ومنه يقول في توحيد الباري ﷻ: لا تجري ما عقيبته في مقالٍ، ولا تخطر كيفيته ببالٍ، عز عن الأمثال والأشكال، صفاته قديمة [أزلية] ليس بجسمٍ، فصفاته جلَّ أن يشبه بمبتدعاته أو يُضاف إلى مصنوعاته، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لا يُسمَّى له في أرضه وسماواته، ولا عديل له في حكمه وإرادته، حرامٌ على العقول أن تمثله وعلى الضمائر أن تعرفه، وعلى النفوس أن تكفر، وعلى الفكر أن تحيط، وعلى العقول أن تصور إلا ما وصف به ذاته في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ.

أول ما يجب على سالك طريقتنا هذه ترك الدعاوي الكاذبة وإخفاء المعاني الصادقة.

أخبرني أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الموصلي قال: سمعت أبو إسرائيل يعقوب بن عبد المقتدر بن محمد الحميدي الأربلي السائح يقول: أقمت مدة ثلاث سنين سائحًا مجردًا في جبال الهكاز ولبنان وجبال العراق والعجم، وكانت الأحوال تطرقني فأخر بوجهي فتذري عليَّ الرياح والتراب والرمال، حتى يكون على جلدي جلدًا آخر من الوسخ، فجاءني يومًا ذئبٌ ونظر إلَيَّ مبتسمًا، ولحس جلدي حتى تركه كالجمارة، وذهب عني فداخلني التعجب منه، فبينما أنا كذلك إذ جاءني ذلك الذئب ونظر مغضبًا وبال عليَّ وذهب عني، فداخلني منه غمٌّ شديدٌ، فقمت وأتيت عين ماء فاغتسلت منها، ثم أتيت إلى قبةٍ في وسط صحراء وتلك بين جبال بينها وبين الناس والعمارة مسيرة عشرة أيام من كل قطرٍ، ولا يمر بي أحدٌ، ولا أسمع صوت شيء آنس به البتة.

قال: فقلت في نفسي: لو قيضني الله تعالى ببعض العارفين، فإذا الشيخ عدي ﵁ إلى جانب ظهري ولم يسلم عليَّ، فقلت في نفسي: ولِمَ لَمْ يسلم عليَّ؟ فقال ﵁: إنا لا نلقى السلام والترحاب على من يبول عليه الذئاب.

قال: قام والتفت إلَيَّ وذكر لي جميع ما جرى لي في سياحتي، حتى واجهني بجميع ما في خاطري، وبكل شيءٍ اختلج في سرِّي، وأضمر في قلبي واقعة واقعة حتى ذكَّرني بأشياءٍ كنت قد نسيتها ﵁.

قال: فقلت: يا سيدي إني اشتهي الانقطاع في هذه البرية وأنا في هذه القبة، فلو كان عندي ماء أشرب وأتوضأ منه، وشيء أقتات به، فقام ﵁ إلى صخرتين كانت في تلك القبة، ووكز أحدهما برجله فانفجرت منها عين ماء حلو عذب من ماء النيل، ووكز الصخرة الأخرى أيضًا فنبتت فيها للوقت شجرة رمان، فقال لها ﵁: أيتها الشجرة أنا عدي بن مسافر، تأتي بإذن الله تعالى يومًا رمان حلوًا ويومًا رمانًا حامضًا، فقال لي: يا أبا إسرائيل، قم فكُلْ من هذه الشجرة، واشرب من هذه العين، وإن أردتني فاذكرني فإني آتيك.

قال: ثم تركني وانصرف.

قال: فأقمت في تلك القبة سنتين، فكنت آكل من تلك الشجرة يومًا رمانًا حلوًا ويومًا رمانًا حامضًا أطيب من رمان الدنيا، وما ذكرته قط إلا وجدته عندي في الوقت

فيخبرني بما يختلج في صدري في مدة غيبته عني.

قال: ثم بعد سنتين أتيت إليه إلى زاويته وبت عنده ليلة فأحرقني بأنفاسه، ومكثت بعد ذلك أربعين يومًا أصب الماء البارد كل يومٍ مرارًا أربعين يومًا، وإني لأجد النار الشديدة في قلبي من هيبة أنفاسه ﷺ.

قال: واستأذنته مرة وودعته مسافرًا إلى عبادان فقال: يا أبا إسرائيل إذا رأيت في طريقك أسد تخاف منه فقل له: يقول لك عدي بن مسافر اذهب عني ودعني، وهو يذهب عنك، وإذا رأيت هول البحر وأمواجه فقل: أيتها الأمواج أسكني، يقول لك عدي بن مسافر. قال: فكنت إذا وجدت شيئًا من الوحوش أو أسدًا أو غيره أقول له: يقول لك الشيخ عدي بن مسافر اذهب عني وودعني، قال: فينكس رأسه ويذهب.

قال: وركبت نهر البصرة فاشتدت بنا ريحٌ عاصفةٌ وأشرفنا منه على الهلاك، فقلت: أيتها الأمواج المتلاطمة يقول لك الشيخ عدي بن مسافر: اسكني، فما تمَّ كلامي حتى سكن الريح وصار ماضيًا ﷺ.

أخبرنا الشيخ ابن جعفر عمر بن محمد قال: خدمت الشيخ عدي ﷺ سبع سنين، وشهدت له خارقات في نفسي، أحدها أني صببت يومًا على يديه ماءً، فقال لي: ما تريد يا عمر؟ فقلت له: يا سيدي تلاوة القرآن العظيم، وإني لا أحفظ منه سوى سورة الفاتحة وسورة الإخلاص فقط، وحفظه عليَّ عسير جدًّا، قال: فضرب بيده الكريمة على صدري فحفظت القرآن كله في وقتي ذلك، ثم خرجت من عنده وأنا أتلوه بكماله وصحته لا يتوقف عليَّ منه آية واحدة، وأنا إلى الآن أجود الناس له تلاوة، وأقدر على دَرسه من بركة دعوته ﷺ.

وقال أيضًا: وقال لي يومًا: يا عمر اذهب إلى الجزيرة السادسة من البحر المحيط تجد بها مسجدًا، فادخله تجد فيه رجلاً شيخًا، فتقول له: يقول لك عدي بن مسافر: احذر الاعتراض، ولا تختر لك أمرًا لك فيه إرادة.

وقال: فقلت له: يا سيدي، وأنَّى لي بالبحر المحيط؟ قال: فزجني بين كتفي وأنا بظاهر زاويته بكالش وإذا أنا بالبحر المحيط، وإذا المسجد قبالي ولا أدري كيف جئت، قال: فدخلت المسجد فرأيت رجلاً جالسًا مهابًا مفكرًا، قال: فسلمت عليه وبلَّغته الرسالة فبكى وقال: جزى الله الشيخ عدي عني خيرًا، قال: فقلت له: يا سيدي وما هذا

الأمر؟ فقال لي: يا بني اعلم أن أحد السبعة الخواص هو الآن في النزع، وأنا طمحت بي إرادتي أن أكون مكانه، وأن خطرتي لم تكمل في نفسي وأنا مفكرًا في ذلك، رضي الله عنهما.

قال: ثم قال لي: إن الشيخ عدي ﷺ من العشر الخواص، قال: فقلت له: يا سيدي وأنَّى لي بعودتي إلى الشيخ عدي؟ قال: فقام ودفعني بين كتفي.

فإذا أنا بالزاوية رضي الله عنهما.

وقال عمر أيضًا له: يا سيدي، إني أريد منك أن تريني شيئًا من المغيبات، قال: فأعطاني منديل كان معه وقال لي: ضعه على وجهك، قال: فوضعته على وجهي، فقال: ارفعه فرفعته فرأيت الملائكة الحافظين الكاتبين، ورأيت ما يسطرون من أعمال الخلائق، فأقمت على هذه الحالة ثلاثة أيام، فتكدَّر عيشي فاستعنت بالله، فوضع ذلك المنديل على وجهي ورفعه، قال: فاستتر عني ذلك الأمر كله ﷺ.

وقال: وصف الشيخ عدي لي يومًا صفة ديك العرش الذي يؤذن في أوقات الصلاة تحت العرش، فقلت له: يا سيدي، أسمعني صوته، قال: فلما كان وقت صلاة الظهر قال لي: يا عمر، قلت: نعم، قال: ادنُ مني، وضعْ أذنك عند أذني، قال: ففعلت فسمعت صياح ذلك الديك فغشى عليَّ زمانًا ثم فقت ﷺ.

وقال أيضًا: وصف الشيخ عدي ﷺ يومًا من مناقب الشيخ عقيل المنبجي قال: فأعطاني مرآة وقال لي: انظر فيها، قال: فنظرت شخصي ثم توارى فظهر لي شخصٌ أراه، ولا يخفى عليَّ من وجهه شيء، فقال لي الشيخ عدي ﷺ: تأدَّب يا عمر، فإنه الشيخ عقيل، ودمت ساعة طويلة انظر إليه ثم توارى عني فظهر لي شخصي ﷺ.

أخبرنا الشيخ شاور الجيلي قال: صنع المستنجد أبا المظفر وليمة ببغداد ودعا جميع المشايخ بالعراق وبغداد وعلمائها، فحضروا كلهم ما خلا من الشيخ عبد القادر ﷺ، والشيخ عدي، والشيخ أحمد الرفاعي(١).

---

(١) سكن أم عبيدة بأرض البطائح إلى أن مات بها، انتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق وشرح أحوال القوم، وكشف منازلاتهم، وبه عُرف الأمر بتربية المريدين بالبطائح، وتخرَّج بصحبته جماعة كثيرة، وتلمَّذ له خلائق لا يُحصون، وهو أحد من قهر أحواله، وملك أسراره، وله كلامٌ كثيرٌ عال على لسان أهل الحقائق، وهو الذي سُئل عن وصف الرجل المتمكن فقال: هو الذي لو نُصب له سنان أعلى شاهق في الأرض، وهبّت الرياح الثمانية ما غيَّرته.

=

وكان يقول: الزهد أساس الأحوال المرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم الصادقين إلى الله ﷻ، والمنقطعين إلى الله، والراضيين عن الله، والمتوكلين على الله، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده.

وكان يقول: الأنس بالله لا يكون إلا لعبدٍ قد كملت طهارته، موصفًا ذكره، واستوحش من كل ما يشغله عن الله تعالى، فعند ذلك آنسه الله به، وأورده بحر حقائق الأنس، فأخذ عن وجدٍ طعم الخوف لما سواه.

وكان يقول: لو تكلَّم الرجل في الذات والصفات كان سكوته أفضل، ولو خطا من قافٍ إلى قافٍ كان جلوسه أفضل.

وكان يقول: لما مررت وأنا صغيرٌ بالشيخ عبد الملك الخرنوبي أوصاني وقال لي: يا أحمد احفظ ما أقول لك، فقلت: نعم، فقال: ملتفت لا يصل، ومتكبِّل لا يصلح، ومن لم يعرف من نفسه بالنقصان فكل أوقاته نقصان، فجعلت أكرِّرها سنة، ثم رجعت إليه فقلت: أوصني، فقال: ما أقبح الجهل بالألباء، والعلة بالأطباء، والجفاء بالأحباء، ثم خرجت وجعلت أردِّدها سنة، فانتفعت بموعظته.

وكان يقول: الشفقة مما يقرب إلى الله.

وكان يقول: أخوك الذي يحل لك أكل ماله بغير إذنه هو الذي تسكن نفسك إليه، ويستريح قلبك.

وكان يقول: إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة، وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين، وإذا صلح القلب أخبرك عمَّا وراءك وأمامك، ونبَّهك على أمورٍ لم تكن تعلمها بشيءٍ دونه، وإذا فسد حالك بباطلات يغيب عنها الرشد وينتفي معها السعد.

وكان يقول: الصدقة أفضل من العبادات البدنية والنوافل.

وكان يقول: من شرط الفقير أن يرى كل نفسٍ من أنفاسه أعزّ من الكبريت الأحمر، فيودع كل نفسٍ أعزّ ما يصلح له، فلا يضيع له نفسٌ.

وكان يقول: السفر للفقير يمزِّق دينه ويشتت شمله.

وكان يقول: من لم ينتفع بأفعالي لم ينتفع بأقوالي.

وكان يقول: كل أخٍ لا ينفع في الدنيا لا ينفع في الآخرة.

وكان يقول: إذا تعلَّم أحدكم شيئًا من الخير فليعلِّمه للناس يثمر له الخير.

وكان يقول: طريقنا مبنية على ثلاثة أشياء: لا نسأل، ولا نرد، ولا ندَّخر.

وكان يقول: ما من ليلةٍ إلاّ وينزل فيها نثار من السماء إلى الأرض، يغرق على المستيقظين.

وكان يقول: والله ما رأيت الخير إلا في الوحدة، فيا ليتني لم أعرف أحدًا ولم يعرفني أحدٌ.

وكان يقول: ما نظر أحدٌ إلى الخلائق، ووقف مع نظرهم له في العبادات إلا سقط من عين رعاية الله ﷻ؛ فإن الحق سبحانه وتعالى غيور.

وكان يقول: من شرط الفقير ألا يكون له نظر في عيوب الناس.

وكان يقول: وعدني ربي أن أعبر ولا عليَّ شيء من لحم الدنيا.

والشيخ علي بن الهيتي[1]، رضي الله عنهم، فلم يحضروا.

=

قال يعقوب الخادم: فني لحمه بأجمعه قبل خروجه من الدنيا، وكان ﷺ إذا صعد الكرسيّ لا يقوم قائمًا، وإنما يتحدّث قاعدًا، فيسمع كلامه البعيد مثل القريب، حتى إنّ أهل القرى التي حول أمّ عبيدة كانوا يجلسون على أسطحتهم يسمعون كلامه وعلوّ صوته، ويعرفون جميع ما يتحدّث به، حتى كان الأطروش والأصم إذا حضر يفتح الله أسماعهم لكلامه، وكان أحدهم يبسط حجره، فإذا فرغ السيد أحمد ضموا حجورهم إلى صدورهم، وقصُّوا الحديث إذا رجعوا إلى أصحابهم على حِلّيته.

وكان يقول: اللَّهُمَّ اجعلنا ممن فرشوا على بابك لفرط ذلهم نواعم الخدود، مُنَكَّسُوا رؤوسهم من الخجل، وجباههم للسجود، ببركة صاحب اللواء المحمود، والحوض المورود آمين.

وكان ﷺ لا يجازي بالسَّيئة السَّيئة، ولكن يعفو ويصفح تخلُّقًا بأخلاق رسول الله ﷺ، وكان إذا تجلَّى الحق تعالى على قلبه بالتعظيم يذوب حتى يصير بقعة ماء، ثم يتدارك باللطف فيصير بحمد الله شيئًا فشيئًا حتى يرد إلى جسمه المعتاد، ويقول: لولا لطف الله بي ما رجعت إليكم.

وكان مرض الشيخ بالبطن، فكان يخرج منه كل يومٍ ما شاء الله تعالى، فبقي في المرض شهرًا، فقيل له: من أين هذا كله، ولك عشرون يومًا لا تأكل ولا تشرب؟! فقال: يا أخي هذا اللحم يندفع ويخرج، ولكن قد ذهب اللَّحم وما بقي إلا المخ، اليوم يخرج وغدًا نعبر إن شاء الله تعالى، فخرج منه شيءٌ أبيضٌ مرّتين أو ثلاث، ثُمَّ تُوفي يوم الخميس وقت الظهر، ثاني عشر جمادى الأوّل سنة سبعين وخمسمائة، وكان يومًا مشهودًا.

وكان آخر كلمة قالها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وهو الشيخ الجليل الحسيب النسيب أحمد بن أبي الحسين عليّ الرفاعي بن محيي بن ثابت بن حازم بن أحمد بن محيي بن خازم بن حسن بن مهدي بن أبي القاسم محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى بن إبراهيم المجاب ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين السّبط، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

انظر في ترجمته: طبقات الشعراني الكبرى (١/١٢١)، وبوارق الحقائق للشيخ الرواس، وقلائد الزبرجد شرح حكم مولانا أحمد للصيادي، بتحقيقنا.

(١) قال الكردي الموصلي: هو من أكابر مشايخ العراق وأعيان العارفين، وهو أحد من نُسب إلى القطبيّة العظمى، وكانت عنده الخرقتان اللتان ألبسهما أبو بكر الصدِّيق ﷺ لأبي بكر بن هوار البطائحي في النوم، فاستيقظ فوجدهما عليه، وهما ثوب وطاقية، وكان أعطاهما أبو بكر لأبي محمد الشنبكي، وأعطاهما الشنبكي لتاج العارفين أبي الوفاء، وأعطاهما أبو الوفاء للشيخ علي بن الهيتي، وأعطاهما الشيخ عليّ للشيخ ابن إدريس، ثم فُقدتا، ومكث ﷺ ثمانين سنة ليس له خلوة ولا معزل، بل ينام بين الفقراء، وذلك لأن فتحه أتاه من طريق الوهب.

وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني يقول لما دخل بغداد: كل من دخل من الأولياء بغداد فهو في

=

قال: فلما أكل الناس وانصرفوا قال الوزير للخليفة: يا أمير المؤمنين، إن الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ عدي والشيخ علي بن الهيتي، رضي الله عنهم، هؤلاء لم يحضروا وليمتنا، ثم أمر الحاجب، وقال الخليفة: كأن لم يحضر هذه الوليمة أحدٌ، ثم أمر الحاجب وكتب بطاقة وأعطاها لحاجبه وقال: انطلق إلى الشيخ عبد القادر ﷺ وادعوه وقل له: يطلب الشيخ عدي من جبل الهكار، والشيخ أحمد من أم عبيده، والشيخ علي ابن الهيتي، رضي الله عنهم، ويأتي بهم إلى دار الخلافة جميعًا، قال الشيخ شاور: فقال لي الشيخ عبد القادر ﷺ قبل أن تستطير البطاقة وقبل أن يأتي بها الحاجب: يا شاور اذهب إلى المسجد الذي بظاهر الحلة تجد فيه الشيخ عدي بن مسافر ومعه اثنان، فادعهم إلَيَّ ثم امضِ إلى مقبرة الشونيزية تجد فيه الشيخ أحمد بن الشونيزي الحسن الرفاعي ومعه اثنان فادعهم إلَيَّ، قال الشيخ شاور: فذهبت إلى المسجد الذي بظاهر الحلة فوجدت الشيخ عدي ﷺ ومعه اثنان، فسلمت عليهم وقلت لهم: يا سادات أجيبوا الشيخ عبد القادر ﷺ، فقالوا: سمعًا وطاعةً، وقاموا فذهبت معهم، فقال الشيخ عدي: يا شاور ألا تذهب إلى الشيخ أحمد كما أمرك الشيخ عبد القادر ﷺ، فقلت: بلى. قال: ثم انطلقت وأتيت إلى مقبرة الشونيزي فوجدت الشيخ أحمد ﷺ ومعه اثنان، فقلت له: يا سيدي أجب الشيخ عبد القادر ﷺ، فقال: سمعًا وطاعةً، وقاموا فتوافيا بباب الشيخ عبد القادر ﷺ في وقت المغرب، فقام الشيخ إليهم وتلقاهم بنفسه رضي الله عنهم.

قال: فما لبثوا غير يسير حتى جاء الحاجب إلى الشيخ محيي الدين ﷺ فوافاهم عنده، قال: أسرع إلى الخليفة وأخبره باجتماعهم، فكتب إليهم الخليفة بخطه على الحضور، وبعث إليهم ولده وحاجبه فأجابوه وذهبوا، قال: وأمرني الشيخ بالمسير معه،

=

ضيافتنا، ونحن في ضيافة الشيخ عليّ بن الهيتي.

وكان الشيخ عبد القادر يقول: تفتق رتق قلب الشيخ علي الهيتي وهو ابن سبع سنين، وكان ﷺ يخبر عن المغيبات، وتظهر على يديه الكرامات، وأجمعت العلماء على جلالته وعلوّ منصبه.

سكن وزيران بلدة من أعمال نهر الملك، إلى أن مات بها سنة أربع وستين وخمسمائة، وقد غلب سنُّه على مائة وعشرين سنة، وبها دُفن وقبره بها ظاهر يُزار.

انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/١٢٥)، وكرامات النبهاني (٢/١٦١،١٦٠).

قال: فلما كنا بالشط وإذا بالشيخ علي بن الهيتي، قال: فتلقوه المشايخ رضي الله عنهم وسار معهم، قال: فأتى بنا إلى دار حسنة وإذا الخليفة قائم بها مشدود الوسط ومعه خادمان له، وليس في الدار سواهم، فتلقاهم الخليفة وسلم عليهم وقال لهم: يا سادات، الملوك إذا دخلوا على الرعية يبسطوا لهم الحرير ليطؤه بأقدامهم، ثم ذيله لهم وسألهم أن يمشوا عليه، قال: ففعلوا. قال: وانتهى بنا إلى سماط مهيأ فجلسوا وأكلوا كلهم وأكلنا معهم.

ثم خرجوا وأتوا إلى زيارة قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم، وكانت ليلة شديدة البرودة ومظلمة، فجعل الشيخ عبد القادر ﷺ كلما يرى حجر أو خشبة أو جدار أشار بيده إليه فيضيء كضوء القمر، ويمرون في نوره إلى أن ينتهي ضوءه.

ثم يُشير الشيخ ﷺ على آخر فيضيء، فما زالوا يتنعمون في النور وما فيهم من يتقدم على الشيخ عبد القادر ﷺ.

قال: فدخلوا المشايخ الأربع رضي الله عنهم يزورون، ووقفنا على باب المزار حتى خرجوا، فلما أرادوا أن ينصرفوا قال الشيخ عدي للشيخ عبد القادر رضي الله عنهما: أوصني، قال: أوصيك بالكتاب والسُّنة، ثم تفرَّقوا رضي الله عنهم.

قال الشيخ عمر البزار[1]: كان سيدي الشيخ عبد القادر ﷺ يثني كثيرًا على الشيخ عدي بن مسافر ﷺ، قال: فاشتقت إلى رؤيته واستأذنت الشيخ في زيارته فأذن لي، قال: فسافرت حتى أتيت جبل الهكار فوجدت الشيخ عدي ﷺ قائمًا على باب زاويته بكالش، فقال: أهلاً يا عمر، تركت البحر وجئت إلى الساقية، يا عمر الشيخ عبد القادر ﷺ مالك أزمة الأولياء كلهم، رضي الله عنهم أجمعين، وقائد ركائب المحبين بأسرهم في هذا الوقت.

قال: فلما زرته ورجعت إلى الشيخ عبد القادر ﷺ فأخبرته بما قال، فقال الشيخ عبد القادر ﷺ: إني لأشهد وللشيخ عدي ﷺ نصبت له أعلام السلطنة على الأولياء، وهو في بطن أمه قدَّس الله روحه.

وهذا هو الشيخ الإمام العارف أبي الفاضل شرف الدين عدي بن مسافر بن إسماعيل ابن موسى بن مروان بن الحسن بن إبراهيم بن عبد المنذر بن مروان بن

(١) انظر: القلائد (ص٣٦٩).

الحكم بن أبي العاص بن عبد شمس بن عبد مناف بن مروان بن الحكم بن مروان الأموي ﷺ.

أصله من بلد بعلبك، ومولده قرية بيت فار في البقاع العزيز من أرض الشام ﷺ، وسكن في بلاد المشرق في جبل الهكار، واستوطن مغارة بقرب قرية بكالش إلى أن مات بها سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقد علا اسمه، وقبره بها ظاهرٌ مُزار بزاويته المنسوبة إليه ﷺ.

وكان فقيهًا عالمًا أديبًا فصيحًا ظريفًا، متواضعًا، حسن الأخلاق، من شدة ألطافه وكثرة الهيبة لا يُطاق النظر إليه ﷺ.

سُئل الشيخ عدي ﷺ عن أحوال الصالحين بِمَ تُنال؟ فقال ﷺ: بعشر خصال:

ترك الدعوى الكاذبة، وكتمان المعاني الصادقة، والصدق، والإخلاص، والخشوع، والسهر، والصمت، والفكر، وقوت الحلال، ومخالفة النفس عن الهوى، والصبر على البلاء الموجع.

وينفي عشر خصال: ألا يكون فيه بدعة، ولا كبر، ولا عجب، ولا رياء، ولا نفاق، ولا سمعة، ولا مجدة، ولا رياسة، ولا حسد، ولا سوء ظن.

ثم المعاملات فإن أردت معاملة النفس: فعليك بالجهاد والخوف والرياضة والصدق والإخلاص.

واعلم بأن إخراج النفس عن رضاها وربطها وذبحها من قفاها أهون عليها من ردها عن هواها.

وسُئل بعضهم: متى يكون داء النفس دواؤها؟ فقال: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواء.

وإن أردت مغمة إبليس وطرده عنك فاقطع مطامعك واترك اختيارك وأمت نفسك.

ثم قال: راقب مولاك وأكثر من الطاعات واترك المعاصي.

وإن أردت معاملة المخلوقين فعليك بالحلم والعفو والتواضع والنصح والعدل والإنصاف.

وإن أردت معاملة الدنيا فعليك ببذل المجهود بالموجود، واختيار الزهد، وبغض التكابر، ورفض الشهوات، ثم أنشد يقول في معنى ذلك شعرًا:

إِذَا مَــا أَرَدت جــوارًا للــصمد وصــلك يــدوم وعــز الأبــد
فــلا تفطــرن علــى شــبهةٍ ولا تــرقد الليـل مـع مـن رقـد

ذكر الهدية وما شَرحَ فيها ﷺ:

أما هدية عزرائيل عليه السلام**: فهي أربعة أشياء:**

الأولى: التوبة من الذنوب.

والثانية: رضاء الخصم.

والثالثة: الصلاة والصوم.

والرابعة: الشوق إلى لقاء الله عز وجل.

وأما هدية القبر: أربعة أشياء:

أولها: ترك الغيبة.

والثانية: ترك النميمة.

والثالثة: إقامة الصلاة بحدودها كما أمر الله تعالى ورسوله.

والرابعة: ينزه العبد جسده وثوبه من قطار البول؛ لقول النبي ﷺ: «**إن عامة عذاب القبر من قطر البول والنميمة**».

وأما هدية منكر ونكير عليهما السلام: فهي أربعة أشياء:

أولها: ترك الشهوات.

والثانية: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

والثالثة: صدق اللسان.

والرابعة: الرحمة بالمؤمنين والمؤمنات.

وأما هدية الملائكة الحافين وغيرهم عليهم السلام: فهي أربعة أشياء:

أولها: قلة الكلام، وقلة الأكل من الطعام، وكثرة الذكر لله عز وجل على الدوام.

وأما هدية الميزان: فهي أربعة أشياء:

الأولى: تعليم العلم والعمل به، والاستقامة لله عز وجل، وحسن الخلق مع الخلق، والشكر لله تعالى على كل حالٍ.

وأما هدية الصراط: فهي أربعة أشياء:

الأولى: بر الوالدين، وبر الإخوان، وصدق اللسان، والمشي إلى الجماعات.

وأما هدية مالك عليه السلام: فهي أربعة أشياء:

الأولى: قراءة القرآن، والبكاء من خشية الرحمن، وترك المعاصي، وترك الحرام.

وأما هدية رضوان عليه السلام: فهي أربعة أشياء:

الأولى: الصدقة في السر والعلانية، والصوم في الصيف، ونصيحة الإخوان، والخوف والرجاء يكونان معتدلان؛ لقول النبي ﷺ: «**لو وُزِنَ خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا**[1]».

وأما هدية الحور ومهورهن: فهي أربعة أشياء:

قيام الليل، وصيام النهار، وغض البصر عن المحارم، وصيانة الفرج.

وأما هدية النبي ﷺ: فهي أربعة أشياء:

القيام بما أمر به أمته ﷺ، ومحبة آله وأصحابه وأهل بيته، واتِّباع سنته، وصلوات متتابعات عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ورحمة الله وبركاته.

وأما هدية الرب سبحانه وتعالى: فهي عشرة أشياء:

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيله، والوفاء، وأداء الحقوق، وتعظيم حرمة الله تعالى، والشكر، والرِّضا، والشوق إلى لقائه سبحانه وتعالى.

وأنشد في المعنى يقول شعرًا:

تُـــرِيْدين إدرَاكَ المعَانِــــي رَخِيْـــصَة فَكَمْ دُونَ أَكل الشَّهْد من لسع النحل

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت:٦٩].

واعلم يا هذا أن البدلاء ما صاروا بدلاء بالأكل والشرب والنوم والطعن والضرب، وما بلغوا ذلك بالمجاهدات والرياضات؛ لأن من لا يموت ما يعيش، ومن كان لله تلفه كان على خلفه، ومن تقرَّب لله تعالى بتلافي نفسه أخلف الله تعالى عليه نفسه.

وأنشد يقول في المعنى شعرًا:

ســـير الـــنِّفُوس عَلَـــى هَـــوَاهَا فَإِمَّــــا عَلَـــيْهَا وَإِمَّــــا لهَـــا

فَـــإِنْ سَـــلِمَتْ تَـــنَال المُـنـــى وَإِنْ تَلَفَــــتْ فَـــيَا حالهـــا

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (١٣/٢).

يا هذا.. إن قَتلت كنت من جُندنا، وإن تلفت كنت في تلك الحالة عندنا، وإن عشت فعيش السعداء، وإن مت فموت الشهداء.

ذكر ما أوضحه في الرياضة:

قال الشيخ عدي ﷺ: اطرح نفسك في مقام الإخلاص، وغرقها في بحار الإياس، وانزل عليها بعساكر الصفاء، وقاتلها برجال الوفاء، واضرب عليها سرادقات التسليم والرضا، وانشر عليها أعلام الحياء، واركب أفراس التوكل، وافرغ عليها اليقين، والبس لها لباس الصبر، واعتقل لها برماح الخشوع، وأشهر لها أسياف الخوف، وتنكَّر لها بمتاريس الرجاء، وجُلْ عليها في ميادين الشوق، وأقم عليها من حقيقة الصدق، وعزها بالإخلاص، وازحف عليها بحقيقات الذِّكر، وقدم لها سلالم الحلم، فإذا فعلت هذا فاستعمل لها في القناعة، وركِّب عليها أوتار المجاهدة، واطرح فيها سهام المشاهدة، واجذبها بأيدي الحكمة والمعرفة، وارمِها بنبل القرب لعلك تخض بحار الوصال.

فإذا فعلت هذا مع هذا اقطع مطامعك، واترك اختيارك، وأمت نفسك، وقاتل هواك، وراقب مولاك، واخط قدمين معًا أنت من قاب قوسين، واعتقد أن القوم صاموا عن الصوم، وناموا عن النوم، وفنوا عن الفناء، ونُودوا من أسرارهم بلسان الربوبية: أبشروا ذهب عنكم العنا، أنا أنتم وأنتم أنا.

فهاموا فرحًا، وتاهوا وخرجوا عن البرية، وغابت نفوسهم عن صفات البشرية، وطارت قلوبهم في الملكوتية بأجنحة المشيئة، حتى إذا خرقوا حجب الوحدانية والربوبية ووقفوا على بساط الصمدانية، فنظروا فوقهم الملائكة الكروبية والروحانية فأخذتهم الغيرة، فانتهى بهم إلى مقام الحيرة، فطاشوا وعاشوا، ثم نسوا أنفسهم، وغابوا عن ذاتهم، نظروا فأبصروا، وأبصروا فأجلسوا، وأجلسوا فسامروا، وسُومروا فأنسوا، وأُنسوا فقربوا، فوصلوا فسقاهم الجليل جلَّ جلاله من شراب محبته بكأس ودِّه على بساط قربه، فلما شربوا دهشوا حتى إذا بلغوا: ﴿**مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾ [القمر: ٥٥]، ناداهم الجليل جلَّ وعلا: ﴿**يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ [الزخرف:٦٨]، أنتم عبادي حقًّا، ما تريدون.

وهو أعلم بما يريدون، فلما حكمهم تواجدوا وغنوا وأنشدوا:

ما قصدنا الجنان ولا حورها إنما قصدنا نظرةً من أجلها تغنينا وفنيت أرواحنا

وأنشد يقول ذلك شعرًا:

فَتَجَلَّى غيرَ مُحْتجبٍ وَانْجلت بالنورِ أَذْهَانُ

ويَمْسُوا وَالهينَ بِهِ وجيوب القومِ أردانُ

وقالوا: عند رؤيا المحبوب ما رامه المحب من المحبوب.

اللَّهُمَّ بحق محمد وآله وفِّقنا للعمل بهذا الكلام، وارزقنا صدق اليقين، ولا تجعلنا ممن يأكل الدنيا بالدين، واجعلنا ممن يؤمن بكرامات الأولياء والصالحين، واحشرنا في زمرتهم، وأعد اللَّهُمَّ علينا وعلى المسلمين من بركة المتكلم بهذا الكلام برحمتك يا أرحم الراحمين.

ذِكْر كرامات الشيخ الإمام تاج الحقيقة وسلطان الطريقة أبي الفضائل شرف الدين عدي بن مسافر ﷺ وأرضاه

أخبرنا الشيخ عمر قال: كان الشيخ عدي ﷺ يومًا جالسًا في زاويته بكالش وعنده جماعة من أكابر أصحابه، قال: فتشاجروا بينهم في أمر الشفاعة وذكروا المشايخ رضي الله عنهم وقالوا: الشيخ فلان يشفع في كذا، والشيخ فلان يشفع في كذا، وعدوا جماعة من أعيان المشايخ رضي الله عنهم.

فقال الشيخ عدي ﷺ: وأي جارٍ وحرمةٍ يكون لمن يسأل في محبوسٍ ليطلق من السجن، فقال بعض أصحابه: يا سيدي، إن لم يُشفع في المحبوس كيف يخرج من الحبس؟ قال: فقال الشيخ عدي ﷺ: الجاه والحرمة لمن يكسر باب الحبس ويطلق من فيه ﷺ.

ورُوي عنه ﷺ أنه قال: كل من يقصد زيارتي يخطو ثلاث خطوات إلا وقد غفر الله تعالى له، إنما يجئ مغرم ويرجع مغرم.

يعني: قصده الزيارة، ولا يتوجه إلى جهةٍ أخرى إلا من بيته إلى زيارته، ومن زيارته إلى بيته.

وإثبات قول الشيخ عدي ﷺ بدليل حديث النبي ﷺ أنه قال: «**يؤتى بعبدٍ يوم القيامة بين يدي الله تعالى فيُحاسب، فما يرى له حسنة، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي انطلقوا بعبدي إلى الجنة، فتقول الملائكة عليهم السلام: إلهنا عبدك ما له حسنة، فبأي عملٍ**

تدخله الجنة؟ فيقول الله تعالى: عبدي همّ في دار الدنيا يزور أخًا له في الله تعالى، وقد غفرت له بالنية التي كان عليها، فثلاث خطوات أعظم من النية[١]».

وقول الشيخ ﷺ قد صحَّت النية والسَّعي.

ورُوي عنه ﷺ أنه كان يومًا جالسًا على الفراش الذي كان يجلس عليه بزاويته، وعنده جماعة من أصحابه، فتذاكروا شيئًا من أحوال المشايخ ومنزلتهم عند الله تعالى، إلى أن وصلوا إلى الشيخ أبي يزيد البسطامي ﷺ[٢].

---

(١) لم أقف عليه هكذا.

(٢) ذكره الشيخ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وترجمه فأحسن، وقال: ومنهم التائه الوحيد القائم الفريد البسطامي أبو يزيد تاه فغاب، وهام فآب، غاب عن المحدود وآب إلى موجد المحسوسات والمعلومات، فارق الخلق ووافق فأيد بإخلاء السر وأمد باستيلاء الذي إشاراته فانية، وعباراته كامنة لعارفيها صائنة، ولمنكريها فاتنة.

اسمه طيفور بن عيسى بن شروشان وكان جده مجوسيًا فأسلم وكان سبب إسلامه على ما ذكره شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني البسطامي قدس الله روحه أنه كان يخالط شروشان ولد إبراهيم الذي ورد بسطام في أول الإسلام فلام إبراهيم ولده وأنكر عليه صحبة شروشان، وقال له: رجل مجوسي تصاحبه؟ فقال لوالده: هو رجل مرضي الخصال لا يرد السؤال عن السؤال سخي وفي وإنما أحبه لذلك، فقال له والده: قل له: إن أبي يجيئك ضيفًا، فأخبره فقال: نعم إن فعل فعلي الهدية والكرامة، فلما حضر إبراهيم وأحضر شروشان الطعام. قال له: لا آكله حتى تعطيني مرادي وتقضي حاجتي. قال: وما ذاك؟. قال: أن تسلم. قال: أفعل وكرامة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده رسوله، فكان هذا سبب إسلامه. وقد كثر اسم طيفور في قبيلته وقومه في يومه وغير يومه، وفي الأجانب من كل جانب كانوا يسمون باسمه ويكنون بكنيته تبركًا واستسعادًا، ولكن هو ذلك الطيفور الذي هو نور على نور، ولا زال المشايخ المتقدمون في عصره يزورونه ويتبركون بدعائه وهو عندهم من أجل العباد والزهاد وأهل المعرفة بالله. قد فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السُلمي رحمه الله: مات أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وهو من قدماء مشايخ القوم له كلام حسن في المعاملات، ويحكى عنه في الشطح أشياء منها مالاً يصح ويكون مقولاً عليه يرجع إلى أحوال سنية وفراسة حادة ورياضة لأصحابه حسنة. مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين.

ذكر معنى أقواله المشهورة عنه في الشطح: «سبحاني سبحاني ما أعظم شاني».

قال الشيخ أبو النصر السراج رحمه الله: وقد قصدت بسطام فسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد عن هذه الحكاية فأنكروا ذلك، وعلى تقدير صحة ذلك، فنقول: قوله سبحاني سبحاني =

على معنى الحكاية عن الله ﷻ أنه يقول: سبحاني سبحاني لأنا لو سمعنا رجل يقول: لا إله إلا أنا فاعبدني، لا يختلج في قلوبنا شيء غير أنا نعلم أنه هو ذا يقرأ القرآن، أو هو يصف الله بما وصف به نفسه، وكذلك لو سمعنا دائما أبا يزيد وغيره وهو يقول: سبحاني سبحاني، لم نشك أنه يسبح الله ويصفه بما وصف به نفسه.

وكذا قال: الشيخ شهاب الدين السهروردي في العوارف: وما يحكى عن أبي يزيد قوله: سبحاني حاشا لله أن يعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى.

قال: وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله أنا الحق.

قيل لأبي القاسم الجنيد قدس الله روحه إن أبا يزيد يسرف في الكلام، وقال: وما بلغكم عن إسرافه في كلامه؟ قيل يقول: «سبحاني سبحاني ما أعظم شأني». فقال الجنيد:

إن الرجل مستهلكٌ في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق تعالى فنعته، فنطق به ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضنًا من الحق به، ألم تسمعوا مجنون بني عامر لما سئل عن اسم نفسه؟ فقال: ليلى، فنطق بنفسه ولم يكن من شهوده إياه فيه، وقيل له: من أنت؟. قال: أنا من ليلى ومن ليلى أنا.

وأما ما حُكي عنه قوله: «ضربت خيمتي بإزاء العرش» فإن صح عنه أنه قال ذلك فهذا غير مجهول أن الخلق كلهم والكون وجميع ما خلق الله تحت العرش، أو بإزاء العرش يعني: وجهت وجهي نحو ملك العرش، ولا يوجد في العالم موضع إلا وهو بإزاء العرش، فلا سبيل للمتعنت إلى هذا الطعن.

وأما ما حُكي عنه أنه قال: «خضت بحرًا وقف الأنبياء بساحله» فقد تكلم الناس على مقالته هذه بأشياء على قدر أذواقهم، ونذكر هنا ما قاله الشيخ الكبير أبو الحسن الشاذلي قدس الله روحه فإنه أقرب إلى أفهام الناس.

قال: إنما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء عليهم السلام، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض، أي: فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: وهذا الذي فسّر به الشيخ كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد.

وقد قال: إن جميع ما أخذ الأولياء من ما أخذ الأنبياء كزق مُلئ عسلاً، ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء وتلك الرشاحة هي للأولياء.

وقال: والمشهور عن أبي يزيد التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب.

وحُكي عنه أنه وصف له رجل بالولاية فأتى إلى زيارته وقعد في المسجد ينتظره، فجاء ذلك الرجل وتنخم في حائط المسجد فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به، وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يؤمن على أسرار الله، وما جاء عن الأكابر أُولي الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال وأفعال يستنكر ظاهرها أوّلناها لهم لما علمناه من استقامتهم وحُسن طريقتهم، وقد قال ﷺ: «ولا تظنّنّ بكلمة برزت من امرئ مسلم سوءًا وأنت تجد لها في الخير

فقال الشيخ عدي ﷺ: أبو يزيد وما دونه سلطانه عليَّ يوم القيامة.

=

محملاً» انتهى كلامه قدَّس الله سرَّه العزيز.

وأما قوله في بعض كلامه: رفعني وأقامني بين يديه، يعنِي: أشهدني ذلك وأحضر قلبي لذلك؛ لأن الخلق بين يدي الله سبحانه لا يذهب عليه منهمَ نفس ولا خاطر ولكن يتفاضلون في حضورهم لذلك ومشاهدتهم له، ويتفاوتون في صفائهم عجب من كدورة ما يحجب بينهم وبين ذلك من الأشغال القاطعة والخواطر المانعة، والله تعالى أعلم. وأما قوله: قال لي وقلت له، فإنه يشير بذلك إلى مناجاة الأسرار وصفاء الذكر عند مشاهدة القلب لمراقبة الملك الجبار في آناء الليل والنهار.

واعلم أن العبد إذا تيقن بقرب سيده منه ويكون حاضر القلب مراقب الخواطر فكل خاطر يخطر خطر بقلبه كأن الحق سبحانه يخاطبه بذلك، وكل شيء يتفكره بسره فكأنه يخاطب الله به إذ الخواطر وحركات الأسرار، ما يقع في القلوب بدؤه من الله تعالى وانتهاؤه إلى الله.

فهذا على هذا المعنى، والله أعلم. وفيما ذكرته كفاية وهذا الباب واسع، وقد شرح الشيوخ ما نُسب إليه من الكلام المغلق على أفهام بعض الناس كسيد الطائفة الجنيد والشيخ أبي النصر السراج وغيرهما قدس الله أرواحهم.

قال الجنيد قدَّس الله روحه: الحكايات عن أبي يزيد مختلفة، والناقلون عنه فيما سمعوه متفرقون، وذلك لاختلاف الأوقات الجارية عليه بما فيها والاختلاف بالمواطن المتداولة بما خص منها فكل يحكي عنه ما ضبط من قوله، ويروي ما سمع من تفصيل مواطنه.

وقال الجنيد أيضًا: وكأن كلام أبي يزيد رحمة الله عليه بقوته وغوره وانتهاء معانيه مغترف من بحر قد انفرد به، وجعل ذلك البحر له وحده.

وقال الجنيد أيضًا: كل الخلق يركضون فإذا بلغوا ميدان أبي يزيد هملجوا.

وقال أبو الحسين: ولعمري لقد كان يبدو منه الشيء بعد الشيء على سبيل الغلبة لا يجوز أن يتخذها الإنسان دعوى يدعيها. وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت علي بن بندار، يقول سمعت أبا بكر بن محمود يقول: بلغني أن أبا حفص قدم على أبي يزيد، فقال له: يا أبا يزيد: يبلغنا عنك في كل وقت أشياء منكرة، فقال: إنما يخرج الكلام مني على حسب وقتي، ويأخذه كل بحسب وقته ثم ينسبه إلي، والله أعلم.

وانظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٠/٣٣، ٤٠)، وفيات الأعيان (١/٣٠١)، صفة الصفوة (٤/٨٩، ٩٤)، المنتظم (٥/٢٨)، الرسالة القشيرية (١٧)، طبقات الصوفية للسلمي (٨)، ميزان الاعتدال (١/٤٨١)، الكواكب الدرية (١/٢٤)، البداية والنهاية (١١/٣٥)، مرآة الجنان (٢/١٧٣)، نفحات الأنس (٥٦)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/٨٩)، طبقات الأولياء (١٠٨)، النجوم الزاهرة (٣/٣٥)، جامع كرامات الأولياء (٢/٤٠)، نتائج الأفكار القدسية (١/١٠٤)، رشحات عين الحياة (١٤)، معجم البلدان (١/٦٢٣)، درر الأبكار (ص١٢٠)، وروضة الحبور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور لابن الأطعاني (ص١٨) بتحقيقنا.

ثم قال لأصحابه ﷺ: كلنا من هذا الجانب، فادعوا لي بالعبور على السلامة، أعمل لكم دعوة: أي وليمة والناس في الموقف يأكل منها أصحابي، والناس في أشد الحساب، يدخل فيها سبعين ألفًا وسبعين ألفًا وسبعين ألف طفيلي ﷺ.

وقال ﷺ: جميع الطرق بعدي تنقطع إلا طريقي هذا لا ينقطع إلى يوم القيامة.

قال الشيخ عمر القبيصي رحمه الله تعالى: كنا عند الشيخ عدي ﷺ يومًا من الأيام وقد صلَّى صلاة العصر، فأشار إلى الحادي فأنشد شيئًا، وكان قد حضر عنده جماعة من أصحابه، قال: فطاب الشيخ والفقراء رضي الله عنهم، وجعل الشيخ عدي ﷺ يقوم ويقعد، ولم يزد في الطيبة والغلبة حتى حان وقت المغرب.

قال: فقام رجلٌ من أصحابه وأذن، فانزعج الشيخ ﷺ ودق على صدره، وقال للرجل الذي أذن: إيش قصدت بأذانك؟ كنا على العرش ﷺ.

وقال عمر أيضًا: كنت عنده يومًا جالسًا فجرى حديث الصلحاء وما يكون من أحوالهم، فقال الشيخ عدي ﷺ: ها هنا رجل يبرئ الأكمه والأبرص والمجذوم، لكنه لا يدَّعي النبوة.

قال: فاستعظمت ذلك في نفسي، وودعت الشيخ وعدت إلى منزلي، فأقمت أيامًا وعدت فقصدت زيارة الشيخ عدي ﷺ، وعندي مما سمعته عنه أثر، فحين وصلت إليه وسلمت عليه التفت إلَيَّ وقال: يا عمر، هل لك أن تصحبني في سفرٍ على شرطٍ؟ فقلت: وما ذاك الشرط يا سيدي؟ قال: ألا تتكلم، فقلت: سمعًا وطاعةً[1].

قال: فنهض الشيخ عدي ﷺ وخرج من موضعه وتبعته، ولم يزل سائرًا وأنا خلفه إلى أن وصلنا إلى برية عظيمة، فسرنا قليلاً فمنعني الجوع وأضعفني، فانقطعت عن الشيخ ﷺ فالتفت إلَيَّ وقال لي: يا عمر أراك قد قصرت المشي، قال: فقلت له: يا سيدي قد وقفت من الجوع، والأرض التي كنا فيها كان نبتها جميعه خرنوب من الصحراء أم غيلان، قال: فجعل الشيخ ﷺ يلتقط من ذلك الخرنوب ويضعه في فمي، قال: فآكله فأجده رطبًا، فلما اكتفيت وقويت نفسي سار الشيخ ﷺ، فقلت في نفسي: إن الشيخ كان يطعمني من هذا الخرنوب، قال: فأخذت منه واحدة ووضعتها في فمي، فمرمرت فمي فرميتها من فمي، قال: فالتفت إلَيَّ الشيخ وقال: دبر، فقلت: دبر.

---

(١) انظر: بهجة الأسرار (ص١٢٤) بتحقيقنا.

قال: ثم إننا سرنا كثيرًا، فأشرفنا على قريةٍ وقرب تلك القرية عين ماء، وعندها شجرة وتحت تلك الشجرة شابٌّ أعمى أبرص زمن، فحين رأيت ذلك الشاب ذكرت قول الشيخ ﷺ في بداية الأمر، فقلت في نفسي: إن كان لدعوى الشيخ عدي ﷺ صحة فهو يبرئ هذا الشاب، قال: فالتفت الشيخ ﷺ إلَيَّ وقال لي: يا عمر، أي شيءٍ خطر ببالك؟ قال: فقلت: يا شيخ بحرمة موضع الله تعالى من قلبك، وبحرمة الشيخ عقيل المنبجي والشيخ مسلمة، ألا ما سألت الله تعالى أن يبرئ هذا الشاب؟ فقال لي: يا عمر دعنا لا تهتك سترنا، قال: فقلت له: أقسمت عليك لتفعلنَّ، قال: فنزل الشيخ ﷺ العين فتوضأ وخرج، فاستقبل وصلَّى ركعتين ودعا له، وقال لي: يا عمر إذا رأيتني قد سجدت ودعوت أمن أنت على دعائي، قال: فحيث دعا الشيخ ﷺ أمنت على دعائه، ثم قام الشيخ ﷺ ومرَّ يده المباركة على ذلك الشاب وقال له: قُمْ بإذن الله تعالى، قال: فقام الشاب يعدو كأن لم يكن به ألمٌ، ومشى إلى القرية، وقال لأهل القرية: اجتاز بي الآن رجلان، فمر أحدهما يده عليَّ فبرأت ما كان بي، قال: فانهالوا أهل القرية جميعهم حوالينا وطلبوا نحو العين، فلما رآهم الشيخ عدي ﷺ أجلسني وغطاني بكمه، فجعلوا يطوفون حولنا ولم يروني، فحين رجع الناس إلى القرية قام الشيخ وقمت، وسار الشيخ راجعًا وتبعته قليلاً، وإذا نحن في الزاوية ﷺ[1].

وقال عمر البزار أيضًا: كنت عند الشيخ عدي ﷺ يومًا فجاءه جماعة من الأكراد من الشونزية إلى زيارة الشيخ ﷺ، وكان فيهم رجل اسمه الخطيب حسين، فقال الشيخ ﷺ: يا حسين قم أنت والجماعة حتى ننقل حجارة ونعمل حول هذا البستان حائط، فقال: السمع والطاعة.

قال: فنهض الشيخ ﷺ ونهض الجماعة معه، وصعد الشيخ إلى سفح الجبل، وجعل يقلع أحجارًا ويدحرجها من سفح الجبل، وينذرهم وهم ينقلون إلى موضع يريد الشيخ يعمله، قال: فاتفق من الشيخ قلع حجر وأرسلها من سفح الجبل إليهم، فأصابت رجلٌ من الجماعة، فاختلط اللحم مع العظم، وألصقه الحجر بالأرض، فمات من ساعته، فنادى الخطيب حسين: يا شيخ، مات فلان إلى رحمة الله تعالى، فلما سمع الشيخ ﷺ صوت الخطيب انحدر من سفح الجبل، فأتى إلى ذلك الرجل الذي أماته الحجر، ورفع

---

(١) انظر: خلاصة المفاخر لليافعي (ص١٨٤) بتحقيقنا.

يده نحو السماء ودعا له، فقام الرجل بإذن الله تعالى كأن لم يكن به شيء، رضي الله عنهم.

ورُوي عنه أيضًا ﷺ أنه حضر عنده يومًا الأمير إبراهيم الهمداني صاحب قلعة الجراحية ومعه جماعة من الفقراء الصوفية، وكان الأمير يحب الفقراء، وكان له فيهم حسن ظن، إلا أنه ما كان عنده أحد في مقام الشيخ عدي ﷺ، فحيث حضروا عنده هؤلاء من المتصوفة بالجراحية رحب بهم وأكرمهم، وذكر لهم عن الشيخ عدي ومناقبه، وشيء من كراماته، فقالوا له الصوفية رضي الله عنهم: لا بدَّ أن نحضر هذا الشيخ عدي ونسأله مسائل ونمتحنه بها.

قال: فركب الأمير إبراهيم لوقته وأركب الصوفية معه، وساروا قصدًا إلى أن وصلوا إلى الشيخ عدي ﷺ، وسلموا عليه وجلسوا بين يديه، فتكلَّم الشخص المُشار إليه من الصوفية في كلامه، واعتقد في نفسه أن سكوت الشيخ عجزًا عنه، قال: فعلم الشيخ ﷺ نيته والتفت إلى الجماعة وقد انزعج، وقال لهم: إن الله تعالى قد جعل له عبادًا لو قال أحدهم لهذين الجبلين: التقيا لالتقيا، فنظر الصوفية إلى الجبلين قد التقيا وصار جبلاً واحدًا، ووقعوا على أقدام الشيخ، والشيخ مستغرق في الحال الذي بدا منه، ولم يزال الصوفية كذلك إلى انجلاء الحال عنه، وأشار بيده إلى الجبلين فعادا إلى حالهما، وطابت نفس الشيخ على الصوفية، وتابوا على يده وصاروا من جملة تلامذته، قال: ثم ودعوه وانصرفوا رضي الله عنهم.

ورُوي عن الشيخ رجاء البارستقي قال: كان الشيخ عدي ﷺ في زاويته التي في جامع بارستق، وفي الجامع خلقٌ كثيرٌ من أهل بارستق وغيرها، قال الشيخ ﷺ إلى الحادي، فأنشد وقام الفقراء في السماع وقد شملتهم الطيبة، قال: فنهض الشيخ وكان على باب الزاوية، قال: فدخل الزاوية وشد وسطه، وأخذ عكازه بيده وخرج من الجامع وتبعه الناس.

قال: فلم يزل يسير والناس خلفه إلى أن وصل إلى مقبرةٍ تُعرف برواق بني فضل، وهي مقبرة صغيرة مجاورة بارستق، قال: فوقف على قبرٍ هناك واستقبل القبلة وصلَّى ركعتين، وكشف رأسه وجعل يدعو.

قال: فكشف الناس رؤوسهم وجعلوا يُأمنون على دعائه ساعة، ثم غطى رأسه

وتوجه راجعًا إلى بارستق، وغطوا رؤوسهم وتبعوه، ودخل الجامع وجلس في زاويته، قال: فدخل عليه جماعة من أكابر أصحابه وقالوا له: يا شيخ بالله عليك أخبرنا ما كان سبب خروجك من الجامع والفقراء في السماع وأتيت المقبرة؟ قال: لما كنتم في السماع نظرت فإذا رجل كنت أعرفه وقد مات، وكان من قرية بني فضل، قد دخل إلى الجامع وهو بالوزرة والقرقر يعني الدرع.

قال: فقلت في نفسي: هذا فلان الميت، الساعة يبصرونه الفقراء في هذه الحالة فيوقفون السماع، فحين دخل وتخطى الجماعة وما تغير عليكم شيء فتحققت أنكم ما رأيتموه، قال: فوقف بين يدي وقال لي: يا شيخ قد دفنوا عندنا البارحة رجلٌ يُسمَّى داوود الكردي، ومن ساعة دفن عندنا ما نحن طيبين ولا لنا قرار من العذاب الذي نزل عليه، فإما أن ترسم أن يحولوه عنا، وإما أن تسأل الله تعالى فيه أن يرفع عنه العذاب، قال: فلما قال لي هذا القول فما وسعني إلا أن قمت ومشيت إلى المقبرة، وسألت الله تعالى فيه، ونرجو من الله تعالى أنه قد قبل شفاعتي فيه ﷺ.

وقال الشيخ عمر القبيصي رحمه الله تعالى: خرج الشيخ عدي ﷺ مرة إلى البلد على جاري عادته، قال: وكنت تلك المرة في صحبته، قال: فوصل إلى يقصرى فاجتمع معه خلقٌ كثيرٌ، وما يدور من قريةٍ إلى قريةٍ إلا يتوب الناس ويردهم إلى الله تعالى، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال: كنت في خدمته فوصلنا إلى قريةٍ فبتنا بها وأصبحنا ومشينا منها إلى قريةٍ أخرى، فجاء وقت صلاة العصر - أو قال: الضحى وهو الأصح - قال: فانفرد الشيخ من الجماعة ليجدد له وضوء الصلاة، قال: فمسح على أطرافه وتوجه للقبلة وصلَّى ركعتين شكرًا لله تعالى، فحيث نجز من صلاته رفع رأسه نحو السماء وشخص وتغيرت جميع أوصافه، وصار صوت حلقه وصدره يُسمع من مقدار ميت نشاب، وكنا قد انفردنا معه خمسة رجال نتولى خدمته، قال: فحيث عاينا منه ذلك الأمر سترناه عن أعين الناس ودرنا حوله، قال: فصار يقول: كفانا فبان ويكررها وكلما كرره ينفصل الثوب الذي عليه ويسقط إلى الأرض قطعًا قطعًا، لكن لا نقدر أن ندنو منه؛ لأنه قد تغيرت أوصافه جميعها، ولم يبقَ فيه حركة من حركات البشرية إلا كومة نور نراه يتلألأ، ولم يزل كذلك مقدار ساعتين من النهار، قال: فلما تناهى ما كان عليه جعل يقول: إن كان دون عيسى ابن مريم عليه السلام فلا.

قال: ثم انكشف ذلك الحال عنه وعاد إلى صفته البشرية، قال: فألبسه بعض تلامذته وما كان معه مدخرًا بمثل هذه الأوقات، قال: فالتفت الشيخ ﷺ إلينا وقال: هل كان في شطحنا شيء؟ قال: فقلنا له: ما جرى إلا الخير، قال: فسكت، وتوجهنا في سفرنا ﷺ.

وقال الشيخ إسماعيل القوني رحمه الله تعالى: خرجت أنا وجماعة من القونية إلى زيارة الشيخ عدي ﷺ، قال: فلما وصلنا إلى الشيخ عدي ﷺ سلمنا عليه وجلسنا بين يديه، فتحاور الجماعة في كرامات الأولياء رضي الله عنهم ودرجاتهم، قال: فالتفت الشيخ عدي ﷺ إلينا وقال: كل شيخٍ لا يعلم مريده كيف يتقلب في الليل ما هو بشيخٍ، ولو كان المريد في مشرق الأرض أو مغربها.

قال الشيخ إسماعيل: فقلت في نفسي: إن هذا الأمر صعب، أنا أجامع زوجتي والشيخ عدي ينظر إلَيَّ ما هذا إلا حال صعب، قال: فلما رجعت إلى بيتي هجرت زوجتي مقدار شهر كامل، قال: فعلم الشيخ ﷺ بما أنا عليه، فاتفق أنه حضر عنده جماعة يزورونه من بعض القرى المجاورة، قال: فلما هموا بالرجوع قال لهم الشيخ ﷺ: إذا وصلتم إلى منازلكم يتوجه واحد منكم إلى القونية، يقول لإسماعيل: يجئ إلى عندي، قال: فحين أدى الجماعة رسالة الشيخ إلَيَّ، قمت من وقتي وساعتي وقصدت زيارة الشيخ، قال: فحين وصلت إليه وسلمت عليه زجرني وغضب عليَّ وانتهرني، وقال لي: يا إسماعيل إن الشيخ يبصر مريده على حلالٍ أو على حرامٍ، ثم قال لي: لا تعودوا إلى مثلها، فقابلت أمره بالسمع والطاعة، وانصرفت عنه راجعًا ﷺ.

ورُوي ﷺ أنه كان يومًا جالسًا في زاويته على الفراش الذي كان يجلس عليها وعنده جماعة من أصحابه، فقال له رجلٌ من الجماعة: يا سيدي حضرت عند الشيخ فلان، وأشار إلى رجلٍ من أرباب الطبقات، فقال: يا فقير، من تلامذة من أنت من المشايخ؟ فقلت له: من تلامذة الشيخ عدي ﷺ، فقال ذلك الشيخ: يا ولدي كنا في الدركات فما رأيناه هناك، فقال الشيخ عدي ﷺ: صدق ذلك الشيخ، لما كان في الدركات كان شيخك داخل الدار في المخدع ﷺ.

وقال الشيخ لرجلٍ آخر من أصحابه قال: يا سيدي، وأنا كنت عند الشيخ فلان فوجدته يتوب الناس لنفسه، فقال له الشيخ عدي ﷺ: يا ولدي ذلك غرر الناس ما هو

مسلم، ثم التفت الشيخ عدي ﷺ إلى الجماعة وقال: كل مشيخةٍ لا تكون بمنشور من الله تعالى ليست مشيخة ﷺ.

أخبرنا الشيخ حسن الخضري البرطلاني رحمه الله تعالى قال: خرجت يومًا من قرية برطلة قاصدًا إلى زيارة الشيخ عدي بن مسافر ﷺ، قال: فحين وصلت إلى قرب الزاوية رأيت الشيخ بظاهر الزاوية، قال: فلما رآني ورأيته كشفت رأسي وسلمت عليه وقبلت الأرض، فناداني الشيخ: موضعك يا حسن، قال: فوقفت ساعة، ثم ناداني وقال: يا حسن إن الله تبارك وتعالى قد أعطاني من الجبل إلى الجبل، يعني من قاف إلى قاف، وقد دعوت الله تبارك وتعالى أن يعوضني عن اليهود والنصارى الذين هم في ولايتي عن كل ذكرٍ وأنثى مؤمنين ومؤمنات من التوحيد، وإلى الآن ما جاءني جواب.

قال: فقلت: الحمد لله والشكر، وامتلأت فرحًا وسرورًا، ومكثت قائمًا في الموضع الذي أشار إلَيَّ الشيخ أن أقف فيه، والشيخ ﷺ مستغرق بما هو مع الله تعالى، ثم التفت إلَيَّ بعد ساعة وقال: تعالَ يا حسن، قال: فمشيت إلى أن وصلت إلى بين يديه وقبَّلت يده الكريمة، وبت عنده تلك الليلة، فلما أصبحنا أجلسني بين يديه وناولني صحفة صغير فيها كبد مجففة مدقوقة، وهي من قوت الشيخ ﷺ وفيها قصة، وقال لي: خُذْ هذه الصحفة وامضِ بها إلى السلطان صاحب بلد الروم إلى المدينة الفلانية، وقال لي: إن بقرب المدينة نشر عالٍ فإذا جئت النشر فاصعد عليه، فإذا رأيت السلطان وموكبه قد خرج من باب المدينة ارفع يدك مع الصحفة، فإن كان عند السلطان شيء فهو يفهمك، قال: فقلت له: يا سيدي سلطان الروم عظيم وأنَّى لي بالوصول إليه؟ قال: فانتهرني وقال لي: اذهب فيما أمرتك فيه، قال: فقبَّلت يده الكريمة وتوجَّهت قبل الروم.

ومشيت قليلاً وإذا أنا بمدينةٍ عظيمةٍ وأنا عند النشر العالي عن الأرض، قال: فصعدت النشر وإذا بالسلطان قد خرج في موكبٍ عظيمٍ، فحققت أنه السلطان، قال: فرفعت يدي مع الصحفة، قال: فلما رآني نزل عن فرسه وقال: عليَّ بهذا الفقير الذي على النشر، قال: فأتاني رجال ثم أتوا بي إليه، فلما وصلت إليه تلقاني وسلمت عليه، فقبَّل يدي ورحَّب بي، وقال لي: أنت الذي أرسلك الشيخ عدي إلَيَّ؟ قال: فقلت: نعم، قال: ثم رجع إلى داره التي هي ملكه وأخذ بيدي وسار معي رَجِلاً، قال: فحيث نظر العسكر وأصحابه ما قد بدا منه من الأدب ترجلوا جميعًا، ودخل بي إليها وأخلى

موضعًا، وانفردت في ذلك الموضع، وبت عنده تلك الليلة، وكان يسألني عن الشيخ عدي وأحواله وكراماته ﷺ.

وكان كلما كنت أذكر من كرامات الشيخ شيئًا يدير وجهه نحو زاويته ثم يقبّل الأرض، قال: فلما أصبحنا ودَّعته، وسرت قليلاً وإذا أنا على باب زاوية الشيخ وعندي أثرٌ من كلام الشيخ ﷺ في قوله: إني سألت الله تعالى أن يعوضني عن كل نصراني ونصرانية ويهودي ويهودية مؤمنين موحدين، فمن في ولايتي، فقلت في نفسي: هذا أمرٌ عظيمٌ.

قال: فحيث وصلت إليه ووقع نظري عليه فقبلت الأرض بين يديه وسلمت عليه، فقال لي: وعليك السلام يا حسن، قف موضعك، قال: فوقفت، فقال لي: يا حسن قد جاءني الجواب بالعوض إذا كان يوم القيامة عن كل يهودي ويهودية ونصراني ونصرانية مؤمنين ومؤمنات من أهل التوحيد يجعلهم الله تعالى يوم القيامة من تلامذتي ويدخلهم الجنة في زمرتي، وبراءة لي ولتلامذتي ومحبي وأتباعي من النار، وأخرج من تحت سجادته ورقة خضراء مكتوب فيها بالنور الأصفر، قال: فناولني إيَّاها وقال لي: اقرأها يا حسن حتى اسمع، قال: ففتحتها فإذا ذلك النور يخطف بصري، قال: فمكثت ساعة ما أستطيع النظر فيها، قال: فتأمَّلتها وقرأتها وإذا فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذه براءةٌ مني لعبدي ووليي عدي بن مسافر ولتلامذته ومحبيه وأتباعه من النار وما شاء الله تعالى أن يكون فقد كان ويكون، وما شاء الله ألا يكون فما كان ولا يكون، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يا عدي وعلى تلامذتك ومحبيك وأتباعك.

قال: ثم أخذها من يدي وطواها ثم ودعته وانصرفت ﷺ.

ورُوي عنه ﷺ أنه قال: على كل نبيّ ولي لله، وها هنا رجل رأسه في الدرجات العُلى تحت قدم رسول الله ﷺ، قال: فقام رجلٌ من أصحابه وقال له: ياسيدي سمعنا أن لله تعالى أولياء يمشون إلى مكة في ليلةٍ واحدةٍ ويعودون، فقال له الشيخ ﷺ: نعم ولكن أولئك يُسموهم المكاريه؛ لأنهم يقصدون ويعودون، هنا يا بني رجلٌ تجيء مكة زادها الله شرفًا إلى زيارته، قال السائل: ثم نظرنا وإذا الكعبة المشرفة واقفة في الهواء وتسلم عليه ﷺ.

وقال عمر القبيصي رحمه الله تعالى: سمعت الشيخ عدي ﷺ يقول: خلوا لي مريدين إلى يوم القيامة وأنا الضمين ﷺ.

وعنه أيضًا قال: سمعت الشيخ عدي ﷺ يقول يومًا وقد وقف على ساقية طاحونة: شرب الحلاج ﷺ من المحبة حبة فسكر وعربد فقتل، وهنا رجل مأدبته من الله تعالى مثل هذا الماء الذي ينزل إلى هذه الطاحونة، لكن هذا الماء يظهر من هذه الطاحونة وذاك الرجل ما يظهر من حاله شيئًا.

وعنه أيضًا قال: كنت يومًا عند الشيخ عدي ﷺ وعنده جماعة من فلاحي البلد، فقال فلاح لصاحبه: يا فلان إذا نزل عليك منكر ونكير عليهما السلام ما تقول لهما؟ قال الفلاح: أقول لهما: إني عند الشيخ عدي، قال: فطاب الشيخ وقال: صدق فلان ﷺ.

وقال البارستقي رحمه الله تعالى: خرج الشيخ عدي ﷺ يومًا من زاويته ومشى نحو مزرعة تُعرف بالزيبرية بقرب كالش وأنا أتابعه، فمرَّ بجنان تلك المزرعة فالتفت إلَيَّ وقال لي: يا رجل ما تسمع صاحب ذاك القبر يستغيث بي، وأشار بيده المباركة إلى قبرٍ، قال: فنظرت وإذا بدخانٍ ساطع قد خرج من ذلك القبر.

قال: ثم مشى حتى وقف على القبر الذي ظهر منه الدخان، ووقف وما زال يسأل الله تعالى فيه حتى رأيت الدخان قد انقطع، قال: ثم التفت إلَيَّ وقال وأنا معه: يا رجل قد غُفر لهذا وارتفع العذاب عنه، ثم دنا الشيخ ﷺ من القبر ونادى باسم صاحبه، وكان اسمه حسن من قرية بني الأعراب، وناداه: يا حسن خوشا خوشا؟ يعني موضعك طيب، قال: نعم طيب، وارتفع العذاب. قال الراوي رحمه الله تعالى: فسمعته وهو يقول: نعم نعم، قال: ثم رجعنا الزاوية ﷺ.

وقال عمر القبيصي رحمه الله تعالى: خرج الشيخ عدي ﷺ مرة يدور في البلد، فعبر الشط وقال: بلد الفرج والبقعة جميعه وأنا في صحبته مع جملة الناس، ثم عاد راجعًا طالب الزاوية قال: وكان معه جماعة من أكابر أصحابه من أهل الموصل، فسألوه أن يترك المدينة ليعود من بركته على أهلها، فأجابهم إلى ذلك، ورجع الناس معه طالبين الموصل إلى أن وصل إلى دير الأعلى الذي على شرق المعرقة، قال: فنزل به وانقلب أهل الموصل إليه يهرعون بحيث بطل البيع والشراء من الأسواق، ولم يبقَ في المدينة لا رفيع ولا وضيع إلا وقصد إلى الشيخ عدي ﷺ.

قال: وكان في الموصل رجل يُقال له: يونس، وكان من أكابر العلماء بها رضي الله عنهم، قال: فحين عاين إقبال الناس عليه ﷺ أخذه الحسد فركب هو والقاضي ابن الشهرزوري، وقال: لا بدَّ أن أمضي إلى عند هذا الشيخ الكردي، وأنظر إيش عنده وأمتحنه بين الخلق حتى ينتهك، قال: فحيث خرجا من باب الموصل قال القاضي ليونس: أنا زائرٌ ما أنا ممتحنٌ، فقال يونس: ما أنا زائر إنما أنا ممتحن، ولا بدَّ أن أوقف هذا الشيخ من أهل الموصل وأفضحه.

قال: فلما وصلا إلى الشيخ عدي ﷺ أقبل الشيخ على القاضي ولم يقبل على يونس، وجلسا بين يده وتحدث الشيخ والقاضي ساعة غير أن الشيخ التفت إلى يونس وقال له: مسلم فقيه أنت أم مؤمن؟ فقال يونس: مؤمن موحد، فقال له الشيخ ﷺ: ما علامة التوحيد مع الإيمان؟ قال: فسكت ولم يجب الشيخ بشيءٍ، قال: فأعرض ﷺ عن الرجل فقام وهو لا يعقل، قال: فقام القاضي وقبَّل يد الشيخ وخرج وتوجَّه القاضي ويونس إلى المدينة.

فقال القاضي ليونس: أنت كنت ممتحن والشيخ سألك لِمَ لَمْ تجب عنها؟ فقال: ما قدرت على الجواب، قال القاضي: لِمَ ذلك؟ قال: رأيت عن يمينه أسدًا قائمًا وعن شماله كذلك، وكل منهما قد فتح فاه، وكلما هممت أن أتكلم يهم بي الأسدان أن يأكلاني، فقال القاضي رحمه الله تعالى: هذا وليُّ الله تعالى، لا يجوز لأحدٍ أن يعترض عليه ﷺ.

وقال: وجاء في ذلك اليوم رجلٌ من أهل الموصل، كان قد قدم في جملة الناس إلى زيارة الشيخ ﷺ، قال: فلما وصل إلى عند الشيخ وهمَّ أن يقبل يده جذب الشيخ ﷺ يده ومنعه من ذلك، قال: فعظم ذلك على الرجل ووقف الناس فيه يلومون، قال: فمضى الرجل وتنكر، وأتى في غلبات الناس متخفيًا وهمَّ على تقبيل يد الشيخ، فجذب يده ثانية منه ومنعه، قال: ثم تذكر الرجل أنه جُنب، قال: فنزل إلى الشط واغتسل وعاد، قال: فحين وصل إلى عند الشيخ ﷺ مدَّ يده إليه فقبلها.

قال: فسأله الناس عن حاله، فقال لهم: خرجت من بيتي لأمضي إلى الحمام فوقع خبر مجيء الشيخ ﷺ فنسيت الحمام وخرجت في جملة الناس، فلما منعني الشيخ ﷺ من تقبيل يده ذكرت أني جُنب فنزلت إلى الشط واغتسلت، وعُدت إلى زيارته فأعطاني

يده الكريمة فقبَّلتها، قال: فعجب الناس من ذلك ﷺ.

وقال أيضًا: في ذلك اليوم أتت امرأة في جملة النساء ليقبلنَّ كُمه، وكانت النساء إذا أتين إليه أدخل يده المباركة إلى كُمه فيقبلن كُمه من وراء ظهره، فيقبلنه ويتبركن به، قال: فلما عزمت هذه المرأة على تقبيل كُمه منعها من التقبيل، فلامها الناس في ذلك وسألوها عن سبب ذلك، فقالت: إن صناعتها نائحة، فقال لها الناس: إن كنت تتوبين بعد هذا يعطيكي الشيخ يده في كُمه، قال: فتابت وجاءت وقد أخلصت التوبة فأعطاها الشيخ ﷺ يده فقبلتها وتوَّبها وانصرفت ﷺ.

وقال الشيخ محمد بن رستا رحمه الله تعالى: كنت في صحبة الشيخ عدي ﷺ لما توجه يجيب زوجة الشيخ أبي البركات، قال: فمررنا بأرضٍ كثيرة الشوك، قال: فقلت في نفسي: الناس منهم ركبانًا والمترجلين منهم في أرجلهم نعال يمنع الشوك أن يؤذيهم، وهذا الشيخ عدي ﷺ يمشي حافيًا راجلاً، فعظم ذلك عليَّ بحيث أنني كنت بكيت من أجله، قال: فكشف الله تعالى عن بصيرتي فرأيت الشيخ ﷺ على عجلةٍ من نورٍ مرتفع عن الأرض قدر سبعة أذرع ﷺ.

وقال الشيخ محمد ﷺ أنه خرج يومًا من زاويته منحدرًا إلى الموصل، وكان في صحبته جماعة فقراء من أصحابه، فلما وصل إلى مقابلة قصر الحديد وقف على الدرب ووقف الناس، ثم التفت إلى جبانة قصر حديد وقال: السلام عليك يا محمد بن بتينة، ووقف والتفت إلى أصحابه وقال: قد ردَّ عليَّ السلام، لكنه قال: ما يرضى حتى نمشي إلى عنده، قال: وكان بين الدرب وبين المقبرة شوكٌ عظيمٌ، والشيخ ما كان يمشي في سفرٍ إلا حافيًا ﷺ، قال: فمرَّ الشيخ ﷺ إلى الجبانة ومشى في ذلك الشوك، قال: فعظم على أصحابه ذلك الأمر، قال: فكشف الله تعالى عن بصيرة أحدهم فرأى الشيخ ﷺ يمشي في الهواء وبينه وبين الأرض سبعة أذرع.

ولم يزل ﷺ يسير حتى وقف على قبر محمد بن بتينة رحمة الله تعالى عليه ساعة، ثم انحدر إلى قريةٍ وبات بها، ودخل على أولاد من الشرفاء ودعا لهم بالبركة والكثرة فكثرت ونمت معايشهم وكثرت أموالهم، وتوجهوا في البلاد للتجارة مع حسن سيرتهم وإصلاح سريرتهم، وهم كذلك إلى الآن ﷺ.

وقال الشيخ إسحاق السردويلي عن أحمد الكردي من مدينة سردويل ومع جماعة

طالبين الجهاد في الإفرنج، خذلهم الله تعالى لما شاع خبرهم أنهم قد استولوا على بلاد الشام من نحو مدينة طرابلس ونحن قاصدين الغزو في سبيل الله تعالى قال:

فلما وصلنا إلى الشام وخرج مع سلطان الشام عسكرٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ، وفي جملة الجيش رجال كثيرون طالبون الغزو في سبيل الله تعالى، قال: فتقابل الجيشان ودارت رحى الحرب بينهم وانهزم المسلمون، ولحق الإفرنج خذلهم الله تعالى الرجالة، فأخذوا منهم أسارى ما أخذوا وأدخلوهم طرابلس، وكنت ممن أُسر من المسلمين.

قال: فرجع جيش الإسلام عليهم فهزموا العدو المخذول، وأثخنوا فيهم القتل، وما سلم منه إلا شرذمة قليلة، ثم دخلوا طرابلس ورجع جيش المسلمين غانمين منصورين.

قال: ثم إن الفرنج لعنهم الله تعالى قسموا أسارى المسلمين، فوقعت أنا وجماعة في قسم واحد من أكابرهم وكنا أربعين، وكان الكفرة كل يومٍ يستعملونا من بكرة النهار إلى غروب الشمس، ثم ينزلونا جميعًا إلى جُبٍّ عميقٍ طوله ثلاثون ذراعًا ونحن مقيدين، ويضعون على رأس الجُب حجر عظيم، وعلى الجُب كل ليلةٍ عشرة من رجال الحرس، وكنا جماعة من بلدي، وجماعة من بلد إربل، وجماعة من بلد الموصل، وكل أناس من بلدٍ، وكان قد صار كل قومٍ يألفون بأهل بلدهم ويتحادثون.

قال الشيخ لاحق رحمه الله تعالى: فكنت وأصحابي، فألفت جماعة بلد الموصل وبلد إربل فنتحدث فقلت لهم ليلةً: ألا أخبركم بشيءٍ كنت قد سمعته من الشيخ عدي ﷺ؟ قالوا: بلى، قال: سمعته يقول: إذا كنتم في شدةٍ فقولوا: يا عدي بن مسافر.

فإن الشدة تذهب عنكم، قال: فقال الجماعة: يا أبا إسحاق، دونك والاستغاثة بالشيخ عدي، قال: فجعلت كلما قلت شيء أو قمت أو قعدت أو فعلت شيئًا أقول: يا عدي بن مسافر، قال: وأكثرت من القول، وجعلت أكرر القول مقدار عشر ليال، وبقيت ثابتًا متيقنًا أن الشيخ عدي ﷺ ما يتوانى عنا.

قال: ثم اتفق في بعض الأيام وكان يوم الخميس أن أخرجونا من الجُب يسوقونا إلى العمل، فوقعت على الأرض وقلت للوكيل الذي علينا: سألتك بحق ما تعتقده من دينك ألا ما مكنتني حتى أصلِّي الصبح؟ قال: فضربني بالمنجل الذي كان معه ضربًا موجعًا، فرفعت طرفي نحو السماء وقلت بقلبٍ مكسورٍ: اللَّهُمَّ بحرمة الشيخ عدي فرّج

عنا، قال: ولم أزل ذلك اليوم جميعه أعمل بالزنبيل وأنا أقول: يا عدي بن مسافرأنقذنا.

قال: وكان في جملة الأسرى رجل من أهل البدعة فزجرني وقال لي: ما تزال تذكر الشيخ عدي حتى يقتلوك، قال: قلت: أنا بيقين وكبدي يحدثني أن الشيخ عدي يخلصني من هذا السجن، قال: فرفع ذلك المبتدع يده ولكمني لكمة قوية فأوجعني، قال: فشكوت من تلك اللكمة وسكتُّ عنه، قال: فلما انقضى النهار أنزلونا إلى الجُب فقمت وتوضأت وقضيت ما كان عليَّ من الصلاة منكسر القلب، متوجعًا من ضرب الوكيل أول النهار، ومن لكمة المبتدع آخر النهار، ولم أزل مفكرًا ساعة زمانية، ثم قمت وصليت صلاة العشاء، فأخذني البكاء والنحيب وجعلت أصيح بأعلى صوتي: يا عدي أنت قلت إذا كنتم في شدةٍ فقولوا: يا عدي بن مسافر، فإن الشدة تذهب عنكم، ونحن في شدةٍ قد استغثنا بك، ودخلنا عليك، قال: فبينما أنا على ذلك الحال إذ قام ذلك الرجل المبتدع ثم رفسني وضربني وسبَّني وسبَّ الشيخ عدي ﵁، قال: فسكتُّ ووضعت رأسي ورقدت.

قال: فأنا كذلك بين النائم واليقظان وإذا بصوتٍ من رأس الجُب يقول لي: يا أبا إسحاق، قال: فاستيقظت وقمت قائمًا من النوم، وقلت له: من أنت؟ فقال لي: شيخك عدي بن مسافر، مذْ يدك وامسك في العكاز، قال: فمددت يدي فوقعت على العكاز، قال: فمسكتها بيدي وقلت له: يا سيدي أنا وحدي، قال: بل أنت وثمانية وثلاثون رجلاً ما خلا المبتدع، فأتركه مكانه، وتمسكوا أنتم بعضكم ببعضٍ، قال: فقلت لأصحابي: فقوموا فهذا الشيخ عدي ﵁ قد جاء يخرجنا من هذا الجُب، قال: ففرحوا جميعهم بذلك ما خلا المبتدع، فإنه ما قام ولا تحرك من مكانه إلا صار مستهزئًا بنا.

قال: فقمنا نحن تسعة وثلاثون رجلاً ثم تعلق بعضنا بالعكاز وبعضنا تعلق ببعضٍ، قال: فجذبنا الشيخ ﵁ جذبة واحدة وإذا نحن جميعًا على رأس الجُب قيامًا، فقال لنا ﵁: لا تتكلمون، ثم مشى أمامنا وتبعناه فلم يزل كذلك حتى خرجنا من المدينة، وأجلسنا على ساحل البحر وقام فكسر القيود بيده من أرجلنا هناك، ثم قال لنا: قوموا سيروا خلفي بارك الله فيكم، قال: فسار الشيخ وتبعناه ساعة من الليل ﵁.

قال: فقلنا: يا شيخ قد متنا من الجوع، فقال ﵁: قريب منا طاحونة الإفرنج، الساعة نصل إليها إن شاء الله تعالى ونترصد بالطحان، ونأخذ لكم شيئًا تأكلون، قال: فسرنا

قليلاً فأشرفنا على الطاحونة، قال: فجاء الشيخ ﷺ إلى باب الطاحونة ودفع الباب بيده الكريمة وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فانفتح الباب بإذن الله تعالى، ودخلنا إلى الطاحونة وفيها الطحَّان وعنده دقيقٌ، فقتلناه وأخذنا الدقيق وتقاسمناه، وجعلنا نأكل منه ونحن سائرون خلف الشيخ ﷺ.

قال: فما انقضى لنا ساعة حتى وصلنا حام وسرنا ساعة أخرى، وإذا قد لاح لنا مشعل فقال لنا الشيخ ﷺ: مشعل حلب، ثم سرنا ساعة أخرى وإذا نحن بالفرات، فقال لنا: هذه الفرات، فخطاها خطوة واحدة وخطونا خلفه على أثره، ثم سار ونحن خلفه نسير بسيره، وإذا نحن بين بساتين مع أنهار وأشجار عظيمة، قال: فالتفت إلينا وقال لنا: اعلموا أنكم الساعة بنصيبين، ودخل بنا إلى المدينة وتركنا في مسجدٍ وقال لنا: اقعدوا ها هنا فإذا جاء مؤذن هذا المسجد وأذن كبروا أنتم، فإذا وصل وسلم عليكم وقال: أنتم الذي جاء بكم الشيخ عدي؟ فقولوا: نعم، وأي شيءٍ أشار به عليكم لا تخالفوه، قال: فقلنا له: السمع والطاعة، وانصرف ﷺ وبقينا نحن قعودًا، ونحن لا نصدق بما نحن فيه.

قال: فبينما نحن كذلك وإذا نحن بالمؤذن يذكر ثم أذن ونزل ودخل المسجد وسلم علينا، وقال لنا: أنتم الذي جاء بكم الشيخ عدي؟ قال: فقلنا: نعم، قال: ثم قصصنا عليه القصة، وقمنا وتوضأنا وصلينا الصبح مع الجماعة، فحين سلمنا قام المؤذن وصافحنا وقال لنا: اقعدوا على رسلكم، وخرج ساعة ثم عاد ومعه جماعة معهم خبز كثير، فوضعوه بين أيدينا فأكلنا واكتفينا، ثم أعطى كل واحدٍ منا قميصًا وسراويل ومئزرًا وقال: تسافرون؟ فقلنا له: نعم، ثم ودعنا وخرجنا إلى ظاهر مدينة نصيبين، وركب كل واحدٍ منا طريق هواه، وقصد كل واحدٍ منا من الجماعة التي كانوا معي إلى وطنه.

قال: فقلت للجماعة الذين كانوا يأنسون بي ويجالسوني في الجُب: إن رأيتم أن توافقوني حتى نقصد زيارة الشيخ عدي ﷺ، قال: فأجابني ذلك ثلاثة من الجماعة، وسرنا قاصدين زيارة الشيخ عدي ﷺ، قال: فسرنا خمسة أيام حتى صرنا في سفح الجبل الذي بقرب زاويته ﷺ، فأبصرنا بعين البصيرة، وكان عنده جماعة من أصحابه وهو يشرح لهم في حال الأولياء رضي الله عنهم، وإشارات العارفين رضي الله عنهم، قال: فقطع كلامه وقال: الساعة يصل إلينا أربعة نفرٍ من الفقراء، وكأنهم قد أكلوا من

الجبل، من هذا الحشيش الذي يُسمَّي الخَردل، وكأنه قد صعد في رؤوسهم وهم يخلطون في كلامهم، لا تسمعون ما يقولون، وقصده بذلك ستر حاله ﷺ.

قال الشيخ لاحق رحمه الله تعالى: فحين أقبلنا على زاويته كشفنا رؤوسنا ودخلنا الزاوية وقد علانا البكاء، وقد ارتجَّ الجبل والوادي من أصواتنا، وجعلنا نقبل أقدام الشيخ، ونقول له: جزاك الله عنا خيرًا يا شيخ كما أخرجتنا من الجُب، ومن الأسر خلصتنا، وأوصلتنا في ليلةٍ واحدةٍ من طرابلس إلى نصيبين.

قال: فالتفت الشيخ ﷺ إلى الجماعة الذين كانوا حاضرين عنده وقال لهم: ما قلت لكم قد أكلوا من حشيش الخردل، وخلطوا في الكلام، قال: ثم جلسنا بين يديه ﷺ ساعةً، فلما خلا المكان حضرنا بين يدي الشيخ ﷺ فقال لنا: يا إسحاق لا تعودوا تحدثوا لأحدٍ إلا بعد موتي ﷺ، ثم ودعناه وانصرفنا ﷺ.

قال: أخبرنا الشيخ لاحق رحمه الله تعالى قال: كنت يومًا عند الشيخ عدي ﷺ بزاويته إذ أشرف علينا ثلاثة نفر من الأجناد من نحو المقبرة العتيقة، فحيث وقع نظر الشيخ عليهم ووقع نظرهم على زاوية الشيخ ﷺ وقفت خيولهم من تحتهم، فصاروا يضربون الخيل ويهمزونها بالمهاميز، والخيل ترجع بهم إلى الخلف، وكان الشيخ ﷺ حينئذٍ خارج الزاوية عند العين البيضاء.

قال: فالتفت الشيخ ﷺ وأشار بيده المباركة: أن تعالوا، قال: فحيث أشار إليهم بالمجيء مشت الخيل، قال: فقام الشيخ ﷺ ومشى إلى أن وصل إلى العين البيضاء، وجلس وقمنا نحن بين يديه، قال: فوصل الأجناد ونزلوا عن الخيل، وسلموا على الشيخ ﷺ وقبلوا يديه وجلسوا بين يديه.

قال: فالتفت الشيخ إليهم وقال لهم: أنتم تعتقدون أنكم وأمراءكم وأنتم بخيلكم وسيوفكم هذه أنكم تملكون البلاد وأصحابها؟ فقالوا: نعم يا شيخ. فقال لهم ﷺ: هل في سلاطينكم وأمراءكم من يقول لهذا الماء أن ترجع ويجري إلى فوقه ينعكس ويجري قهقري؟

فقالوا: لا يا شيخ، ومن يقدر على ذلك؟

فقال الشيخ ﷺ: معنا رجلٌ يقول لهذا الماء أن يجري إلى فوق يجري، ويرجع يجري إلى خلف، قال لاحق: والله ما تَمَّ الشيخ كلامه حتى رأينا الماء وقد رجع

منعكسًا على حدرته، وينصب في العين الذي يخرج منها، قال: فتعجب من ذلك أولئك القوم ثم وقعوا على الأرض يقبلون أقدام الشيخ.

قال: ثم إن الشيخ ﷺ أشار بيده إلى الماء أن يرجع إلى عادته منحدرًا، فعاد ثم رجع كما كان، ثم تابوا على يده وودعوه وانصرفوا ﷺ.

ثم قال الشيخ لاحق رحمه الله تعالى: خرجنا مع الشيخ عدي ﷺ من زاويته يدور في البلد على جاري عادته، ونحن جماعة من الفقراء في خدمته، قال: فوصلنا قرية دير سابا، قال: فبتنا بها وأصبحنا ومشينا طالبين قرية برطلة. وما تعرف إلا ببلد التي ألقى عندها يونس بن متى عليه السلام من بطن الحوت، وفي صحبة الشيخ ﷺ حينئذٍ مقدار مائتي رجل وما ينيف عنها.

قال: فلما وصلنا إلى المضيق المعروف بين دير سابا وبلد المضيق بأرضٍ تُعرف برزدايا قال: فأنشد بعض الفقراء رضي الله عنهم، وطاب الشيخ ﷺ وأعلن بالذِّكر في وسط المضيق، وكان الشط في زيادة من مائه، والمضيق لا يحتمل من يمشي فيه أكثر من رجلٍ واحدٍ، فحين أعلن الشيخ ﷺ بالذكر اجتمع حوله الفقراء والجمع كلهم، قال: فلم نرَ المضيق الذي كنا فيه، قال: فلما سكت الشيخ ﷺ وانجلى الحال عنه نظرنا وإذا بالمضيق قد عاد كما كان مضيقًا، وما عاد يسع أكثر من واحدٍ، قال: فسرنا حتى خرجنا منه جميعًا ﷺ.

ثم قال الشيخ لاحق رحمه الله تعالى: كنا يومًا عند الشيخ عدي ﷺ بزاويته وهو يحادثنا، فالتفت إلى جهة المغرب وقال: إلينا إلينا، ثم عاد إلى حديثه ساعة وقال ثانية: إلينا إلينا، فقال له بعض أصحابه: يا شيخ بالله عليك، ألا ما أخبرتنا ما معنى قولك: إلينا إلينا؟ فقال الشيخ ﷺ: إن في هذه الساعة من القسطنطينية من قد هداه الله تعالى واختاره نجيبًا، وقد تشهد وخرج طالبًا إلى من يرشده إلى شريعة الإسلام، وقد اجتمعوا عليه على أن يردوه وما قدروا على رده، وقد استدعيته إلى عندي، وأرجو من الله تعالى أن يصل إلى عندي عاجلاً.

قال: فأقمنا عند الشيخ ﷺ ذلك اليوم واليوم الثاني، فلما كان اليوم الثالث وقت صلاة العصر التفت الشيخ ﷺ إلينا وقال لنا: قوموا لاحقوا أخوكم الذي هداه الله تعالى في قسطنطينية، قال: فخرجنا إلى ظاهر الزاوية وإذا نحن برجلٍ قد انحدر من الجبل

وعليه لباس الرهبان، فدخل إلى الشيخ ﷺ وأسلم على يده، واختتنه الشيخ وبرئ من وقته، وقال له الشيخ: ما اسمك؟ فقال: عبد المسيح، فسمَّاه الشيخ ﷺ عبد الله.

وأقام عند الشيخ ﷺ وعلمه حدود الصلاة وأركانها، وشرائع الإسلام وحدوده، وحفَّظه شيئًا من القرآن العظيم، وعاد رجلاً مؤمنًا من الصالحين، فقال له الشيخ ﷺ:

يا عبد الله! إقطاعك في بلاد العجم.

ثم إن الشيخ ﷺ وكّله في بلاده وتوجه الرجل إلى بلاد العجم، وهو أول من أرسله الشيخ ﷺ في بلاد العجم، وبنى الزوايا باسم الشيخ رضي الله عنهما، وتلمَّذ له خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ ﷺ.

ثم قال الشيخ حسن الخضري البرطلاني ﷺ: خرجت من قرية برطلة إلى بعض الطرق قاصدًا زيارة الشيخ عدي بن مسافر ﷺ، فقال لي: إن الصفات من التنزيه والتقديس والإجلال والتعظيم، وإلى سائر أسمائه وصفاته ما علم منها وما لم يعلم، فتصدق بذلك تصديقًا جزمًا، وتقطع به قطعًا حتمًا، فيكون من المؤمنين المصدقين.

ثم بعد ذلك يقع النظر في المخلوقات والاعتبار بالمصنوعات، فيشاهد العلم ما صدق به القلب، ويقوى تصديق القلب بمشاهدة العقل، فيزداد الإيمان، وتعظم المعرفة بحصوله، وأول ما ينظر العاقل في نفسه وتركيب أعضائه، وما فيه من الصنع البديع، والتركيب المحكم المتقن العجيب، وهو يعلم بالضرورة أنه وُجد بعد أن ثم موجود، وأن جميع المخلوقات مثله، وأنها كلها متغيرة الصفات بالحركات والسكنات، وغير ذلك مما يجري عليها من الأمور الطارئات.

وذلك ينفي عنها الاتِّصاف بالقدم، ويقضي عليها بالحدوث بعد العدم، فيعلم بذلك أن لها صانعًا على مصنوعه، والفاعل على مفعوله، ولأن لم يجد في الشاهد كتابة ولا بناء محكمًا إلا وله بان فرق ذلك، على أن كل موجودٍ لاستحالة إيجاد الشيء لنفسه لعدم علمه بنفسه قبل وجوده، وامتناع سبق وجوده لوجوده، فيعلم بالضرورة أن محدثه غيره وهو الله تعالى؛ لأن الحي العاقل لا يقدر على إحداث تصوير إنسان من ماءٍ، ولا إخراج فاكهته من عودٍ، فالحي غير العاقل أعجز عن ذلك، وما ليس له حياة ولا عقل أعجز وأعجز وقد قام.

والبرهان العقلي والدليل القطعي أن جميع الممكنات محدثة بإحداث الله تعالى،

موجودة بإيجاده، قائمة به، فائضة عن فضله وعدمه.

وأما الدليل: السمع للاستدلال بأخبار الأنبياء، فافهم.

دعوا الخلق إلى الإيمان بالله، وظهرت على أيديهم المعجزات التي لا يقدر البشر على مثلها، كإخراج الناقة من الصخر، وقلب العصاة حية، وإحياء الموتى، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين الأصابع، وغير ذلك مما يدل على صدقهم.

فوجب الإيمان بالإله الذي دعوا إليه، والتصديق بما أخبروا به، وأهلك الله تعالى من خالفهم، وعاقبهم بأنواع العقوبات، كما قال الله تعالى: ﴿**فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا**﴾ [العنكبوت:٤٠].

ونجا الأنبياء ومن صدَّقهم، فدلَّ ذلك على صدقهم فيما قالوه ودعوا إليه، وذلك يعرف ببداهة العقول، وأن كل عاقلٍ يجد من نفسه افتقار العبودية، ويحس أنه تحت قهر الربوبية، فيعلم قطعًا أنه لا بدَّ لهذه المملكة العظيمة من ملكٍ عظيمٍ، ولا بدَّ لهذا التدبير المحكم من مدبرٍ حكيمٍ.

ومما دعوا إليه الإقرار والتصديق بأن مانع العالم واحد، وهو الله الذي لا إله إلا هو، و لا شريك له، ولا شبيه له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا زوجة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*اللَّهُ الصَّمَدُ*لمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ*وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١ :٤].

لا خالق شيء غيره، خلق العباد وأعمالهم، وقدَّر أرزاقهم وآجالهم، فلا يكون في العالم خير ولا شر ولا نفع ولا ربح ولا خسران ولا جهل ولا عرفان ولا كفر ولا إيمان، والله خلقه وقضاؤه وقدَّره، وحكم به وأراده، لكن هو لم يأمر بالمعصية، بل نهى عنها وكرهها، وتوعَّد بالعقوبة على فعلها.

وأن يصدق بقلبه تصديقًا جازمًا أن كل ما كان ويكون من الممكنات فهو جار بقضاء الله وقدره، وذلك في ثلاث مقامات:

مقام الإسلام وعالم الحس: فهو أن يكون يؤمن بكل فعلٍ في الوجود الظاهر ظهر بحركة الحواس، وأشخاص العالم، أو السكون، فهو الله تعالى لا شريك له في شيءٍ من ذلك خيرًا كان أو شرًّا.

ومقام الإيمان: أن تقصد بأن الاستطاعة والقوة المنسوبة إلى النفوس والأرواح على اكتساب الحركات والسكنات، إنما نسبتها إليها جاءت والله تعالى فاعلها حقيقةً؛ لأنه هو الذي يعطي القوة ويخلقها، والخلق المقدور الذي تقع عليه القدرة والقوة هذا في جميع الملكوت كله والجبروت، سواء كان المقدور فعلاً للنفوس أو نظرًا للعقول، أو أي شيءٍ كان.

ومقام الإحسان: فهو مقتضى علم الله، كما أن الضربين الأولين الذين تقدم ذكرهما مقتضى قدرته جلَّ جلاله، وهو أن ينظر العقل في مقادير الموجودات كلها وما يجري عليها سبق بها علم الله قبل وجود أعيانها.

فقد كان الله عالمًا بالكون كله وبما يكون من الكون من الأفعال قبل وجود الكون، هذا هو القدر المعلوم الذي قال تعالى فيه: ﴿**وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾ [الحجر:٢١]: أي معلوم قبل نزوله ووجوده، فإنه تعالى لا يجوز أن يطرأ عليه ما لم يعلمه، ولا يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يخلق ما لا يعلم، ﴿**أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ [الملك:١٤]؛ لأنه ثبت بالبرهان العقلي والدليل القطعي أنه يعلم جميع العالم كلياته وجزيئاته، وأن القدرة لو لم يتأثر عنها الكون كله لأدَّى ذلك إلى أن القادر أعجز أقدر، وهو محالٌ.

وأن الأعمال كسبية للعباد، ولا أنها خلق لهم؛ لأنهم لا يحيطون علمًا بأجزاء تفاصيل ما يصدر عنهم من الحركات المكتسبة والسكنات، ولا بأعدادها، والخالق لا يكون خالقًا حتى يعلم ما يخلق، ولا يعلمون أيضًا أنها خير محصنًا، وهم بالضرورة يدركون بالضرورة الفرق بين حركة المرتعش وبين الحركة الواقعة بالاختيار والإرادة، فلم يبقَ إلا حالة ثالثة يُعبر عنها بالاكتساب، وعلى ذلك يقع الثواب والعقاب والكل خلق الله، ولأنه لا يريد شيئًا كرهًا، ولا يفعل إلا باختياره، ولو لم يرد جميع الكائنات ويخلق جميع ما أراد لكان الذي يريده إبليس وجنوده أكثر من مراده، ولكان خلق غيره أكثر من خلقه؛ لأن الشرور والقبائح أكثر من الخير، فتعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

والدليل على إثبات القدر من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾ [الحجر:٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٣].

فلذلك كان الإيمان بالقدر من أعظم شعب الإيمان؛ لأن من التوحيد إضافة الأفعال كلها إلى الله تعالى، وأنها صادرة عن قدرته لا شريك له فيها، فمن أضافها أو شيء منها إلى غيره فقد أشرك به، وكذب بالقرآن والحديث، ومن كذبها فقد كذب الله ورسوله، ولذلك كان القدرية مجوس هذه الأمة لما رواه حذيفة بن اليمان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**في كل أمةٍ مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنائزهم، ومن مرض منهم فلا تعودوهم**(١)»، شابهوا المجوس في قولهم: للشر بقاء، وللخير خالق، وقد أخبرنا تعالى أن الجميع مكتوب له بلا شريكٍ في ذلك فقال:

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ [الحديد:٢٢] الآية.

ودليلنا بالسنة قول النبي ﷺ: «**سيكون في أمتي قوم يكفرون بالله تعالى وهم لا يشعرون، قيل: كيف يا رسول الله؟ قال** ﷺ: **لأنهم يقولون: الخير من الله تعالى والشر من الشيطان ومن أنفسنا**(٢)».

وهم يقرون دليل آخر: إن الشيء لو كان بغير إرادة الله تعالى لكان عاجزًا، والعاجز لا يكون إله؛ لأنه لا يجوز أن يكون في داره ما لا يريد، كما لا يجوز أن يكون فيها ما لا يعلم.

دليل آخر لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو أراد الله تعالى ألا يُعصى ما خلق إبليس، وأن الله تعالى خلقني وأرسلني مبشرًا ونذيرًا: أي مبشرًا بالجنة ونذيرًا من النار، وبعثني بالهداية وليس لي من الهداية شيء، وخلق الله تعالى إبليس عليه اللعنة وليس إليه من الضلالة شيئًا، قال الله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾** [الإسراء:٦٤](٣)» الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء:٦٥]؛ لأنهم تمادوا في

---

(١) رواه أبو داود (٤/٢٢٢)، وأحمد (٢/٨٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٤/٢٤٥)، والديلمي في الفردوس (٥/٤٥٤)، بنحوه.

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٥/٣٠٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٩٢)، بأوله فقط.

الكفر فجعلوا إرادة إبليس لعنه الله وأنفسهم أقوى من إرادة الله تعالى، أراد الملعون إبليس المعصية فوجدت، وأراد الله ألا تكون فكانت، فجعلوا إرادة إبليس الملعون في أنفسهم أقوى من إرادة الله تعالى، والقائل بهذه المقالة في القرآن تكذيبه قوله تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ [النساء:٧٨].

وقال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ [الشمس:٧، ٨].

وقال تعالى: ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي**﴾ [الأعراف:١٧٨] الآية.

وقال تعالى: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ**﴾ [الأنعام:١٢٥] الآية.

فجعل الصلاة والهدي بإرادته سبحانه وتعالى، وأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

دليلنا خمس بالكتاب:

قوله تعالى: ﴿**لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ**﴾ [الفتح:٤].

وقوله تعالى: ﴿**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**﴾ [المدثر:٣١].

وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ [التوبة:١٢٤].

ودليلنا بالسنة لما روى عن رسول الله ﷺ في حديث عمر ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام وهو في صورة الأعرابي عن الإيمان فقال ﷺ:

«**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره**[(١)]».

ودليل آخر أن الإيمان لو كان قول بلا عملٍ لاستوى فيه الطائع والعاصي، والله تعالى قد نفى المساواة بينهما بقوله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ**﴾ [السجدة:١٨]، وما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقصان.

ويعتقد أن القرآن كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ، مقروءًا بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف غير حال في مصحف، ولا قائم بقلبٍ، ولا مرئي ببصرٍ، ولا يشبه كلام الخلق، ولا يشبهه كلام الخلق؛ لأن المسلمين وجميع مثبتوا الشرائع اتفقوا على أن الله تعالى متكلم، واتفق أهل الحق منهم على أنه تكلم بكلام واحد أزلي قائم بذاته، ليس من جنس الحروف والأصوات، غير

---

(١) رواه البخاري (١٧٩٣/٤)، ومسلم (٤٠/١)، وأبو داود (٢٢٣/٤).

متجزئ، منافٍ للسكوت، وهو به أمره مخبر ولا بعد؛ لأن مرجع الجميع إلى الإخبار، وهذه العبارات مخلوقة؛ لأنها أصوات وهي أعراض، وتسمية كلام الله لدلالتها عليه وتأديه بها، فإن عبر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرانية فهو توراة، فاختلفت العبارات لا الكلام، كما تسمَّى الله بعباراتٍ مختلفة مع ذاتٍ واحدةٍ.

ونؤمن برؤيته في الدار الآخرة للمؤمنين بأبصارهم بعد دخولهم الجنة جائزة عقلاً واجبة سمعًا، فيُرى لا في مكانٍ ولا في جهةٍ، ولا اتصال شعاع ولا ثبوت مسافة بين الرائي وبينه تعالى، وغير ذلك من أمارات الحدث، وأن الله متفضلٌ بالخلق والإيجاد وتكليف العباد لا على معنى الوجوب واللزوم، فإن الذي يفعل ما يجب عليه يلحقه ضرر في ترك فعل ما يجب عليه، وينتفع بفعله إذا فعله، وهذا وصف المضطر الذي يلحقه النفع والضرر، والباري تعالى متنزَّه عن الضرر وعن الحظ وحذف الأعراض، فإذا لم يتصور ويترك مصلحة العباد لم ينتفع بها، لم يكن للوجوب في حقه معنى يعود عليه، فيجوز أن يكلف عباده بما لا يطيقونه.

خلافًا لقول المعتزلة وهذا مشاهد ومعلوم بالسمع، فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فإنهم لم يسألوه محالاً، ولو كان تكليف ما لا يُطاق محالاً لكانت الآية لغوًا، وذلك شاهد أيضًا؛ لأن الرسل خاطبت الكفار بالإيمان وهم لا يطيقونه.

وقد خاطب رسول الله ﷺ أبا جهل وغيره من الكفار بإيمان وقد أعلمه الله تعالى بأنهم لا يؤمنون، وقد أمره بالإنذار والتبليغ والدعوة للكل إلى الإيمان، فهذا تكليف ما لا يُطاق، وأن لله حساب الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق، ومن غير ثواب لاحق خلافًا للمعتزلة؛ لأنه متصرف في ملكه لا يعدوه.

والظلم: عبارة عن تصرف المالك في ملكة غيره، وهو محالٌ على الله إلا بإذنٍ يُضاف لسواه منك، وذلك مشاهد في البهائم، فإن ذبحها وما صُب عليها من أنواع المحن والعذاب أبلغ لها، ولم يتقدم لها جريمة فصل، ونؤمن بما ورد به الكتاب والسُّنة.

ولا تتعرض للتأويل بعد أن تعلم أن الله ﷻ لا يشبه شيئًا من المخلوقات ولا يشبهه شيئًا منها، فإن كل ما تمثل في الوهم فهو مقدَّرٌ قطعًا وخالقه وهذا الذي اندرج عليه

السلف قبل ظهور الأهواء وتشعب الآراء، فلما ظهرت البدع، وانتشر في الناس التشبيه والتعطيل فزع أهل الحق إلى التأويل.

وتقرير مذهب السلف كما جاء من غير تمثيلٍ ولا تكييف ولا تشبيهٍ، وأن آخر هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ أبي بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: خير الناس بعدي أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم.

ورُوي عن أمير المؤمنين علي كرَّم الله وجهه أنه قال على منبر الكوفة: «أيها الناس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى قال أن أتخذ أبي بكر والدًا، وعُمر مشيرًا، وعثمان سندًا، وأنت يا علي ظهرًا، فهؤلاء الأئمة الأربعة هم خلائف نبوتي، وحجتي على أمتي، لا يحبهم إلا مؤمنٌ تقيٌّ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ شقيٌّ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله، ورضي الله عنهم أجمعين»».

دليل آخر ثالث: إن التفضيل لو كان من طريق القرابة لكان الحمزة والعباس عما النبي ﷺ أولى بالتفضيل؛ لأن العم أقرب من ابن العم، وأن العشرة في الجنة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي عبيدة بن الجراح، رضي الله عنهم، وأمتنا على محبتهم، واحشرنا في زمرتهم، إنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

وأن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه خال المؤمنين رديف رسول الله ﷺ، وكاتب وحي الله تعالى، أمين الله على وحيه، شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، ومات وهو عنه راض، رضب الله عنه وعلي رضي الله عنه كانا إمامين مجتهدين، لكن المصيب منهما علي رضي الله عنه، وأصحابهما أصحاب إمامين مجتهدين، وقتالهم كان باجتهاد لطلب الحق لا لحظوظ الأنفس، ولم يكن أحدٌ منهم حريص على قتل أخيه، وقتلاهم جميعًا في الجنة، ونكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، ونشر محاسنهم رضي الله عنهم، والكف عما جرى بينهم، وأن الله تعالى قد غفر لهم، وأعلم نبيه ﷺ بذلك أنهم سيقتلون في سبيل الله تعالى.

قال النبي ﷺ: «**سيجري بين أصحابي زلة يغفر الله تعالى لهم بسابقهم معي**[1]».

وفي لفظٍ آخر قال عليه السلام: «**سيجري بين أصحابي فتنة يتلقاها الله تعالى لهم بسابقهم**

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٦/٣٩٤).

معي[١]».

وأن الموت حقٌّ، وأن البعث حقٌّ من بعد الموت، وأن سؤال الملكين في القبر حقٌّ، وأن الروح ترد في الجسد فتكون المسألة للروح والجسد جميعًا، ودليلنا بقوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ**﴾ [إبراهيم:٢٧] الآية.

وأن ضغطة القبر حقٌّ، وأن عذاب القبر حقٌّ، ونعيمه حقٌّ، وأن العبد إذا عُذِّب في قبره حقٌّ ويألم؛ لقول النبي ﷺ: «**ويألم الميت ما يؤلم الحي**[٢]».

وأن الحساب حقٌّ، والميزان حقٌّ، وأن الميزان له كفتان: إحداهما: من نورٍ وهي للحسنات، والأخرى: من الظلمة وهي للسيئات، يُوزن فيها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه من الحسنات نجا من النار، ومن خفَّت موازينه من الحسنات أُهوى به في النار.

وأن الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ حقٌّ؛ لقوله ﷺ: «**إنَّ لكل نبيٍّ دعوة مستجابة، وإني ادَّخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي**[٣]» ﷺ.

وأن الله ﷻ يخرج من النار أقوامًا بشفاعتي فيهم بعدما صاروا فحمًا وحجرًا، فيُطرحون في نهرٍ على باب الجنة يُقال له: نهر الحيوان، فيغمسون فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل، ويشربون منه فيذهب ما في بطونهم وصدورهم من غلٍّ وغيره، ويعودون شبابًا جددًا مردًا، وعلى جباههم مكتوب: هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من النار، فإذا دخلوا الجنة يستحيون فيسألون الله تعالى، فيمحوا ذلك عن جباههم وتصير وجوههم كالقمر ليلة البدر، فلا يُعرفون بعد ذلك.

وأن الصراط حقٌّ، وصفته كما ورد في الشريعة حقٌّ، وأنه ممدود على متن جهنم كما جاء في الحديث لما سُئل النبي ﷺ عن صفة الصراط فقال ﵇: «إن جواز الخلق كلهم عليه وهم على قدر أعمالهم من الحسنات والسيئات، فممر الخلائق عليه وهم بين ماشٍ وساعٍ وراكب، ثم زحف وسحب وأن عليه كلاليب وشوك مثل شوك السعدان» ثم قال ﵇: «أرأيتم شوك السعدان؟ فقالوا: نعم يا رسول الله، صلَّى الله عليك وسلم، ثم قال ﵇ في صفة الصراط: «أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وأحر

(١) ذكره القرطبي في التفسير (٧/٣٩١).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه البخاري (٦/٢٧١٨)، ومسلم (١/١٩٠)، والترمذي (٥/٥٨٠)، بنحوه.

من الجمر، طوله ثلاث مائة سنة من سنين الآخرة، تجوزه الأبرار، وتزل عنه الفجار[١]».

وأن الحوض المكرَّم به نبينا محمد ﷺ حقٌّ.

قال ﷺ: «حوضي طوله وعرضه مثل ما بين عدن وعمان، مسيرة حافتاه خيام الدر المجوف، آنيته عدد نجوم السماء، طينته مسك أذفر، ماءه أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا حتى يدخل الجنة، فيزاد عنه يوم القيامة رجال كما تزاد الغريبة من الإبل، فأقول: هلموا إلَيَّ هلموا، فيُقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: وما أحدثوا؟ فيُقال لي: قد غيَّروا وبدلوا، فأقول: ألا سحقًا وبُعدًا[٢]».

فقد أنكرت المعتزلة ذلك تَبّ لهم، فلا يُسقون منه إلا أن يتوبوا ويرجعوا عن مقالتهم السوء. وأن الجنة حقٌّ والنار حقٌّ، مخلوقتان خُلقتا للبقاء لا للفناء، فالجنة نعيم للأولياء، والنار عقاب للأعداء من أهل الكفر والمعاصي إلا من رحم، وإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يُؤتى بالموت على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، وكلهم ينظرون إليه، ثم ينادي منادٍ من قِبل الله تعالى: يا معشر العباد هذا الموت يا أهل الجنة خلود بلا موتٍ، ويا أهل النار خلود بلا موتٍ، ولا ينزل أحدٌ من أهل القبلة جنة ولا نار إلا من نزله رسول الله ﷺ.

لقوله ﷺ: «**السعيدُ مَنْ سَعِدَ في بطن أمه، والشقيُّ من شقي في بطن أمه**[٣]».

بل ترجو للمحسن، وتخاف على المسيء، والصلاة على من مات من أهله وإن عملوا الكبائر، وقدر أسرارهم إلى الله تعالى، وأن نسمع ونطيع لمن ولاَّه الله تعالى أمرنا.

لقول النبي ﷺ: «**عليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا، قالوا: يا رسول الله صلَّى الله عليك وسلم، فإن أثموا فقال** ﷺ: **فعليهم إثمهم ولكم طاعتكم**[٤]».

فأهل السُّنة أجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأتباعهم، والصلاة خلف

---

(١) رواه البخاري (٢٧٠٤/٦)، ومسلم (١٦٥/١)، بنحوه.

(٢) رواه بقي بن مخلد في الحوض والكوثر (ص٨٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٤/١٠) بنحوه.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢٢٣/٨)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٥٤٨/١).

(٤) رواه البيهقي في الشعب (٦٧/٦)، وأبو نعيم في الحلية (١١٥/١٠)، بنحوه.

كل برٍّ وفاجرٍ، العادل منهم والجائر، ومن ولاه ونصبه واستنابوه ما كان من البدعة براء، وألا ينزلها أحدًا من أهل القبلة جنة ولا نار، مطيعًا كان أو عاصيًا، سيّدًا كان أو غويًّا، عاتيًا كان أو طاغيًا، إلا أن يطلع منه على بدعةٍ أو ضلالةٍ، فيزل على ما شرع، ولا سمعًا له ولا طاعةً، ولا يُصلى خلفه.

لقول النبي ﷺ: «**إن دعاكم داعٍ إلى خلاف كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ لا تسمعوا له ولا تطيعوه، فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق**[1]».

وقال ﷺ: «**انتقوا العالم كانتقاء الذهب والفضة والجمعة والعيدين**[2]».

والجهاد ماضٍ مع كل خليفةٍ برٍّ أو فاجرٍ، ما كان من البدعة بريئًا، وإنه لا يخلد في النار إلا أهل الكفر والضلال والجحود والتكذيب، نسأل الله تعالى لنا ولكم الخاتمة بالخير والعاقبة إلى خير، ثم التغلب والتثبت على الكتاب والسُّنة والجماعة، فهذا اعتقادنا والذي نقلناه عن السلف الصالح عن أئمة الدين، وعن مشايخنا، أو كان مثله أو غاب عنا أو نسيناه رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وأن اعتقادنا هذا نقله جبريل عليه السلام عن الله تعالى، ونقله النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام، ونقلته الصحابة رضي الله عنهم أجمعين عن النبي ﷺ، ثم نقله التابعين عن الصحابة رضي الله عنهم، خلف بعد خلف، وسلف بعد سلف إلى يوم القيامة:

فمنهم ساداتنا:

أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة ابن عبد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وابن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وزيد بن ثابت، وأبو ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت، وأبي موسى بن عمر، وعمران بن الحصين، وعمار بن ياسر، وأبي هريرة، وحذيفة بن اليمان، وعقبة بن عامر، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأبو أُمامة الباهلي، وجندبة، وأبو مسعود، وأبو حبيب، وأبو الطفيل، وعامر، وعائشة، وأم سلمة، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/١٠٠) بنحوه.

(٢) رواه القضاعي في الشهاب (٢/٥٥).

ومن التابعين من أهل المدينة شرَّفها الله تعالى وعلى ساكنها أفضل الصلاة والسلام:

سعيد، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وسليمان بن يسار، ومحمد بن الحنفية، وعمر بن عبد العزيز، وكعب الأحبار، رضي الله عنهم.

ومن الطبقة الثانية:

ربيعة بن عبد الرحمن، وزيد بن علي بن الحسين، وجعفر بن محمد الصادق، رضي الله عنهم.

ومن الثالثة من التابعين:

مالك بن أنس، وأبو مصعب بن أحمد بن أبي بكر الزهري، ويحيى ابن أبي كثير ، رضي الله عنهم.

ومن بعدهم: عمر بن دينار، وعبد الله بن طاووس، وابن جريج، ونافع، وسفيان بن عيينه، والفضيل بن عياض، ومحمد بن سلمة الطائعي، وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، وأبو عبد الله زيد المقري، رضي الله عنهم.

ومن أهل الشام:

عبد الله بن مخبر، وعبادة بن ميمون بن مهران، وعبد الرحمن بن عمر، والأوزاعي، ومحمد بن الوليد، وعبد الرحمن بن زيد، وعبد الله بن شودب، وإبراهيم بن محمد الثرائي، وأبو منهر هاشم بن عبد الله يُدعى الدمشقي، ومحمد بن سليمان المصيصبي، رضي الله عنهم.

ومن أهل مصر:

حياة بن قيس بن شريح، وليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، وأشهب بن عبد العزيز، وإسماعيل بن يحيى المزني، وأبو يعقوب البويطي، وربيع بن سليمان، رضي الله عنهم.

ومن أهل الكوفة:

علقمة بن قيس، وعامر بن شرحبيل النخعي، وطلحة بن مصرف، ومالك بن معول، وحمزة بن حبيب الزيات المقرئ، وابن أبي ليلى، وسفيان الثوري، وشريك بن عبد الله، وأبو بكر بن قبلاش، وعبد الرحمن بن محمد البخاري، ووكيع بن الجراح، رضي الله عنهم.

ومن أهل البصرة:

أبو العالية، والحسن بن أبي الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأبو قلابة، رضي الله عنهم.

ومن بعدهم: سليمان القيمي، وأبو عمر، وابن العلاء، وحماد بن سلمة، ويحيى ابن أبي سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وسهل بن عبد الله التستري، رضي الله عنهم.

ومن أهل بغداد:

أبو عبد الله أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو عبيد القاسم بن عبد السلام، وأبو ثور، وأبو خثيمة، وأبو بكر بن محمد النقاش، رضي الله عنهم.

ومن أهل الموصل: المعاف بن عمران.

ومن الخراسان: عبد الله بن المبارك، وأبو قلابة، ومحمد بن عيسى الترمذي.

ومن أهل الري: محمد بن إدريس الشافعي، وأبو زُرعة، وأبو حاتم.

وهؤلاء السادة المذكورين هم أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين، ونسأل الله تعالى أن يتوفانا على مذهبهم واعتقادهم، فمن خالف مذهبهم ورغب عن سنتهم فقد خالف الله تعالى ورسوله ﷺ، وهو مبتدعٌ لا يقبل الله تعالى منه صرفًا ولا عدلاً.

قال الله تعالى: ﴿**وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء:١١٥].

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها على ضلالةٍ، إلا فرقة واحدة وهي الناجية، قيل: يا رسول الله صلَّى الله عليك وسلم، من الناجية؟ قال** عليه السلام**: من كان على ما أنا عليه وأصحابي**[1]».

فهؤلاء الأئمة والمشايخ الذين ذكرناهم ومن تبعهم من الناس على المذهب الصحيح، نسأل الله تعالى أن يتوفانا عليه بمنِّه وكرمه.

أملاه من حفظه، وأمر بكتبه الشيخ الإمام الأوحد العالم العارف وتاج الحقيقة عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى الأُموي رضي الله عنه وقدَّس روحه ونوَّر ضريحه، وأعاد الله تعالى من بركاته على كاتبه وقارئه ومالكه ومستمعه، وعلى جميع المسلمين، آمين

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٣٧/٥)، بنحوه.

آمين يا أرحم الراحمين.

أحاديث منقولة في المعنى:

عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف عن أبيه، عن جده رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لتسلكن سير من قبلكم حذو النعل بالنعل، ولتأخذن علل أخذهم إن شبرًا فشبرًا، وإن ذراعًا فذراعًا، وإن باعًا فباعًا، حتى لو دخلوا في جحر ضب لدخلتم فيه، إن بني إسرائيل افترقت على موسى عليه السلام بإحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، ثم إنه افترقت على عيسى عليه السلام باثنتي وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، إنكم تكونوا على ثلاث وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة، الإسلام وجماعتهم[1]».

وعن عبد الرحمن بن جبير بن القير عن أبيه عون بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة أعظمها على أمتي الذين يقلبون الأمور برأيهم، يحرمون الحلال، ويستحلون الحرام**[2]».

وعن عبد الله بن زيد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة، قالوا: وما تلك الفرقة يا رسول الله صلَّى الله عليك وسلم؟ قال** عليه السلام: **من كان على ما كنت أنا عليه وأصحابي**[3]».

وهذا الافتراق الذي ذكره النبي ﷺ لم يكن في زمانه ولا زمن أسيادنا أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وإنما كان بعد تقادم السنين والأعوام، وبعد موت أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، والتابعين وفقهاء المدينة والفقهاء السبعة وهم:

عبيد الله بن عبد الله، وعرفة بن الزبير بن العوام، والقاسم ابن أبي بكر، وسعيد بن المسيب، وعيينة بن حزم المخزومي، وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحرث، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد، رضي الله عنهم، ومن بعدهم علماء الأسفار وفقهائها قرنًا بعد قرنٍ، وقبض العلم بموتهم رضي الله عنهم إلا شرذمة قليلة، وهي

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١/٢١٩)، والطبراني في الكبير (١٧/١٣).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٣/٣١٠)، والديلمي في الفردوس (٢/٦٣).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٨/٧٠)، والحكيم الترمذي في النوادر (٢/٢٤٨)، بنحوه.

الفرقة الناجية فحفظ الله تعالى الدين بهم.

كما رُوي عن عمرو بن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن الله تعالى لا يفرغ العلم من صدور الرجال بعد أن يعطيها، ولكن يذهب بالعلماء رضي الله عنهم، فكلما ذهب بعالمٍ ذهب بما معه من العلم، حتى لا يبقى عالم أو من لا يعلم فيضلون ويضلون**[١]».

فالأولى للعاقل المؤمن أن يتّبع ولا يبتدع، ولا يعالى ويعمق ويتكلف؛ لئلا يضل ويزل فيهلك.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد لقيتم.

وقال ابن مسعود أيضًا: إنما نقتدي ولا نبتدي، ونتَّبع ولا نبتدع، وإن أفضل ما تمسكنا به الأثر.

وقال معاذ بن جبل ﷺ: إيَّاك ومعظمات الأمور، وأن تقول للشيء: ما هذا.

وقال مجاهد ﷺ لما بلغه هذا عن معاذ قال: كنا نقول للشيء: ما هذا، فأما الآن فلا على المؤمن العاقل إلا اتِّباع السُّنة والجماعة.

فالسُّنة: ما سنَّه رسول الله ﷺ في خلافة الأربعة الراشدين المهديين رضي الله عنهم، وألا يكاثر أهل البدعة ولا يدانيهم، ولا يسلم عليهم؛ لأن إمامنا أحمد بن حنبل ﷺ قال: من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه؛ لقول النبي ﷺ: «**أفشوا السلام بينكم تحابوا**[٢]»، ولا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تهنئوهم في الأعياد وأوقات السرور، ولا يُصلَّى عليهم إذا ماتوا، ولا يترحم عليهم إذا ذُكروا، بل يباينهم ويعاديهم في الله تعالى، معتقدًا محتسبًا بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثير.

رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من نظر إلى صاحب بدعة بغضًا له في الله تعالى ملأه الله أمنًا وإيمانًا، ومن انتهر صاحب بدعة أمَّنه الله يوم القيامة من الفزع الأكبر، ومن استخفَّ بما أُنزل على محمدٍ ﷺ...**[٣]».

عن أبي المغيرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه معمر بن راشد في الجامع (١١/٢٥٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/١٨٥)، وفي مسلم (١/٧٤) بنحوه.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/٢٠٠)، والخطيب البغدادي في تاريخه (١٠/٢٦٣).

«**أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**[(١)]».

وقال الفضيل ابن عياض ﷺ: من أحبَّ صاحب بدعة أحبط الله تعالى عمله، وأخرج نور الإسلام منه، وإذا رأيت الرجل يبغض صاحب البدعة رجوت أن يغفر الله تعالى له وإن قلَّ عمله، وإذا رأيت مبتدعًا في طريقٍ فخذ أنت في طريقٍ آخر.

وقال الفضيل: سمعت سفيان بن عيينه رضي الله عنهما يقول: من تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله تعالى حتى يرجع، وقد لعن الله تعالى والنبي ﷺ المبتدع.

قال ﷺ: «**من أحدث في أمتي بدعة أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يُقبل منه عدلٌ ولا صرفٌ**[(٢)]»، أراد بالعدل النافلة وبالصرف الرخصة.

وعن أبي أيوب الشيباني ﷺ قال: إذا حدث الرجل بالسُّنة فقال: دعنا من هذا أو حدثنا بما في القرآن، فاعلم أنه ضال.

واعلم أن لأهل البدع علامات يُعرفون بها.

فعلامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر.

وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السُّنة مشبهة.

وعلامة الروافض: تسميتهم لأهل الأثر الناصبية.

كل ذلك عصبية لأهل السُّنة رضي الله عنهم، ولا اسم لهم إلا واحد، فهم أصحاب الحديث، ولا يلتصق بهم ما لقبوهم به أهل البدعة، كما لم يليق بالنبي ﷺ تسميته كفار مكة عليهم اللعنة ساحرًا وشاعرًا وكاهنًا ومجنونًا ومفتونًا، ولم يكن اسمه عند الله تعالى وملائكته وجنه وإنسه وسائر خلقه إلا رسولاً نبيًا بريئًا من العاهات كلها ﷺ، كما قال الله تعالى في حقِّه: ﴿**انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء: ٤٨].

---

(١) رواه ابن ماجه (١/١٩)، والخطيب البغدادي في تاريخه (١٣/١٨٥).

(٢) رواه البخاري (٣/١١٦٠)، ومسلم (٢/١١٤٧)، وأبو داود (٢/٢١٦)، والترمذي (٤/٤٣٨)، والنسائي (٢/٤٨٦)، وأحمد (١/٨١).

مناقب الشيخ أبي البركات بن صخر الأُموي

رضي الله تعالى عنه

هذا الشيخ من أجلاَّء مشايخ العراق ببلاد المشرق وقبلة العارفين وجهابذة الصديقين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات الجليلة، والأنفاس الروحانية، والعلوم اللدنية، والمعالي النورانية.

صاحب الشيخ السني، والكشف الجلي، والقلب المضيء، والقدس العلي، والمقام الأعلى في سراج القدس، والمنهاج الأرفع في مواقع الأنس، والمجلس المصدر في أرائك القرب، والطور السامي في الحقائق، والسنا المتعالي في المعارض، والبصيرة الخارقة لحجب طرائق الملكوت، والرتبة الساكنة بين مشاهد الجبروت، وله الباع الطويل في أحوال النهاية، والذرع الذريع في أعلام الولاية، واليد البسيطة في البصر الخارق، والقدم الراسخ في التمكين الموطد.

والاطلاع المهيمن على حقائق الآيات، والإشراق المبين لمنازلات المشاهدات، والصعود على مراقي السعود، والفوز بدرجات الشهود.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، ومر به في الملكوت، وملَّكه الأسرار، ومكَّنه في الأحوال، وأظهره الله تعالى على الخارقات، وانطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، وملأ صدور الخلق من هيبته، وعمَّر قلوبهم بمحبته، ونصبه الله تعالى قدوة للسالكين، وحُجة على الصادقين.

وهو أحد أركان هذا الشأن، وأئمة الدعاة إليه، وأعيان العلماء بها ﷺ، بل له علمًا وعملاً وزهدًا وفقهًا ومهابةً ورئاسةً.

صحب عمه الشيخ القدوة أبي الفاضل شرف الدين عدي بن مسافر ﷺ، وهاجر إليه من البقاع العزيزة إلى جبل الهكار، وإليه كان ينتمي، وخلفه بعد وفاته بكالش، وكان يثني عليه ويقدسه.

وقال فيه الشيخ عدي ﷺ: أبو البركات ممن دُعي به في الأزل، وكان من السابقين إلى الحضرة.

وقال فيه أيضًا ﷺ: أبو البركات حسينًا، ونفى غير واحدٍ من مشايخ المشرق رضي

الله عنهم، وانتهت إليه رئاسة هذا الشأن والأمر في وقته في تربية المريدين السالكين، وكشف مشكلات أحوالهم، وتبين ملتبسات أمورهم بجبل الهكار، وما تخرج بصحبته غير واحدٍ من الصلحاء ﷺ، وبه ولده الشيخ الجليل الأصيل أبو المفاخر عدي ﷺ.

وانتمى إليه جماعة من أصحاب الأحوال، وقال بولايته خلقٌ، وقُصد بالزيارة من كل جهةٍ، واشتهر ذكره في الآفاق.

وكان كامل الأدب، حسن الأخلاق، كريم الشمائل في زمانه، طريف المعاني، ذات سحنة وحياء، محبًّا لأهل الدين، مكرمًا لأهله، وافر العقل، كثير الكرم، شديد التواضع، وكان له كلام عال على لسان أهل الحقائق ﷺ منه:

المحبة لذة في بعض مواضع التحقيق منها الدهش والحيرة، ويلزمها الشوق إلى رؤية المحبوب، وامتزاج الكرب باللهب إلى مشاهدة القريب، فإذا امتلأ القلب من حب حبيبه صفا وبان له الرِّضا، واتقدت في السرائر إرادته، ورؤيته إلى المحبوب تجلي الشكر، فالشوق يقطع على الرؤيا، والمحبة تقطع على اللذات، والقلب المجذوع هلوع، والسر مجموعه، ويسكر بكأس المحبة، لا يصحو إلا بمشاهدة محبوبه، فإن السكر ليلة صباحها المشاهدة، كما أن الصدق شجرة ثمرها المجاهدة، ثم تزايد وبكى.

وأنشد يقول في المعنى شعرًا[١]:

إِذَا جَازَ ركبُ الشَّوْقِ فِي رَبْعِ لَوْعَتِي   جعلت لَه بـاد الأنين دَلِيْلا
وَقَدْ عَادَ لَيْل الغيبِ مقمرًا بالرِّضَا   فعوضني مِنْه الكثير قَلِيْلا
فَمَا لدخَيلِ الحبِّ في حلبةِ الوفَا   تطرق للدعوى إِلَيْه سَبِيْلا
سَأَعَاتب الأيام فِيْكَ لعلها   تبلغني بالغيبِ فِيْكَ قبولا

ومن قوله: أصول المحبة في ثلاثة أشياء: الوفاء، والأدب، والمروءة.

فالوفاء: انفراد القلب بفردانيته، والثبات عليها والمؤانسة بنورانيته.

وأما الأدب: فمراعاة الخطرات، وحفظ الأوقات، وانقطاع المقاطعات.

وأما المروءة: القيام على الذِّكر قولاً وفعلاً، والبعد عن الأغيار ظاهرًا وباطنًا، وحفظ الأوقات لرعاية ما هو آت، واستدراك الأوقات.

---

(١) انظر: خلاصة المفاخر (ص١٦١).

فإذا وجدت هذه الخصال في العبد وجد لذة الوصال، وخالف حرقة البين، وهاج في سره نار الأشواق.

ومنه يقول: أساس أهل هذا الشأن أربع أشياء ظاهرات وباطنات، فأما الظاهرات: فالسياسة والرياضة، وأما الباطنات: فالحراسة والرعاية.

فالسياسة: حفظ النفس، وميزانه القيام على الوفاء، بذلك يصل العبد إلى التطهير، وميزانه القيام على وفاء العبودية.

والرياضة: مخالفة النفس، وبذلك يصل إلى التحقيق، وميزانه الرِّضا عند الحلم.

والحراسة: طاعة الله تعالى به يصل العبد إلى منازل المعرفة.

والرعاية: مراعاة حقوق الله تعالى بالسرائر، وبذلك يصل العبد إلى درجات المحبة.

ومنه يقول: ينبغي للمريد الصادق أن يستعمل عشر خصال ويتجنب عشر خصال، فأما التي يستعملها: فالعلم، والحلم، والمكارم، والجود، والصبر، والرِّضا، والشكر، والذِّكر، والإيثار، والورع.

وقانون هذه الخصال: الزُّهد في غير المحبوب مع إيثار طاعة المحبوب.

وأما العشرة التي يجتنبها: فالكبر، والبخل، والفضول، والهوى، والنفس، والدنيا، والإرادات، [والمحرمات، والمباحات، والشهوات].

وقانون الخصال: رؤية البلاء من الحبيب مع الرِّضا، ثم لا يكون العبد متحققًا بحال الرِّضا حتى يلزم بالوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرِّضا بالموجود، والصبر على المفقود، والموافقة للمعبود، وبذل النفس للمجهود.

ومن علامات أهل الخصوص: إن كلامهم يكون ذكرًا، وصمتهم فكرًا، وعلمهم طاعةً، وأصل ذلك كله اليقين بما عندهم، واليأس ممن سواه.

ومنه يقول: برهان العابدين زكاة أعمالهم، وبرهان العارفين نشر عجائب قدرته في أسرارهم، وبرهان المقرَّبين إجابة الأكوان لداعيهم بإخبارهم عن ربهم سبحانه وتعالى، والمحبة له وسكر وخمار واستغراق وفكر، فمن يدَّعي المحبة فبرهانه تصحيح الفؤاد وتقطيع الأكباد، وعدم الأشباح، وبذل الأرواح، ومن ادَّعى العلم بالله تعالى فبرهانه بذل المال، ومن ادَّعى المعرفة فبرهانه بذل النفس.

ومنه يقول: من رأيته يدَّعي مع الله تعالى حالاً أو مقامًا أو يجوز في اعتقاده على

الله تعالى تشبيه أو تمثيل أو تحديد فاعلم بأنه كذاب، فكما أن الله تعالى لا يجوز في حقه تحديد ولا تشبيه، كذلك صفاته سبحانه وتعالى لا يجوز عليه زيادة ولا نقصان، ولو لم يرد الشرع بذلك لكان العقل يوجبه بالضرورة، وينفي ما سواه سبحانه وتعالى، وكما أن الزيادة على الحق كفر، كذلك النقص منه كفر، وكما أن التشبيه بدعة كذلك التأويل في صفات الله تعالى إلا بما ورد به نص أو جاء به برهان، أو أدى ظاهره إلى محالٍ من تشبيهٍ وتعطيلٍ أو ألحق في نفسه أقوى أن يقوى بباطل.

والعروة الوثقى: الوقوف عند ما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، وما رأيت أحدًا من المشايخ الذين نقتدي بهم إلا على هذا السبيل، ولقد كنت أعرف رجلاً ممن ظهرت له الكرامات مع المكاشفات، وكنت أعرف منه الميل إلى التشبيه والتحديد حتى سمعت جميع ما كان له، وسقط من دائرة المباح، وخرج إلى حمى المحرمات.

وكان ﷺ ينشد هذه الأبيات كثيرًا في معنى ذلك:

فَأَنْـتَ للعـينِ عـينٌ عِـنْدَ نَظْـرَتِهَا ... تَـسمُو إلـيكَ كَمَـا تَـسمُو إِلَـى النظرِ
وَأَنْـتَ للقلـبِ قَلْـبٌ فِـي تقلـبه ... تعلـو إلـيك يـد العلـياء والفكـرِ
وَأَنْـتَ للـوجدِ وَجْـدٌ فِـي تـوحدِهِ ... بـسطوةِ القهـر لـم تـبق ولـم تـذرِ

أخبرنا الفقيه ابن المجد صالح ابن الشيخ الهمام ابن الثناء حماد بن غانم بن وحشي القرشي المكي قال:

سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول: سمعت الشيخ الجليل العارف أبي حفص عمر بن محمد المغربي بمكة زادها الله تعالى شرفًا يقول: كان الشيخ أبو البركات ابن صخر الأموي ﷺ ظاهر التصريف، كثير الكرامات، شديد الحياء من الله تعالى، دائم المراقبة والرعاية لأنفاسه وأوقاته، ملازمًا لطريق السلف من المجاهدة مع الزهد، كثير الشفقة والحنو على خلق الله تعالى، مجاب الدعوة، وكان الغالب عليه في حاله ترك التدبير والاختيار لنفسه ولغيره.

قال: وكنت في بعض الأيام إلى جانبه، فخطر في نفسي: متى يصل العبد إلى درجات المقرَّبين؟ قال: فالتفت إِلَيَّ وقال: يا سيدي عمر، إذا أحكم العبد أساسه في الرِّضا وصل إلى درجات المقرَّبين.

قال: وكنت يومًا جالسًا عنده في جانب الزاوية بكالش، فخطر في نفسي لحم مشوي في رغيف بر حار، واشتدَّ الخاطر عندي، فبينما أنا كذلك إذ دخل رجلٌ - وقيل: أسد وهو الأصح - وفي فمه رغيفٌ، وقصد إلى الشيخ أبي البركات فقال له: اذهب فضعه بين يدي الشيخ عمر، فجاء ووضعه ومضى، وإذا فيه لحمٌ مشويٌّ ورغيفٌ من بر ساخن، فلم يستقر بنا القرار حتى نزل بنا من الجو رجلٌ أشعث أغبر، فلما رأيته ذهبت عني شهوتي من اللحم والخبز، فأتى الرجل إلى الرغيف الذي جاء به الأسد فأكله وما فيه جميعه، وقعد يتحدث مع الشيخ أبي البركات ﷺ، ثم ذهب في الهواء من حيث جاء، فقال لي الشيخ أبو البركات: يا شيخ عمر، الشهوة التي اشتهيتها لم تكن لك إنما هي شهوة الرجل الذي رأيته، والرجل من المدللين إذا خطر في نفسه شيء لم يتم خاطره حتى يُقضى له، وإنه الآن ببلاد الصين الأقصى.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب بن صالح السمنودي الشافعي قال: سمعت الشيخ العابد الناسك أبا الفتح بن إبراهيم بن علي بن عبد الله الهاشمي إمام مقام إبراهيم الخليل ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين بمكة، زادها الله تعالى شرفًا، يقول: سمعت الشيخ أبا محمد عبد الله الدمشقي ﷺ يقول: سمعت الشيخ عبد الله يقول:

لما اشتهر أمر شيخنا الشيخ عدي بن مسافر ﷺ بجبل الهكار هاجر إليه ابن أخيه أبي البركات من بيت (فار) من البقاع العزيزة.

فلما اجتمع به الشيخ وعرفه بالعلامات التي كان يعرفه بها من صغره، وكان الشيخ عدي قد فارقه وهو عند أبيه صخر صغيرًا بعد موت أخيه صخر وموت جماعة من أهله، أقام عنده، أكرموا جميع أصحابه، فلما تُوفي عمه وصَّاه بوصيةٍ كانت منه إليه، وكان المشايخ بالجبل يقولون: إن سر الولاية انتقل إليه بعد عمه ﷺ.

أخبرنا أبو المحاسن يوسف ابن أبي بكر البعلبكي قال: سمعت الشيخ العالم المقرئ أبي الفتح نصر رضوان بن قروان الداراني يقول: سمعت عبد الله قال:

خرجت في بعض الأيام في فصل الخريف مع الشيخ أبي البركات ﷺ من الزاوية إلى الجبل ومعه جمعٌ من الفقراء، فقال: اشتهينا اليوم رمانًا حلوًا وحامضًا، فلم يتم كلامه حتى امتلأت جميع أصناف الشجر الذي في الوادي والجبل رمانًا، فقال لنا:

دونكم والرمان فقطعنا منه شيئًا كثيرًا، وكنا نقطع الرمان من شجرة التفاح والأجاص والمشمش وغير ذلك، وكنا نأخذ من الشجرة الواحدة الرمان الحلو والحامض، وأكلنا منه شيئًا كثيرًا حتى شبعنا قال: ثم خرجنا وبعد ساعة رجعنا وليس الشيخ معنا فلم نرَ على الأشجار رمانة واحدة ﷺ.

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ العارف أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن حسين الحميدي قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول:

لقيت الشيخ عبد الله يقول: لقيت الخضر عليه السلام بعبادان وسألته عن الشيخ أبي البركات بن صخر ﷺ فقال: هو من أبدال العصر ﷺ.

أخبرنا الشيخ الأصيل أبي محمد عبد الله بن الشيخ العارف بالله أبي المفرج عبد الرحمن ابن الشيخ الناسك أبي الفتح نصر الله بن علي الحموي الشيباني الهكاري رحمه الله تعالى قال: سمعت أبي يقول: كان أبي رحمه الله تعالى ماشيًا على حافة الجبل في يوم ريح عاصف، فغلبت عليه الريح فسقط.

وكان الشيخ أبو البركات ﷺ جالسًا تجاه الجبل، فأشار بيده نحوه فثبت مكانه في الهواء بين أعلى الجبل والأرض، ولم يضطرب يمينًا ولا شمالاً، ولا إلى فوق ولا إلى تحت، كأن من يمسكه ويمنعه الحركة، ومكث كذلك ساعة، فقال الشيخ: يا ريح اصعدي به إلى سطح الجبل، فصعدت به رفقًا كأن من يحمله حتى انتهى إلى سطح الجبل.

أخبرنا أبو محمد سالم بن علي الدمياطي الصوفي قال: سمعت الشيخ العارف أبا البدر أبي سعيد البغدادي يقول: سمعت الشيخ الجليل أبي البركات بن معدان العراقي رحمه الله تعالى قال:

خرجت في بعض السنين إلى ظاهر البصرة، أمشي على البحر، فرأيت عند الساحل سفينة صغيرة ليس بها سوى رجل واحد عليه سمت القوم، فركبت معه في السفينة فلم يكلمني، وسارت بنا السفينة غير بعيدٍ، فأرسينا على جزيرةٍ لا أعرفها، فصعد صاحبي وصعدت معه، فإذا هي جزيرة في أقصى البحر المحيط، وفيها مساحات كثيرة، وما رأيت فيها أحدًا، فمشينا حتى انتهينا إلى مسجد فيها وإذا بسبعة نفر عليهم البهاء والوقار والسكينة والأنوار، وفيهم رجل كلهم يعظمونه ويسمعون كلامه، فقال كبيرهم

لصاحبه: ما هذا ؟ فقال له: هذا ساقته الأقدار.

فجلست في زاويةٍ من المسجد، فلما كان وقت الصلاة اجتمعوا، وأمَّهم كبيرهم، ثم تفرَّق كل واحدٍ منهم في زاويةٍ من المسجد، مقبلاً عليَّ بوجهه، مشتغلاً بحاله، ولا يكلم أحد منهم صاحبه، فلما صلوا المغرب قام أحدهم إلى مخدع هناك ومكث كثيرًا، وأخرج طبقًا وعليه طعام ووضعه بين أيديهم، فأكلوا ثم صلوا العشاء، وانتصبوا يصلون إلى الصبح فأقمت عندهم سبعة أيام على هذا المنوال، وما كلمني منهم أحدٌ، وكل واحدٍ منهم يدخل ليلة في ذلك المخدع ويخرج منه طبقًا.

فلما كان عشية اليوم الثامن قالوا: الليلة نوبتك في الطعام، فقمت ودخلت المخدع فلم أرَ فيه شيئًا، فخفت منهم وانكسر قلبي وتضرَّعت إلى الله تعالى، وسألته بهم ألا يخجلني معهم، فإذا طبق نازل عليَّ من جو السماء فأخذته ووضعته بين أيديهم، فقالوا: الحمد لله الذي رزقنا أخًا صالحًا، وقاموا إلَيَّ واعتنقوني.

واستيقظت في بعض الليالي وإذا أنا بريحٍ شديدة الهبوب، وسمعت بأمواج البحر اضطرابًا عظيمًا، فقلت: لا إله إلا الله، فسكنت الريح وهدأ البحر، فأتاني كبيرهم وقال: كان في البحر مراكب كثيرة للإفرنج يقصدون بها المسلمين، وكانت قد أشرفت على الغرق، فلما قلت: لا إله إلا الله، سكنت الريح وهدأ البحر ونجت المراكب، فلما أصبحنا أخذ أحدهم بيدي ومشينا حتى أتينا الساحل فرأيت السفينة التي جئت فيها بعينها، فنزل فيها صاحبي وأمرني بالنزول معه، فصارت بنا غير بعيدٍ، وإذا نحن في بر عبادان، وغاب عني الرجل والسفينة فلم أرها، فبقيت متحيرًا في أمرهم متحسرًا على رؤيتهم.

فبينما أنا بعد سنين عند الشيخ أبي البركات بن صخر في جبل الهكار إذ رأيته قام مسرعًا، وإذا بصاحبي كبير القوم قد أقبل، فتلقاه الشيخ أبو البركات وعظَّم شأنه، ورأيته يتأدَّب مع الشيخ أبي البركات تأدبًا عظيمًا، وجلسا يتحدثان، ثم قام فتبعته حتى انفرد، فقبَّلت يده وسألته الدعاء، وبكيت فدعا لي، ثم قال لي: يا أبا البركات عليك بالشيخ أبي البركات، فببركته صرت إلى ما صرت، وإني كلما وجدت في قلبي قسوة أتيت إليه فتزول قسوة قلبي برؤيته، ثم غاب عني فدخلت على الشيخ أبي البركات وسألته عنه، فقال: هو مقدم رجال الأوتاد، أو قال: الأبدال، وهو الآن في أقصى جزائر البحر

المحيط.

أخبرنا أبو الفضل بن نبهان التميمي الموصلي قال: صحبت سيدي الشيخ أبي البركات سبع سنين، وما رأيت أكثر هيبة وجلالة منه، ولا رأيت أحفظ منه لمراعاة الأوقات، كان أمره كله جد.

قال: وكنت يومًا أصب الماء على يديه بعد الطعام فقال لي: يا عمر ما تريد؟ فقلت له: ادعُ لي بتيسير القرآن العظيم، قال: فدعا الله تعالى لي، وقال: بسم الله علمك وأعانك على تلاوته، وقرَّب لك كل بعيدٍ، قال: فيسَّر الله تعالى عليَّ حفظ القرآن حتى كملت حفظه في ثمانية أشهر.

وكنت أتلقن كل يومٍ مقدار مائة آية بعد أن كنت أردد الآية الواحدة ثلاثة أيام، ويتعسر عليَّ حفظها، وها أنا أتلوه آناء الليل وأطراف النهار، وقرَّب الله تعالى لي كل بعيدٍ، فما عسر عليَّ بعد ذلك أمر إلا هان، ولا هالني شيء إلا يسَّره الله تعالى تيسيرًا عظيمًا من دعوته ﷺ.

عن الشيخ أبي المفاخر عدي ابن الشيخ أبي البركات بن صخر قال: رأى والدي رجلاً يصلِّي، وهو يعبث بيديه عبثًا كثيرًا يبطل الصلاة، فنهاه فلم ينتهِ، وأكثر من العبث كالمعاند للشيخ، فقال له الشيخ: لتكفنَّ عن العبث أو ليكفنَّ الله يديك، فتعطلت يداه في الحال الحاضر حتى عادت كالخشب، فعاد إلى الشيخ باكيًا بعد أيامٍ متضرعًا فقال له الشيخ: ما ينفعك هذا إن هي إلا غضبة الله تعالى عليك، قال: فلم تزل تلك حالة الرجل حتى مات من دعوتي ﷺ.

نسبه ﷺ: هو أبو البركات صخر بن صخر بن مسافر بن إسماعيل الأموي، وقد قدمنا نسبه مرفوعًا في ترجمة عمه الشيخ عدي ﷺ.

وأصله من بيت فار[1] قرية مشهورة بالبقاع العزيزة بسفح جبل لبنان، بالقرب من بعلبك.

سكن ﷺ لاكش من جبل الهكار، وبها مات، ودُفن عند عمه الشيخ عدي، وقبره

(١) هكذا في الأصل وهو الصحيح المثبت، وفي الوافي بالوفيات للصفدي، وفي البداية والنهاية لابن كثير صحفت إلى (نار) و فار: بيت مشهور ذكره كما في معجم البلدان (٤/٤٣٥)، والمطلع (١/ ٢٦٥).

ظاهرٌ يُزار رضي الله عنهما.

أخبرنا الشيخ أبو الفضائل معالي بن نبهان المذكور خادم الشيخ أبي البركات صخر بن صخر ﷺ بالموصل يقول: سمعت شيخنا أبا البركات يقول:

أخذ العهد للشيخ عبد القادر ﷺ على كل وليٍّ في زمانه ألا يتصرف بحاله في ظاهرٍ أو باطنٍ إلا بإذنه، وهو ممن له الكلام في حضرة القدس المطهَّرة بإذن الله تعالى، وهو ممن أُعطى التصريف في الأكوان بعد موته كما كان قبل موته ﷺ.

وهذا ما انتهينا إليه من حديث الشيخ أبي البركات قدَّس الله روحه، ونوَّر ضريحه، ونفعنا بعلومه.

وافق الفراغ منه في يوم الثلاثاء ثامن عشر من شهر ربيع الآخر من شهور سنة ثلاث وعشرين وألف.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

* * *

فهرس المحتويات

الرَّوض الزَّاهر
في
مناقب الشيخ عبد القادر

مقدمة التحقيق........ ٣
ذكر بعض المصنفات والمصادر التي ترجمت لسيدي عبد القادر قدس سره........ ٢٩
ترجمة مختصرة للمؤلف........ ٣٢
منهج التحقيق........ ٣٣
إجازة المحقق بسلسلة الطريقة القادرية........ ٣٤
نماذج من صور المخطوط........ ٣٥
مقدمة المصنف........ ٣٧
ذكر مولده ﵁........ ٦٠
ذكر نسبه ﵁........ ٦٠
ذكر رحلته في طلب العلم وشدة مجاهدته ﵁........ ٦٢
ذكر مشايخه رضي الله عنهم أجمعين.. آمين........ ٦٦
فائدة........ ٦٧
ذكر شيء يدل على سخائه وترفعه عن الدنيا ﵁........ ٧١
ذكر سبب زواجه وكم جاءه من الأولاد ﵁........ ٧٢
ذكر شيء مما نُقل عنه من الكرامات وخوارق العادات ﵁........ ٧٢
ذكر شيء من ثناء الناس عليه........ ٨١
ذكر اجتماع الخضر عليه ﵁........ ٩٢
ذكر ما قاله في الحلاج........ ٩٢
ذكر شيء من مواعظه ﵁........ ٩٣
ذكر وفاته ﵁........ ٩٤
ذكر من له ترجمة من أولاده وأحفاده على ترتيب وفياتهم........ ٩٥
ذكر جماعة ممن صحبه على ترتيب وفياتهم........ ١٢٢

تتمة الرَّوض الزَّاهر
في مناقب الشيخ عبد القادر

الحكاية الأولى ١٤٣
الحكاية الثانية ١٤٤
الحكاية الثالثة ١٤٥
الحكاية الرابعة ١٤٦
الحكاية الخامسة ١٤٧
الحكاية السادسة ١٤٨
الحكاية السابعة ١٤٨
الحكاية الثامنة ١٤٩
الحكاية التاسعة ١٥٠
الحكاية العاشرة ١٥١
الحكاية الحادية عشر ١٥١
الحكاية الثانية عشر ١٥٢
الحكاية الثالثة عشر ١٥٤
الحكاية الرابعة عشر ١٥٤
الحكاية الخامسة عشر ١٥٦
الحكاية السادسة عشر ١٥٧
الحكاية السابعة عشر ١٥٨
الحكاية الثامنة عشر ١٥٩
الحكاية التاسعة عشر ١٦٠
الحكاية العشرون ١٦١
الحكاية الواحدة والعشرون ١٦٤
الحكاية الثانية والعشرون ١٦٥
الحكاية الثالثة والعشرون ١٦٦
الحكاية الرابعة والعشرون ١٦٧
الحكاية الخامسة والعشرون ١٦٨

الحكاية السادسة والعشرون ١٦٩
الحكاية السابعة والعشرون ١٦٩
الحكاية الثامنة والعشرون ١٧٠
الحكاية التاسعة والعشرون ١٧٢
الحكاية الثلاثون ١٧٣
الحكاية الواحدة والثلاثون ١٧٥
الحكاية الثانية والثلاثون ١٧٦
الحكاية الثالثة والثلاثون ١٧٦
الحكاية الرابعة والثلاثون ١٧٧
الحكاية الخامسة والثلاثون ١٧٧
الحكاية السادسة والثلاثون ١٧٨
الحكاية السابعة والثلاثون ١٧٩
الحكاية الثامنة والثلاثون ١٨٢
الحكاية التاسعة والثلاثون ١٨٣
الحكاية الأربعون ١٨٣
الحكاية الواحدة والأربعون ١٨٦
الحكاية الثانية والأربعون ١٨٧
الحكاية الثالثة والأربعون ١٨٨
الحكاية الرابعة والأربعون ١٨٩
الحكاية الخامسة والأربعون ١٩٠
الحكاية السادسة والأربعون ١٩٠
الحكاية السابعة والأربعون ١٩١
الحكاية الثامنة والأربعون ١٩١
الحكاية التاسعة والأربعون ١٩٢
الحكاية الخمسون ١٩٢

النُّور السافر في مناقب سيدي عَدي بن مُسافر

مقدمة التحقيق ١٩٧

بعض تراجم أهل العلم لسيدي عدي.. ١٩٩
عقيدة الشيخ عدي بن مسافر.. ٢٠٥
التعريف بالمصنف.. ٢١٥
نماذج من صور المخطوط ٢١٦
نسبة الخرقة النبوية الطَّاهرة الذَّكية ومعرفة ابتدائها ٢١٩
ذكر ما أوضحه في الرياضة... ٢٤٠
ذِكْر كرامات الشيخ الإمام تاج الحقيقة وسلطان الطريقة أبي الفضائل شرف الدين عدي بن مسافر ﷺ وأرضاه ٢٤١
مناقب الشيخ أبي البركات بن صخر الأُموي رضي الله تعالى عنه........................... ٢٧٥
فهرس المحتويات ٢٨٥

هذا الكتاب

الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر

- يتضمن هذا المجموع كتابين يُطبعان لأول مرة، هما:
- الكتاب الأول: "الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر" للإمام برهان الدين إبراهيم بن علي الديري القادري (ت سنة ٨٨٠هـ). ويعتبر هذا الكتاب روضة التصانيف الفاخرة في قطب الأولياء الشيخ عبد القادر الجيلاني، فقد تحدث عنه وعن أحواله الظاهرة والباطنة، وجمع فيه خلاصة مناقب الشيخ وآثاره الباقية رضي الله عنه وأرضاه، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على علوّ مكانة الشيخ عبد القادر وعظم قدره، وأنه رضي الله عنه ممن كتب الله له الظهور في الأرض كصورة وحُلّة من حلل النبي صلى الله عليه وسلم، إثباتاً لصحة الكرامة وامتداداً لبقائها واتّصالها.
- أما الكتاب الثاني: فهو "النور السافر في مناقب سيدي عديّ بن مسافر" صنّفه تلميذه الشيخ الحافظ نصر بن عبد الله العسقلاني (ت سنة ٥٧٤ هـ) في أحوال ومقامات شيخه سيدي عدي بن مسافر قدّس الله سرّه العزيز.
- ومن المعلوم أن خير من يدون ويؤرخ لشخصية أو لفترة زمنية، من عايش ولازم وعاصر هذه الشخصية أو الحقبة الزمنية، فيتضح الوصف والتصور للأحداث والوقائع، وغير ذلك، وخاصة إذا كان الكاتب من تلاميذ الشيخ ومريديه الآخذين عنه علوم الشريعة والطريقة. فترى مصداقية النقل، وروح الوصف، التي يتحلى بها الصوفي طالب العلم إذا ما تكلم وسرد عن شيخه وأقرانه ومشايخ شيخه، فيذكر عجائب الكرامات، والأحوال الباهرات، ودقائق التجليات، وحقائق الموافقات، فتشرق شموس العارفين، وتردّ شبه المعترضين والمنكرين، وكذلك المضلين المغالين، بغير طريق شرعي مبين. فالشيخ عدي بن مسافر محط أنظار السادة الصوفية، لأنه شيخهم وتابع شيخهم سيدي عبد القادر الجيلاني. وكذلك علم جليل يؤخذ علمه ويقتفى أثره عند السلفية حيث ثناء ومدح ابن تيمية ومن عاصره ووافقه له. وعند من فتن بأشعة الأنوار فلم يثبت فؤاده فتحول عن الحق للمتحقق، وغفل عن كون الموهب هو الله وحده. وكذلك المفتخر بنسبه وحسبه، ولم يسرع به نسبه، فتاه عن كونه لا ينفعه في الآخرة إلا إيمانه وتحققه وعمله، فالشريعة والحقيقة متلازمان مترابطان. إسلام، وإيمان، وإحسان.


ISBN 978-2-7451-5471-2

Designed in Lebanon by Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah


دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

هاتف: 12/ 11/ 804810 5 961+ ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
فاكس: 804813 5 961+ رياض الصلح - بيروت 2290 1107

e-mail: sales@al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com


www.al-ilmiyah.com DKI